فقه العمل للآخرة

وجزاء الأعمال وموازينها

د. محمد سليمان الأشقر

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

جميع الحقوق محفوظة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

الطبعة الأولى

دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

العبدلي - مقابل عمارة جوهرة القدس
ص.ب :٩٢٧٥١١ عمان ١١١٩٠ الأردن
هاتف: ٥٦٩٣٩٤٠ - فاكس : ٥٦٩٣٩٤١
بريد الكتروني: ALNAFAES@HOTMAIL.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين. الذي أنعم فأجزل. وخوّل وتفضّل. فتح بصائرنا بأنوار دينه. ويسّر السبيل إلى رضوانه بما أنزله على نبيّه الكريم من دلائل الهدى، ومعالم التقوى.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أَلْهَمَ المصطفَيْنَ من عباده خشيتَه ومحبتَه. وأعدّ لهم دار رضوانه وكرامَتِهِ. وصفها لهم بأحلى الأوصاف. ترغيبا لهم في طلبها. وقال لهم: ﴿لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦]. ووصف لهم دار عقابه، التي أعدها لمن رفضوا هدايته، ولم يستجيبوا لدعوته ترهيباً لهم منها، وتحذيراً لهم عن الوقوع في مهالكها. وجعل ذلك كله على لسان رسول كريم. يزيد ما أوحاه إليه من القرآن تفصيلاً وبياناً، بما ينطقه به من البيان. وما يبسطه له من البرهان. وجعله إماماً للعاملين. يقتدون بفعله وهديه. ويقتبسون من أنوار سنته. ويتبعون طريقه المرسوم. فينجون بذلك من هَلَكات الجحيم. ويصلون إلى دار السعادة والنعيم. ومائدةِ الفضل العميم. التي أرسله الله تعالى إليها داعياً، وإلى طريقها هادياً. فصلى الله عليه وعلى آله الأكرمين، وأصحابه الغُرّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن العمل للآخرة ميدانه هذه الحياة الدنيا، ومُدَّتُه لكل إنسان عمره، من حين يدرك الحُلُمَ، إلى أن يدركه الأجل، وهو لهذا جاء إليها، وأعطي الفرصة

فيها: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾[الملك: ٢] ليمارس دوره، ثم يرحل ويترك المجال لغيره، فيُختَبَرُ الآخرُ أيضا بالعمل.

وللعمل حوافز وضوابط، وآداب وثمار. وبيان ذلك كلّه مبثوثٌ في الكتاب والسنّة. ويتطرّق إليه العلماء، فيعرِضون جوانِبَ منْهُ في بحوثهم، غير أني لم أطّلِعْ على كتاب خُصِّص لاستيفاء القول في ذلك، وجمع أطرافه، بحيث يستوعب دارِسُهُ البيانَ المتعلّق به في الشريعة، ويفقَهُهُ ويَعيهِ بِيُسْر .

وأنا أعنى (العَمَلَ) من حيث الإجمال، أما من حيث خصوصيّاتُ الأعمال، وجزئيّاتها ومُفْرَداتُها، فقد أُلِّفَتْ فيها المؤلفاتُ المباركة الوافرة، وأما ما يتعلق بالأعمال من حيث الجملة، وبالنظر العام، فلم أطّلع على من ألَّفَ في ذلك. إلا أنني وقَفْتُ على اسم كتابٍ وَرَدَ ذكره في بعض كتب الأصول، هو «تحرير المقال، في موازنة الأعمال» للقضاعي المحدِّث، صاحب كتاب «الشهاب»، من أهل القرن الخامس الهجري، ذكره الزركشي في بحره المحيط (٤/ ٣٠٧) وقد بحثت عن هذا الكتاب فلم أعثر له على أثر.

ولذا استعنت بالله؛ فجمعت في كتابي هذا ما ورد من نصوص الكتاب والسنة ممّا له تعلق بالعمل من حيث الإجمال، وبوّبته أبواباً، تشتمل عناوينها على خلاصة فقه النصوص المذكورة في كل باب وزدت من عندي إيضاحاً حيث يستدعى المقام ذلك.

وقسمت الكتاب أربعةَ أقسام:

القسم الأول :

خصصتُهُ للأعمال الصالحة. فذكرت فيه ما ورد في العلاقة بين العَمَلِ

والقَدَر، ثُمَّ تحدثت عن طبيعة العمل الصالح، وانقساماته إلى عباداتٍ وغيرِ عباداتٍ، وإلى أفعالٍ وتروكٍ، وإلى دينيٍ ودنيويّ، وإلى أعمال قلوبٍ وأعمال جوارح.

ثم ذكرت ما ورد في فضل الأعمال الصالحات من حيث الجملة. ثم بيان ما يقبل من أعمال العاملين وما لا يقبل، بما ورد من النصوص عن الله ورسوله في ذلك. ثم تعرضت لمراتِبِ الأعمال، لبيان أفضل أنواعها، ليحرص العاملون عليه، وبيان الأحوالِ التي يزداد فيها فضل العمل، ويزدادُ عِظَمُ أجره.

ثم تعرضتُ لإحسان العمل، ببيان معناه ووسائِلِهِ.

ثم أوردت ما جاءَ في تكثيرِ الأعمال الصالحة، من استحباب المبادرة إليها، وإثبات العمل والمداومة عليه، وما ورد في الاجتهاد، وفي التشديد والغلوّ، وما جاء في الاعتزال عن الناس لأجل التخلي للعبادة.

وأوردت ما جاء في الحرص على نوعياتٍ عاليةٍ من الأفعال، عظيمة الفضل، أو دائمةٍ مستمرةٍ يصل أجرها للعامل مع غفلتِهِ عنها وبعد وفاته.

ثم ذكرت ما جاء في آداب العمل، من الصبرِ والاحتساب، والإسرار أو الإظهار، ومعاهدة الله على العمل أو ترك المعاهدة، ومن التمنّي والأماني، والمحافظة على العملِ أن يبقى موفُراً لا يُنْتَقَصُ.

ثم أوردت ما جاء في معوّقاتِ العمل، سواء كانت معوّقاتٍ نفسيّةً أو بدنّية.

القسم الثاني:

خصصته لبيان ما ورد في الأعمال السيئة، عافانا الله وإخواننا والمسلمين

منها.

فذكرت طبيعة العمل السيّئ ما هو، وانقساماته، على نحو ما تقدم، وعلاقته بالقَدَر، وما ورد في الاستدراج والتزيين والإملاء .

ثم ذكرت الأسباب التي تدعو أهل السوء للاتجاه إليه، وبيَّنْتُ ما ورد في الشرع من بيان الوسائل التي بها يُتَوقّى الوقوع في سيئ الأعمال.

ثم بينت آثار العمل السيئ من حيث الجملة، في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

ثم ذكرت انقسام الأعمال السيئة إلى صغائر وكبائر وفواحش، وحكم كلٍّ منها.

وتعرضتُ لشروطِ ترتُّبِ الإثم على فعل السوء، والأسماء التي رتَّبها الشرع على ذلك، من كفرٍ أو فسوقٍ أو عصيانٍ أو بدعةٍ أو نفاق، أو كون الفعل من خصال الجاهلية.

وبينت ما يعظم به إثمُ العملِ الواحِدِ أو يقلّ.

وأفردت أبواباً لأعمالٍ يستمرّ إثم فاعلها مع غفلته عنها وبعد موته.

ثم أوردت ما جاء في وسائل إبطال الإثم إن وقع من الإنسان، ليسعى في ذلك .

وذكرت كيفية سلوك الصالحين مع من أسرف على نفسه.

القسم الثالث:

أفردته لبيان ما ورد في الجزاء على الأعمال، خيرِها وشرِّها.

فذكرت ما ورد أن أعمال العباد يحصيها الله تعالى عليهم، وما ورد في التسجيل والمحو والإثبات، وفي أعمال لا تكتب، وفي أمور تكتب ولم تُعملْ .

وما ورد في رفع الأعمال إلى الله تعالى وعرضها عليه .

ثم ذكرت ما ورد في الجزاء الدنيوي على الأعمال الصالحة من المسلم والكافر.

ثم ذكرت أثر الأعمال في مواقف الحشر والعرض والحساب، وما يضاعف من الأعمال وما لا يضاعف، وأن الجزاء من جنس العمل .

القسم الرابع:

خصصته لما ورد في موازنة الأعمال، بذكر كفاراتها ومحبطاتها، وما ورد في الميزان.

ثم ذكرت ما يتعلق بخواتيم الأعمال، والقصاص بين أصحاب الحقوق.

ثم أوردت ما ورد في أصحاب الدرجات في الجنة، ومن يلحق في الدرجة بغيره، وما ورد في درجات أهل النار التي حَلُّوها بسبب أعمالهم.

ثم ذكرت خروج الموحدين من النار بفضل إيمانهم، ودخولهم الجنة برحمة الله تعالى. وبذلك تم الكتاب.

وقد آثرت أن أكتفي بإيراد النصوص من الكتاب والسنة، فإن فيها أجلى بيان وأعظم عبرة، في مثل هذه الموضوعات الخطيرة، مع ما فيها من البيان المعجز، والترغيب والترهيب مما يصل إلى القلوب من أيسر الطرق، فيحييها كما تحيا الأرض بمطر السماء. وربما علَّقْتُ كلاما موجزاً بعد النص الوارد، جلاءً

لمعنى كلمةٍ خفيّة، أو إيضاحاً لخفاء حصل بسبب التعارض الظاهري بين بعض النصوص، أو تقييداً لمطلق، أو تخصيصاً لعام، بما دلت عليه القواعد الشرعية.

هذا وإنني لم أستوعب في المسألة كل ما ورد فيها من النصوص، بل أتيت بالقدر الكافي لبيان المراد، واجتزأت بذلك، خشية التطويل.

وجهدت أن يكون كل ما في هذا الكتاب من الأحاديث إما صحيحاً أو حسناً. وتجنبت إدخال الأحاديث الضعيفة والموضوعة إلا أن يكون فاتني شيء لم أقصده.

وقد بوّبت لكل مسألة بتبويبٍ يتضمن فِقه المسألة، اقتداءً بالإمام البخاري ومن سار على نهجه من أصحاب السنن، ولَفْتاً لنظر الدارس، واستثارةً لذهنه، وليمكن ربط مباحث الكتاب في اطراد متسلسل.

وحرصت أن يكون التبويب منضبطاً على أصول اعتقاد السلف الصالح. وحاولت أن لا أصير في التبويب إلى التعميم في ما ورد من النصوص الخاصة إلا ضمن المعايير والضوابط السليمة، حسب ما استقرَّ لدى أهل البصيرة الذين أوتوا العلم والإيمان، من جهابذة العلماء السائرين على هدي السلف الصالح، مع تنبُّهي الكامل إلى أن جزءاً كبيراً من الخطورة دائما يكمن في العبارات التي يتضمنها عنوان الباب، إذا لم يكن تعميمُها منضبطاً على الوجه المبيّن.

وهذا الكتاب هو إن شئتَ كتابُ تفسيرٍ، وإن شئت كتابُ حديثٍ، أو كتاب فقهٍ واعتقاد، أو وعظٍ واعتبار، ولكن هو قبل كل ذلك كتاب مخصص للأعمال، داعٍ إلى خيرها، وازعٌ عن شرها، لمن أراد الله به خيراً.

وقد أخذت نصوص الأحاديث بمشافهة الكتب الأمهات.

ولم أنقل شيئا عن المراجع الثانوية.

وقد عزوتُ إلى الكتاب الذي شافهته قبل إيراد نص الحديث. ثم بعد إيراد الحديث كاملاً أشير إلى مواضع أخرى من الأمهات تشير المراجع الثانوية إلى أنه ورد فيها، بقولي (انظر كذا).

والعزو إلى الأمهات بذكر عنوان الكتاب بين هلالين، متبوعاً بذكر رقم الباب أو رقم الحديث فحيث ذكرت حرف (ب) فالرقم للباب، وهو الأكثر والأغلب، وحيث ذكرت حرف (ح) فالرقم للحديث، وذلك في أحاديث مسلم والموطأ خاصة. أما مسند أحمد فقد عزوت إليه بذكر رقم الجزء والصفحة من الطبعة الميمنية هكذا مثلاً : (حم٢/ ٢١٥).

بيان الرموز المذكورة في هذا الكتاب

ب : باب

ح : حديث

ت : سنن الترمذي

جه : سنن ابن ماجه

حم : مسند الإمام أحمد بن حنبل (طبعة المطبعة الميمنية)

خ : صحيح البخاري، فإن كان الحديث معلّقا ذكرت ذلك

د : سنن أبي داود

دي : سنن الدارمي

م : صحيح مسلم

ن : سنن النسائي

تمهيد

١ـ باب: فضل الكلام في الأعمال ومراتبها وآثارها

روى الإمام أحمد (١/ ٣٦٨) عن ابن عباس «أن النبي ﷺ قال: أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسبه يعني في النوم- فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا. قال النبي ﷺ: فوضع يده بين كتفيّ، حتى وجدت بردها بين ثدييّ- أو قال: نحري. فعلمت ما في السماوات والأرض. ثم قال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: نعم، يختصمون في الكفارات والدرجات. قال: وما الكفارات والدرجات؟ قال: المكث في المساجد، والمشي على الأقدام إلى الجمعات، وإبلاغ الوضوء في المكاره. ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه. الحديث... إلى أن قال: قال: والدرجات بذل الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» .وانظر: (حم ٤/ ٦٦) .

واستخلاف الله تعالى للناس في الأرض إنما هو ليعملوا بشرائعه فيعلم أيهم أحسن عملاً، ثم ليكون الجزاء بحسب ذلك.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤] .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ

عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [هود: ٧] .

وقال تعالى: ﴿وَللهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى﴾ [النجم:٣١] .

وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

٢- باب: الله تعالى يرقب أعمال العباد

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١] .

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧] .

٣- باب: الإنسان كاسِبٌ أعمالاً ولابدّ، خيراً كانت أو شراً

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً. وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ. فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً. وَيَصْلَى سَعِيراً﴾ [الانشقاق: ٦-١٢] .

روى مسلم (طهارةح١) عن أبي مالكٍ الأشعريّ، قال: "قال رسول الله

ﷺ: الطَّهورُ شَطْرُ الإيمان ... الحديث إلى أن قال: كلُّ الناسِ يَغْدُو فَبـائِع نَفْسَـهُ فَمُعْتِقُها أو مُوْبِقُها» .

وروى أبـو داود (أدب ب٦١) عـن أبـي وَهـبٍ الجُشَـميّ - وكـانتْ لـه صُحْبَة- قال: «قال رسول الله ﷺ: تَسَمَّوا بأسماء الأنبياء، أحـبُّ الأسمـاء إلى الله عبدُ الله وعبدُ الرحمن، وأصْدَقُها حارثٌ وهَمّامٌ، وأقْبَحُها حَرْبٌ ومُرَّةٌ» .

وإنما كان أصدق الأسماء حارثاً وهمّاماً، لأن الإنسان-أي إنسان- لا يخلو من عملٍ وهمٍّ بعمل. والاحتراث العمل للكسب، والهَمُّ: العزم على الفعل.

٤- باب: لا ينظر الله تعالى من العبد إلا إلى قلبه وعمله

روى مسلم (برّ ح ٣٤) عن أبي هريرة، قال: «قال رسـول الله ﷺ: إن الله لا ينظر إلى صُوَرِكم وأموالكم» قال بدله في رواية: «وأجسـامكم، ولكـن ينظـر إلى قلوبكم وأعْمالِكمْ» .

٥- باب: التكاليف على العباد لا يعود من صالحها على الله شيء ولا ينقصه فعل سيئها شيئاً

قال الله تعالى في ذبح ذبائح الهـدي في الحج تقرُّبـا إليـه: ﴿لَـن يَنَـالَ اللَّـهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَـكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾[الحج: ٣٧].

روى مسلم (برّ ح ٥٥) عن أبي ذر «عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تعالى أنه قال: يا عبادي إني حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نفسي، وجعلتُهُ بيْنكُـمْ مُحَرَّمـاً، فـلا تَظَالَموا ...» الحديث إلى أن قال: «يا عبادي إنكم لَنْ تَبْلُغوا ضُـرِّي فتضرونـي، ولن تبلغوا نَفْعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أوَّلَكُمْ وآخِرَكـم وإنسَـكُمْ وجنَّكـم كانوا على أتقى قلب رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يـا عبـادي

لو أن أولكم وآخركُمْ وإنْسَكُمْ وجنّكُمْ كانوا على أفجر قلب رجل واحدٍ منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً... يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيهـا لكم ثم أُوَفِّيكُمْ إياها فمن وجد خيراً فلْيَحْمَدِ الله، ومن وَجَدَ غَيْرَ ذلكَ فلا يلومنّ إلاَّ نَفْسَهُ» .

٦- باب: لم يكلِّف الله تعالى هذه الأمة بما لا يطيقون من العمل ولا بما فيه حرج

قال الله تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦] .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢] .

وقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨] .

٧- باب: وقوع الرخص في الفرائض إذا وقع المكلف في الحرج

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ

وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مَّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَاءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَـكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦] .

وقال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

أقول: وللترخيص المذكور في الباب أوجه كثيرة عدا ما ذكر في الآيتين تعلم بالرجوع إلى كتب الحديث وكتب الفقه.

٨- باب: تعلُّمِ العلمِ والعملِ

روى الإمام أحمد (٥/ ٤١٠) عن أبي عبد الرحمن [هو السُّلَميّ] قال: «حدثنا من كان يقرئنا القرآن من أصحاب النبيِّ ﷺ أنهم كانوا يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آياتٍ، فلا يأخُذُونَ في العَشرِ الأُخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل. قالوا: فَعَلِمْنَا العلم والعمل» .

٩- باب: الناسُ بالنسبة للعلم والعمل ثلاثة أصناف

روى مسلم (فضائل ح ١٥) عن أبي موسى، قال: «قال النبي ﷺ: إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً، فكانت منها طائفةٌ طيبةٌ قبلت الماء، فأنبتَتِ الكلأَ والعُشْبَ الكثير؛ وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله عز وجلّ بها الناس، فشربوا منها وسَقَوْا وزرعوا؛ وأصاب منها

طائفة أخرى إنما هي قيعانٌ لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً. فذلك مثل من فَقُـهَ في دين الله ونفعَهُ ما بعثني الله به، فعَلِمَ وعلَّم، ومثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلـك رأسـاً، ولم يقبلْ هُدى الله الذي أُرسِلْتُ به» .

١٠- باب: من يعلِّم الخير ولا يعمل به

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ.﴾ [البقرة: ٤٤] .

قال النخعي: ثلاثُ آياتٍ منعتْني أن أقُصَّ عليكم: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّـاسَ بِـالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] ؛ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] ؛ ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] (نقل ذلك القرطبي: ١٨/ ٨٠) .

١١- باب: أهل علم الدين في العمل ثلاثة أصناف

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُـمْ ظَـالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢] .

قَسَم المصطَفَيْنَ من عبادِ الله تعالى، وهم الذين اختارهم لِعلـم دينـه، وهـم المؤمنون به المصدقون بما جاءت به الرسل، ثلاثة أقسام:

فالظالمون لأنفسهم هم المفرِّطـون في جَنْـبِ الله، بفعـل بعـضِ المعـاصي أو الغفلة عن بعض الفرائض .

والمقتصدون: هم الذين يتركون المعاصي، ويقتصرون من الأعمال الصالحة

على الفرائض .

والسَّابقون بالخيرات هم الذين يضمُّون إلى ذلك المسارعةَ إلى النوافل، ويلتمسون من العمل ما فيه رضوان الله تعالى ويتورَّعون عن الشبهات والمكروهات، فهم دائما في تحرّي أبواب الخير، يتميّزون بذلك عن جمهور المؤمنين.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : «حديث جبريل عندما سأل النبيَّ ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم قال النبي ﷺ: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» هو نظير ما في الآية من قسمة الناس إلى ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابقٍ بالخيرات».

١٢- باب: المقتصد في العمل هو من المفلحين

روى مسلم (إيمان ح ٨) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه، قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجدٍ، ثائرُ الرأس، نسمع دَويَّ صوتِهِ ولا نفقَهُ ما يقول، حتى دنا من رسول الله ﷺ، فإذا هو يسأل عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: خَمْسُ صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل عليّ غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطّوّع. وصيام شهر رمضان. فقال: هل عليّ غيره؟.فقال: «لا. إلاّ أن تَطّوّع. وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة. فقال: هل عليّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطّوع. قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله ﷺ «أفلح إن صَدَق» .

وانظر: (خ: إيمان ب ٣٤، صوم١، شهادات ب ٢٦؛ د: صلاة ب؛ ط: سفر ح ٩٤) .

١٣- باب: السابقون بالخيراتّ هم المكثرون من نوافل الأعمال

روى البخاري (رقاق ب ٣٨) عن أبي هريرة رضـي الله عنه، قـال: قـال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: من عـادى لي وليّاً فقـد آذنتـه بـالحرب، ومـا تقـرَّبَ إليّ عبـدي بمثـل أداء مـا افترضت عليـه، ولا يـزال عبـدي يتقـرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعَهُ الذي يسمَعُ به، وبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويَدَهُ التي يَبْطشُ بها، ورجْلَهُ التي يَمْشي بها. ولئـن سـألَني لأعطيَنَّـهُ، ولئـن استعاذني لأُعيذنَّه، وما تردَّدْتُ عن شيء أنا فاعِلُـهُ تـردُّدِي عـن قبـض نفسـي عبدي المؤمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وأكرَهُ مَسَاءَتَهُ.» انفرد به البخاري وقد ضعَّف هـذا الحديث بعض الأئمة.

١٤- باب: حلاوة العَامِلِ بالقرآن في كل أموره ، وسرور الناس بقراءته

روى البخاري (فضائل القرآن ب ٣٦) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قـال: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأُتْرُجَّـة، طعمهـا طيـب وريحهـا طيـب؛ والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كـالتمرة، طعمهـا طيـب ولا ريـح لهـا؛ ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ؛ ومثـل المنـافق الذي لا يقرا القرآن كالحنظلة طعمها مرّ أو خبيث، وريحها مرّ» .

وانظر: (د وصايا ب ٣؛ ت أدب ب٧٩) .

١٥- باب: أخذ النبي ﷺ البيعة مـن أصحابـه علـى الإيمـان والعمـل الصـالح وتجنّب الكبائر

روى البخاري (إيمان ب ١١) عن عبادة بن الصامت: «أن رسـول الله ﷺ قال وحوله عصابة مـن أصحابـه: بـايعوني علـى ألاّ تشـركوا بـالله شـيئاً، ولا

تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وَفَى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفّارَةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم سَتَرَه الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك ».

١٦- باب: الشباب المؤمنون العاملون هم غرس الله في دين الإسلام

روى ابن ماجه (مقدمة ب ١) عن أبي عِنَبَةَ الخولاني، وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته» .

وانظر: (حم ٤/ ٢٠٠) .

١٧- باب: من فطنة الرجل أن ينتهز فرصة الحياة فيعمل لما بعدها وأن يحاسب نفسه لله ما دام في سعةٍ من أمره

روى الإمام أحمد (٤/ ١٢٤) عن شداد بن أوس قال: «قال رسول الله ﷺ: الكيِّس من دان نَفَسه وعَمِلَ لما بعد الموت، والعاجِزُ من أتبعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وتمنّى على الله» .

وانظر: (ت قيامة ب ٢٥).

١٨- باب: مجاهدة النفس لطاعة الله

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] .

وقال: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ [المزمّل: ٨] .

القسم الأول
الأعمال الصالحة

الجناح الأول

العَمَلُ الصالح والقَدَر

١- باب: من آمن بالآخرة واتقى الله تعالى يسَّره لفعل الخيرات، ووفقه لذلك

قال الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى. فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١-١٠].

٢- باب: خَلَقَ الله للجنة أهلاً لها يعملون. وخَلَقَ للنار أهلاً لها يعملون

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩] .

روى الإمام مالك (قدر ح٢) عن مُسْلِمِ بنِ يَسَارٍ الْجُهَنِيِّ: «انَّ عُمَرَ بنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عن هَـذِهِ الآيَـةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢] . فقالَ عُمَرُ رَضِيَ الله عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ سئل عنها، فقـالَ: إنَّ الله تبـاركَ وتعـالى خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فقالَ: خَلَقْتُ هَـؤُلاَءِ لِلْجَنَّةِ، وبِعَمَلِ

أهْلِ الْجَنّةِ يَعْمَلُونَ. ثُمّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيّةً، فقالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاءِ لِلنّارِ، وَبِعَمَلِ أهْلِ النارِ يَعْمَلُونَ. فقالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: إنّ الله تَعَالَى إذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أهْلِ الْجَنّةِ حَتّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِ أهْلِ الْجَنّةِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ الْجَنّةَ. وَإذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أهْلِ النّارِ حَتّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أعمَالِ أهْلِ النّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهِ النّارَ» .

وانظر: (ط قدر ب٢؛ د سنة ب ١٦؛ ت تفسير الأعراف ب٢).

المراد والله أعلم - بعمل أهل النار الأعمال المكفِّرة.

٣- باب: قد عَلِمَ الله تعالى منزل كل واحدٍ من خلقه في الجنة أو في النار قبل خلقهم

روى مسلم (قدر ح٧) عَنْ عَلِي، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِساً، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إلاّ وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنّةِ وَالنّار. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلاَ نَتّكِلُ؟ قَالَ: «لاَ. اعْمَلُوا، فَكُلّ مُيَسّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ» . ثُمّ قَرَأَ: ﴿فَأَمّا مَنْ أَعْطَى وَاتّقَى. وَصَدّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل ٥-١٠] .

وانظر: (د سنة ١٦) .

وروى البخاري (قدر ب ٢) عن عمران بن حصين قال: «قال رجل: يا رسول الله، أيُعْرَفُ أهلُ الجنةِ من أهلِ النار؟ قال: نعم. قال: فلِمَ يعمل العاملون؟ قال: كلٌّ يعمل لما خُلِقَ له، أو: لما يُيَسَّر له» .

وانظر: (خ توحيد ٥٤؛ م قَدَر ٩؛ د سنّة ١٦) .

٤ـ باب: أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار قد كتبت على حسب ما يعلم الله أنهم عاملون

روى الإمام أحمد (٢/ ١٦٧) عن عبد الله بن عمرو، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان ...» الحديث، وفي آخره: «فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأيِّ شيءٍ إذَنْ نعمل إن كان هذا أمراً قد فُرِغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: سَدِّدُوا وَقَارِبوا، فإن صاحِبَ الجنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ الجنة وإن عَمِلَ أيَّ عَمَلٍ، وإن صاحب النار ليختم له بعمل النار وإنْ عَمِلَ أيَّ عملٍ. ثمَ قال بيده، فقبضها، ثم قال: فَرَغَ ربكم عز وجل من العباد. ثم قَالَ بِاليُمْنى، فَنَبَذَ بها، فقال: فريقٌ في الجنَّةِ. ثُمَّ نَبَذَ باليُسْرى، فقال: فريقٌ في السعير».

وانظر: (ت قدر ب ٨).

الحديث حسنه الترمذي، وفيه راوٍ ضعيف.

«قال بيده» أي: حرّكها كأنه يرمي بها شيئاً.

روى الإمام أحمد (١/ ٢٩) عن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أنه قال للنبي ﷺ: أرأيت ما نعمل فيه، أقد فُرِغ منه، أو في شيء مبتدأ، أو: أمر مبتدع؟ قال: فيما قد فُرِغ منه. فقال عمر: ألا نتكل؟ فقال: اعمل يا ابن الخطاب. فكلٌّ ميسّر، أما من كان من أهل السَّعَادة فيُيَسَّرُ للسعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيعمل للشقاء».

وانظر: (ت قدر ب ٣).

في إسناده من ضُعّف. وقال الترمذي هو حسن غريب.

٥- باب: عملُ الإنسان وسعادتُهُ في الآخرة أو شقاؤه يكتبه الملك بأمر الله تعالى، والعبد في بطن أمه

روى البخاري (توحيد ب ٢٨) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: «حدثنا رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، أن خلق أَحَدِكُمْ يجمع في بطن امّهِ أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثم يكون عَلَقةً مثله، ثم يكون مُضْغَةً مثله، ثم يبعث إليه الملَكُ فيؤذَنُ بأربع كلماتٍ: فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ثم ينفخ فيه الروح. فإنَّ أحَدَكم ليعمل بعمل أهل الجنةِ حتى لا يكون بينَهُ وبينَها إلا ذراعٌ، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها» . قوله: «فإن أحدكم ليعمل...» إلى آخر الحديث مُدْرج في الحديث من كلام ابن مسعود موقوفاً، على ما في بعض رويات الحديث ، عند أحمد والنسائي، وذكره في فتح الباري في شرح الحديث (٦٥٩٤).

«يعمل بعمل أهل النار» أي الارتداد عن الإسلام والعياذ بالله تعالى (فتح الباري ١١/ ٤٩٠).

وانظر: (خ قدر ب ١، ٥؛ م قدر ح١، ١٢، إيمان ح ١٧٩) .

٦- باب: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استَعْمَلَهُ

روى الترمذي (قدر ب ٨) عن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً استَعْمَلَهُ . فقيل: كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفَّق لعملٍ صالح قبل الموت» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٧- باب: التوفيق للإيمان والعمل الصالح إنما هو بهداية الله

قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٢-٦].

وقال عز ذكره: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال تعالى في حكاية قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

روى النسائي (افتتاح ب ١٦) عن جابر، قال: «كان النبي ﷺ إذا استفتح الصلاة كبرّ، ثم قال: إن صَلاَتي ونُسُكي ومَحْيَايَ ومماتي لله ربِّ العالمين. لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا من المسلمين. اللّهمَّ اهدني لأَحْسَنِ الأعمال وأحسن الأخلاق، لا يهدي لأَحْسَنها إلا أَنْتَ وقني سيئ الأعمال وسيئ الأخلاق، لا يقي سيئها إلا أنت».

٨- باب: من يُقْبِلُ على الأعمال الصالحة بانشراح صدر بهداية الله له

قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

٩- باب: تحبيبِ اللهِ الإيمانَ والعملَ الصالح للمؤمنين الصادقين بفضله ونعمته

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَـئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَـكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور: ٢١].

١٠- باب: حرص المؤمن على ما ينفعه في دينه ودنياه. ولا يتعلّل بالقدر

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٧٠) عن أبي هريرة: «عن النبي ﷺ قال: المؤمن القويّ خيرٌ وأحبٌ إلى الله من المؤمن الضعيف. وفي كلٍّ خير. احرص على ما ينفعك، ولا تعجز، فإن غلبك أمرٌ فقُلْ: قَدَّر الله، وما شاء صَنَع. وإيّاك واللوّ، فإن اللّوَّ يفتح من الشيطان» .

١١- باب: استنكاف اليهود عن العمل الصالح بعد بعثة عيسى عليه السلام واستنكاف النصارى عن العمل الصالح بعد بعثة محمد ﷺ، بكفرهم بهما، فنقضوا ميثاق العمل مع الله تعالى

روى البخاري (إجارة ب ١١) عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي

ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهودِ والنصارى كَمَثَلِ رجلٍ استأجَرَ قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل، على أجرٍ معلوم، فعملوا له نِصْفَ النهار، فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجْرِكَ الذي شَرَطْتَ لَنَا، وما عَمِلْنا باطل. فقال لهم: أكْمِلُوا بقية يومكم وخذوا أجركم كاملاً. فأَبَوْا وَتَرَكُوْا. واسْتَأْجَرَ آخرِينَ بَعْدَهُم. فقال: أكملوا بقية يومِكُمْ هذا ولكم الذي شَرَطْتُ لهم من الأجر. فَعَمِلوا، حتى إذا كان حينُ صلاةِ العصر قالوا: لَكَ ما عَمِلنا باطل، ولك الأجر الذي جعلتَ لنا فيه. فقال لهم: أكملوا بقيةَ عَمَلِكُمْ فإنَّ ما بقي من النهار شيءٌ يَسِيرٌ. فأبوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا بقية يومهم. فَعَمِلوا بقية يومِهِمْ حتى غابت الشمس، واستكملوا أجر الفريقين كليهما. فذلك مَثَلُهم ومثل ما قَبِلوا منْ هذا النُّور» .

(وانظر: خ أنبياء ب ٥٠، إجارة ب ٩، ١١؛ ت أدب ب ٨٢) .

قال ابن حجر (الفتح ٤/٤٤٨) : ظاهر المثَل أن الله تعالى قال لليهود: آمنوا بي وبرسلي إلى يوم القيامة فآمنوا بموسى إلى أن بعث عيسى فكفروا به. وقولهم «وما عملنا باطل» إشارة إلى إحباط عملهم بكفرهم بعيسى. وكذلك القول في النصارى إلا أنهم اقتصروا على الربع من جميع النهار. واستكمل المسلمون أجر الفريقين بإيمانهم بالأنبياء الثلاثة اهـ.

١٢- باب: وقت العمل حياة المرء في هذه الدنيا فلا عمل بعد الموت ولا في يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩].

وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

روى البخاري (رقاق ب ٤) تعليقاً، ان عليّ بن أبي طالب قال: «ارتحلت الدنيا مدبرةً، وارتحلت الآخِرَةُ مقبلةً. ولكل واحدةٍ منهما بَنُونُ. فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا. فإن اليومَ عملٌ ولا حِسَابٌ، وغداً حِسَابٌ ولا عمل» .

وروى مسلم (وصية ح١٤) «أن رسول الله ﷺ قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له».

١٣- باب: استثناء أهل الفترة، ومن مات من أولاد المشركين صغيراً، أو من مات مجنوناً لا يعقل، ومن لم تبلغه دعوة الرسل، فقد ورَد أنهم يكلَّفون بالعمل في عَرَصَاتِ القيامة. اختباراً لهم وابتلاء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

روى الإمام أحمد (٤/ ٢٤) عن الأسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال: «أربعة يحتَجُون يوم القيامة: رجل أصمُ لا يسمع شيئاً، ورجل أَحْمَقُ، ورجل هَرِمٌ، ورجلٌ مات في فترة. فأما الأصم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً؛ وأما الأحمق فيقول: ربّ جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبَعَر؛ وأما الهَرِم فيقول: ربّ لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً؛ وأما الذي مات في الفترة فيقول: ربّ ما أتاني لك رسول. فيأخذ مواثيقهم لَيُطيعُنّه، فيرسلُ إليهم: أن ادخلوا النار. فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً

وسلاماً» .

وروى مثله عن أبي هريرة غير أنه قال: «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً. ومن لم يدخلها يسحب إليها» .

قال ابن كثير عند الآية: ورواه إسحاق، ورواه البيهقي، وقال: هذا إسناد صحيح. وروى نحوه حماد بن سلمة وابن جرير عن أبي هريرة موقوفاً.

١٤- باب: إذا حضر الإنسانَ الموتُ، أو جاء شيء من الأمارات الكبرى للساعة، لم ينفع الإنسان العملُ الصالحُ، لأن الكلَّ يؤمنون

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨].

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٥٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعةُ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربها، فإذا طلعتْ الشمس من المغرب آمن الناس كلهم، وذلك حين لا ينفَعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنتْ من قبلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيراً» .

وانظر: (حم ٣/ ٣١) .

١٥- باب: استثناء الصدقة بالثلث أو ما دونه، أو الوصية بذلك، فإنها تنفع المحتضر

روى البخاري (وصايا ب ١٩) عن أم المؤمنين عائشة رضيَ الله عنها: «أنّ رجُلاً قال للنبيِّ ﷺ: إنّ أمّي افتُلِتَتْ نَفسُها، وأُراها لو تَكلّمتْ تصدّقَت،

أفأتصدّقُ عنها ؟ قال: نعم، تصدَّقْ عنها» .

١٦- باب: من كان في حال الاحتضار لم ينفعه إيمانه في تلك الحال ولا توبته، ولا عمل صالح يعمله، غير الوصية المتقدم ذكرها

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء: ١٨].

١٧- باب: يختم على عمل الميت فلا يزاد فيه إلى يوم القيامة إلا ما سعى فيه

روى أبو داود (جهاد ب ١٥) عن فضالة بن عبيد: «أن رسول الله ﷺ قال: كل الميّتِ يُخْتَمُ على عمله إلا المرابط، فإنه يَنْمو له عمله إلى يوم القيامة».

وروى مسلم (وصية ١٥) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له» .

وانظر: (د وصايا ب ١٤؛ حم ٢/ ٣٥، ٣١٦، ٣٧٢) .

١٨- باب: لا يبقى مع الميت في قبره إلا إيمانه وعمله

روى البخاري (رقاق ب ٤٢) عن أنس بن مالك، قال: «قال رسول الله ﷺ: يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يتبعه أهله وماله وعمله. فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله» .

وانظر: (م زهد ب٢٥؛ ت زهد ب٤٦؛ ن جنائز ب٥٢) .

الجناح الثاني
طبيعة العمل الصالح وأقسامه

١- باب: الإيمان أصل الأعمال الصالحة وهو أفضلها

روى البخاري (إيمان ب ١٨) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: إيمانٌ بالله ورسولِهِ. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرور» .

٢- باب: الأعمال الصالحة هي شعب الإيمان

روى مسلم (إيمان ح٥٨) عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: الإيمان بضعٌ وسبعون شُعْبَةً، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان» .

ورواه الترمذي أيضا (إيمان ب ٦) عن أبي هريرة بلفظ: «قال رسول الله ﷺ: الإيمان بضعٌ وسبعون باباً، أدناها إماطة الأذى عن الطريق، وأَرْفَعُها قول لا إله إلا الله» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٣- باب: رأس الأعمال الصالحة العبادات بالمعنى الأخص وهي مأمورٌ بها في مِلل الأنبياء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ

وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَجَاهِدُوا فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِالله هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

وروى مسلم (إيمان ح ٢١) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله ﷺ: بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت».

٤- باب: المأمورُ به من الأعمال الصالحة لا يقتصر على العبادات المرسومة بل هو أشمل من ذلك وأوسع

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

٥- باب: يكون العمل صالحاً إذا أمر الله به أو رسوله ولو لم نعلم فيه مصلحة أو نفعا عاجلاً

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الله لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ

تَعْلَمُونَ. قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وقال: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٦- باب: كلُّ عملٍ نافعٍ للناس أو للحيوان قصد به وجه الله فهو عبادة بالمعنى الأعم للعبادة. ولو لم يَأْمُر الله أو رسولهُ به بخصوصه

قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وروى البخاري (حرث ب ١) عن أنسٍ رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طيرٌ أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة» .

وانظر: (م مساقاة ح ٨) .

وروى مسلم (سلام ح ١٥٤) عن أبي هريرة قال: «قال النبي ﷺ: بينما كلبٌ يطيف برَكيَّةٍ قد كاد يقتله العطش إذ رأتْهُ بَغيٌّ من بَغَايا بني إسرائيل، فنزعتْ مُوقها، فاستَقَتْ له به، فسقته إياه، فَغُفِرَ لها به» .

قوله «مُوقها» يعني حذاءها.

وروى الإمام أحمد (٣/ ٤٣٨) من طريق ابن لهيعة عن سهل بن معاذ عن أبيٌ أنه قال: «مَنْ بَنَى بُنْياناً من غير ظلم ولا اعتداء، أو غَرَسَ غرساً في غير ظلم ولا اعتداء، كان له أجْرٌ جارٍ ما انتفعَ به من خلق الله تعالى» .

ابن لهيعة ضعيف .

وروى مسلم (صيام ح ١٠٠) عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ في سفرٍ، فَصامَ بعضٌ وأفْطَرَ بعضٌ، فتحزَّم المفطرون وعملوا، وضَعُفَ الصُّوَّامُ عن بعضِ العمل. قال: فقال في ذلك: ذَهَبَ المفطرون اليوم بالأجر» .

وانظر: (خ جهاد ب ٧١) .

فمن العبادة بالمعنى الأعم امتثال أمر الله تعالى عن خضوعٍ ومحبَّةٍ وخَشْيةٍ.

والخضوع يأتي من العلم بقُدْرَةِ الله الفائقةِ الغالبة لكلِّ قُدْرَةٍ، والعِلْمِ بأنه وحده يملكُ الخَيْرَ والشرَّ، ويستطيع أن يهب لمن يشاء ما يشاء، ويحرم من يشاء ما يشاء، وأنه مطَّلعٌ على قلوبِ العباد وأعمالهم، وأنه يجزي المحسنين خير الجزاء، ويجزي المفسدين شر الجزاء.

والمحبة تأتي من العلم بفضل الله على الإنسان في خَلْقِهِ له من العَدَم، وإحسانِ تقويمه، ومَهْد الأرض له، وحفظِهِ إيّاه، وهدايته لمصالحه، واستخلافِهِ في الأرض، وتمكينه فيها، وإكرامِهِ له، وأن كل نعمة فهي منه تعالى. والخشيةُ

تأتي من العلم بعظمة المخالَفَةِ، وجزاء العصيان. والخضوعُ والمحبة والخوف، تقتضي الإتيان بكل ما يطلبه الله تعالى من الإنسان، عن رغبة في ذلك الفعل، واحتساب للأجر عليه. ويجتنب كل ما نهاه عنه، خوفاً من الله تعالى.

ومن العبادة بالمعنى الأعم الأفعال النافعة. على ما تقدم بيانه، لمن فعلها ابتغاء وجه الله.

أما العبادة بالمعنى الأخص فهي تشمل أنواعا محددة بكيفيات مرسومة وهي الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد والذكر والاعتكاف وذبح القرابين.

وخاصة هذا النوع أنه لا يزاد فيه عبادات أخرى لم ترد عن الله تعالى أو رسوله، فلا يُعبَدُ الله إلا بما شرع، وما يزاد منه يكون بدعة يأثم بها فاعلها ولا يؤجر.

أما ما خرج عن ذلك من أنواع العبادة بالمعنى الأعم فمنظور فيه إلى النفع الذاتي والنفع المتعدي، وليس ذلك محدداً بحد، فمن فعله بنية صالحة يؤجر عليه، ومن فعله بغير نية فلا أجر كالعدل بين الناس، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واكتساب الرزق، بل النكاح والزراعة والتجارة، بل الرياضة والألعاب الترويحية، وغير ذلك. فهذا النوع ليس محدداً بحد، وليس فيه تقييد، ولا تتناهى أنواعه.

٧- باب: من يخترع عبادةً لله من عند نفسه أو يتابع مخترعاً

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ الله إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ١٤]. ٥٠

وقال عز من قائل: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

وَاتَّبَعُواْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٤].

وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥].

المكاء الصفير. والتصدية التصفيق.

وقال: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَـكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣].

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي أشياء من الأنعام كان العرب يتديّنون بتحريمها على أنفسهم.

٨- بـاب: التعبُّدِ لله تعالى بفعل ما لم يَجْعله الله قربةً من المباحات والتعبد بترك ما لم يشرع لنا تركه

روى البخاري (أيمان ب ٣١) عن ابن عباس قال: «بينا النبي ﷺ يخطب إذا هُوَ برجلٍ قائمٍ، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل، نَذَر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظلّ، ولا يتكلّم، ويصوم، فقال النبي ﷺ: مُرْهُ فليتكلَّمْ، وليستظلَّ، وليقعُد، وليُتِمَّ صومه» .

وانظر: (د أيمان ب ١٩؛ ط نذور ح ٦) .

أقول: أمره بإتمام الصوم لكونه مما شرع الله لهذه الأمة التعبّد به، وأمره بترك ما تعبَّدَ لله به من عند نفسه، من القيام لله في غير الصلاة، والصمت عن الكلام كما يفعله بعض الصوفية أياماً وليالي متصلة، والبقاء في حرّ الشمس

دون استظلال .

٩- باب: التعبد بترك الطيبات ليس من دين الإسلام

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ذكر الله تعالى في هذه الآية الزينة ، وهي الملابس الجميلة ونحوها من أنواع ما يتزين به، والطيبات من الرزق، وهي الأطعمة المستلذة. فكلها وسائر الطيبات لا يشرع للإنسان التنزه عنها، ما لم يخرج إلى حدّ الإسراف، أو تناولِ المحرمات منها كالحرير والذهب للرجال. ومن تنزه عن الزينة المباحة والطيبات من الأطعمة الحلال فهو مبتدع متبع لهواه.

روى الإمام أحمد (٣/ ٢٨٥) عن أنس: «أن نفراً من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرّ، فقال بعضهم: لا أتزوجّ النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش، وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر. فقام، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

(وانظر: خ نكاح ب١؛ م نكاح ح٥).

أقول: الفعل الذي لم يشرعه الله تعالى لنا عبادة نعبده بها، ولا أمرنا به رسول الله ﷺ ولا فَعَلَ فعلاً سُنّ لنا أن نتأسّى بهِ فيه، فهذا ليس من العبادات والقُرَبِ، فاتخاذ هذا قربةً مخالفةٌ صريحة للشريعة.

وما فعله من المباحات على غير وجه التعبُّد يجوز لنا أن نفعله مباحاً كما فعله هو ﷺ مباحاً، ولكن لا يشرع لنا أن نجعله عبادةً وقربة، بل نتّبعُهُ فيه، فنفعله مباحاً كما فعله مباحاً، ومن المخالفة أن نفعله تعبداً وهو ﷺ لم يفعله تعبُّداً، كالوقوف بمكان معين وقف فيه والسير في طريق سار فيه .

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى الناس يتبادرون إلى مكان يصلون فيه، فسأل عن ذلك، فقالوا: قد صلى فيه النبي ﷺ. فقال عمر: «من عرضت له الصلاة فليصل، وإلا فليمض. فإنما أهلك أهل الكتاب؛ لأنهم تتبعوا آثار أنبيائهم فاتخذوها كنائس وبيعاً.» [1].

وكذا سائر المباحات لا يشرع اتخاذها عبادات، لقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ﴾[الشورى: ٢١].

فإن اتخذ المكروهات والمحرمات، كالغناء والرقص والمعازف والضرب بالدفوف وأكل لحم الخنزير والميتة- عبادةً وقربةً، فذلك أدْخَلُ في الضلال والبعد عن شرع الله تعالى أضعافا مضاعفة، لأنه جمع إلى البدعة ارتكاب المحرمات، واستحلالُها كفر كما هو معلوم، إن كانت مُجمعاً عليها معلومة من الدين بالضرورة.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «ومما يأمرون به- يعني بعض الصوفية- الجوع والسهر، والصمت، مع الخلوة، بلا حدود شرعية، بل سهرٌ مطلق، وجوع مطلق، وصمت مطلق، مع الخلوة، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره.»

ثم قال: «وهذه الخلوات قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ١/٥٦٩؛ ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٣٣.

ولا إقامة، ولا مسجدٌ يصلى فيه الصلوات الخمس، بل إما مساجد مهجورة، وإما غير مساجد، مثل الكهوف والغيرَان التي في الجبال، ومثل المقابر التي يقال إنّ بها أثر نبيٍّ أو رجلٍ صالح. ولهذا يحصل لهم في هذه المواضع أحوال شيطانية، يظنون أنها كرامات رحمانية» (مجموع الرسائل والمسائل ٣/ ٩٠-٩٣).

١٠- باب: انقسام الأعمال الصالحة إلى أفعال صالحة وتروك يترك بها الحرام

من تَرَكَ المحرمات والأفعال الضّارّة، واجتنب الفساد، لوجه الله تعالى، فقد عمل أعمالاً صالحةً يؤجر عليها.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٢٦، ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً. وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً. وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً. إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً. وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً. وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٨].

١١- باب: الأعمال القلبية

روى أبو داود (سنة ب ٢) عن أبي ذر، قال: «قال رسول الله ﷺ: أفضل الأعمال الحبُّ في الله والبُغْضُ في الله».

وانظر (خ إيمان ب١؛ حم ٤/ ١٩٨) .

ومن الأعمال القلبية الصالحة: الصبر على أقدار الله المؤلمة، والشكر له على نعمه، والخوف منه، ورجاؤه، والرضا عنه وإحسان الظنّ به، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتقواه، وحبّ الصالحين من عباده، وحب الأعمال الصالحة، وكراهية المنكر، وبغض الكفر والكافرين، وبغض المعاصي وأهل المعاصي.

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٥٩) عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ قال: إن حُسْنَ الظن بالله عز وجل من حسن عبادة الله» .

وانظر: (د أدب ٨١) . لكن هذا حديث ضعيف.

١٢- باب: من الأعمال الصالحة القلبية إعمال الفكر في آيات الله الكونية وتدبّر آياته التنزيلية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

ونقل القرطبي (تفسيره ٤/ ٣١٥) عن مالك، قال: «قيل لأمِّ الدرداء: ما كان أكثر شأن أبي الدرداء؟ قالت: كان أكثر شأنِهِ التَّفكُّر» . قيل له: «أفترَى التَّفكُرُ عملٌ من الأعمال؟ قال: نعم، هو اليقين» .

ثم قال القرطبي: السُّنَّةُ التي يُعْتَمَدُ عليها الجمعُ بين التفكر في المخلوقات،

ثم الإقبال على الصلاة بعده، لحديث الصحيحين عن ابن عباس: «أنه بات عند خالته ميمونة» وفيه «فقام رسول الله ﷺ فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الخواتم من سورة آل عمران [وفيها الآية المذكورة أعلاه]، وقام إلى شَنٍّ مُعَلَّقٍ فتوضأ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة» الحديث.

قال القرطبي: وأما طريقة الصوفية، وهي أن يبقى الشيخُ، يوماً وليلةً وشهراً، متفكراً لا يفتر، فطريقةٌ بعيدة من الصواب، غير لائقةٍ بالبشر، ولا مستمرةٍ على السنن» اهـ.

١٣- باب: انقسام الأعمال الصالحة إلى بدنيّة وماليّة

الأعمال الصالحة إما بدنية صرفة، كالصلاة والصوم، وإما مالية صرفة، كالزكاة والصدقة، وإما مركَّبةٌ منهما، كالحجّ، فإن الحاج يحج بنفقته وفعله، ويؤجر عليهما جميعاً، وكالجاهد، يقول الله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ الله ذلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

والأعمال البدنية إما أن تكون بالبدنِ كلّه كالصلاة، والمشي إليها، وإما أن تكون بعضوٍ واحد أو أكثر من أعضاء البدن، ومن ذلك الذكرُ باللسانِ، والكتابة باليد، واستماعُ القرآن بالأذن، وغير ذلك.

١٤- باب: كثرةِ الأعمال الصالحة وخصالِ الخير المشروعة لهذه الأمة

روى البخاري (هبة ب ٣٥) عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعون خصلة أعلاهنّ منيحة العنز، ما من عاملٍ يعمل بخصلةٍ منهنّ رجاءَ ثوابها وتصديقَ مَوْعودِها إلا أَدْخَلَهُ الله بها الجنة».

وانظر (د زكاة ب ٤٢، حم ٢/ ١٦٠، ١٩٤).

وروى الإمام أحمد (٣/ ٤٨٢) عن أبي تميمةَ الهُجَيْمي، عن رجلٍ من قومه، قال: «لقيت رسول الله ﷺ في بعض طُرقِ المدينة... فذكر الحديث إلى أن قال: وسألته عن المعروف، فقال: لا تحقِرَنَّ من المعروف شيئاً ولو أن تعطي صِلَةَ الحبْلِ، ولو أن تعطي شِسْعَ النَّعل، ولو أن تنزع من دلوك في إناء المستسقي، ولو أن تُنَحِّي الشوك من طريق الناس يؤذيهم، ولو أن تلقى أخاك ووجهُك إليه منطلق، ولو أن تلقى أخاك فتسلِّم عليه، ولو أن تؤْنِسَ الوحشان في الأرض، وإن سبّك أحد بما يعلمه فيك وأنت تعلم فيه نحوه فلا تسبَّه، فيكون أجره لك ووزره عليه، وما سَرَّ أذنك أن تسمعه فاعمل به، وما ساء أذنك أن تسمعه فاجتنبه».

(وانظر حم ٥/ ٦٣، ٦٤).

وروى البخاري (صلح ب ١١) عن أبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «قال: رسولُ الله ﷺ: كلّ سُلامَى من الناسِ عليهِ صدقةٌ كلّ يومٍ تَطلُعُ فيهِ الشمسُ: يَعْدِلُ بينَ اثنين صَدقةٌ» وفي رواية (جهاد ب ٧٢، ١٢٨): ويُعينُ الرجُلَ في دابّتِهِ يحامله عليها، أو يَرفعُ عليها مَتاعَهُ صدقةٌ، والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ، وكلُّ خُطوةٍ يَمشيها إلى الصلاة صدقةٌ، ودلُّ الطريقِ صدَقةٌ».

وانظر (م: مسافرين ب٨٤).

١٥- باب: حَفْزِ الهِمَمِ إلى الأعمال الصالحات

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

روى الترمذي (قيامة ب ١٨) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ. أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ. أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

١٦- باب: من يؤثر الدنيا على الآخرة فيجعل لها كل عمله ودعائه

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ. وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. أُولَـئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٠-٢٠٢].

الجناح الثالث

فضل العمل الصالح

١- باب: من وفقه الله تعالى للإيمان والعمل الصالح فقد أكرمه ومن حرمه من ذلك فقد أهانه ولو آتاه من الدنيا ما آتاه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقال: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ [الفجر: ١٥، ٢٠].

قال المقريزي: «أي ليس كل من أعطيتُه ونعّمتُه وخولتُه فقد أكرمتُه، وما ذاك لكرامته عليّ، ولكن ابتلاء مني وامتحان له أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه وأحوله عنه لغيره. وليس كل من ابتليتُه فضيّقتُ عليه رزقه، وجعلته بقدْرٍ لا يفضُلُ عنه، فذلك من هَوَانِهِ عليَّ، ولكنَّ ابتلاء وامتحان مني له أيصبر فأعطيه أضعاف ما فاته، أم يسخط فيكون حظه

السخط» (تجريد التوحيد المفيد ص ٥٤ ط دار عمار- عمان ١٤٠٧ هـ) .

٢- باب: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح هم خير المخلوقات

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

٣- باب: العمل الصالح سبب لمحبّة الله للعبد ورفعه درجاته وولايته له

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ الله لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ. لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢،٦٤].

وروى أحمد (٤/ ٢١٩) عَنْ عُبَيْدِ بْنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ آخَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، فَقُتِلَ أَحَدُهُمَا، وَمَاتَ الآخَرُ بَعْدَهُ، فَصَلَّيْنَا عَلَيْهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا قُلْتُمْ؟ قَالُوا: دَعَوْنَا لَهُ: اللَّهُمَّ أَلْحِقْهُ بِصَاحِبِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَيْنَ صَلاَتُهُ بَعْدَ صَلاَتِهِ؟ وَأَيْنَ عَمَلُهُ بَعْدَ عَمَلِهِ؟ فَلَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» .

قلت: ومعناه أين أجر هذا الذي تأخر موته عن عمله الذي عمله بعد مقتل صاحبه؟!

٤- باب: الإيمان والتقوى والتقرب بنوافل العمل بعد فرائضه سبب لمزيد من الهداية والتمييز بين الخير والشر

قال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ الله يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ

عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[الأنفال:٢٤، ٢٥].

٥- باب: الأعمال الصالحة سبب تكفير السيئات والترقي في درجات الجنة

قال الله تعالى : ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولندخلنهم في الصالحين﴾[العنكبوت: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[العنكبوت: ٥٨].

وقال : ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: ١٣٢].

وقال: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾[طه: ٧٥].

٦- باب: الإيمان والتقوى سبب لمرتبة الإمامة في الدين ومن حُرِمَ الإيمان والتقوى لم يستحق أن يكون في الدين إماماً

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٢٤].

"وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين"

٧- باب: تدعو الملائكة حملةُ العرش الرحمنَ للمؤمنين المتبعين للحق بمغفرة ذنوبهم وإدخالهم الجنة مع ذرياتهم:

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

٨- باب: شهود الملائكة بعض أعمال الخير الكبرى من بني آدم

قال الله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء: ٧٨].

وروى البخاري (مواقيت الصلاة ب ١٦) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون» .

وانظر: (خ توحيد ٢٣، ٣٣) .

وروى الترمذي (دعوات ب ١٢٩) عَن أبي صَالِحٍ عَن أبي هُرَيْرَةَ أوْ أبي سَعِيدٍ، قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إنّ لله مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ في الأرْض فَضْلاً عَنْ كُتّابِ النّاس، فإذَا وَجَدُوا أقْوَاماً يَذْكُرُونَ الله تَنَادَوْا: هَلُمّوا إلى بُغْيَتِكُمْ، فَيَجيئُونَ فَيَحفّونَ بهِمْ إلى سَمَاء الدّنْيَا، فَيَقُولُ الله: على أيّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ. قالَ: فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْني؟ فَيَقُولُونَ: لاَ. قالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ

رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدّ تَحْميداً وَأَشَدّ تَمْجِيداً وَأَشَدّ لَكَ ذِكْراً ...الحديث» .

٩- باب: الأعمال المتميزة في الصلاح وسيلةٌ للإنسان إلى الله تعالى تنجيه إذا دعا بها عند الوقوع في الشدائد

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [الشورى: ٢٦].

روى البخاري (إجارة ب ١٢) أن عبدَ الله بنَ عمرَ رضيَ الله عنهما قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: انطَلَقَ ثلاثةُ رَهْطٍ ممن كان قبلَكم حتى أوَوُا المَبيتَ إلى غار فدَخَلوه، فانحدَرَتْ صَخرةٌ منَ الجَبَلِ فسدّتْ عليهمُ الغارَ. فقالوا: إنه لا يُنْجيكم من هذهِ الصّخرةِ إلاّ أن تدعوا الله بصالحِ أعمالِكم. فقال رجُلٌ منهمُ: اللّهمّ كانَ لي أبَوانِ شيخان كبيران، وكنتُ لا أغبِقُ قبلَهما أهلاً وَلاَ مالاً. فنأى بي في طلَبِ شيءٍ يَوْماً، فلَمْ أُرِحْ عَلَيْهما حَتّى نَامَا. فَحَلبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُما، فوجَدْتُهُمَا نائمين، وَكَرِهتُ أنْ أغبِقَ قَبْلَهُمَا أهلاً أو مالاً، فَلَبِثْتُ والقَدَحُ على يَدَيّ أنتظِرُ استيقاظَهما، حتّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاستيقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللّهُمّ إن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتِغاءَ وَجهكَ ففَرّجْ عَنّا ما نَحنُ فيه من هذهِ الصَّخْرةِ. فانفرَجَتْ شَيْئاً لا يَستطيعُونَ الخُرُوجَ. قال النبيّ ﷺ: وقال الآخرَ: اللّهُمّ كانتْ لي بنتُ عمٍّ كانت أحبَّ الناسِ إليّ، فأردتُها عنْ نَفْسِها فامْتَنَعَتْ منّي. حتّى ألَمّتْ بها سَنَةٌ منَ السنينَ، فَجاءتْني، فأعطيْتُها عِشْرينَ ومِائةَ دَينارٍ على أن تُخَلّي بيني وبينَ نفسِها. ففعلَتْ. حتّى إذا قَدَرْتُ عليها قَالَتْ: لاَ أُحِلُّ لكَ أن تَفُضّ الخاتَمَ إلاّ بحقّهِ. فتحرّجتُ منَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فانصرَفتُ عَنْهَا وَهيَ أحبُّ النَّاسِ إليّ، وتَرَكتُ الذّهَبَ الذي أعطيْتُهَا. اللّهُمّ إن كُنْتُ فعلتُ ذلكَ ابتِغاءَ وجهكَ فافرُجْ عنّا ما نحنُ فيهِ. فانفرَجتِ الصّخرةُ، غيرَ أنهم لا

يَستطيعُونَ الخروجَ منها. قال النبيّ ﷺ: وقـال الثـالث: اللّهُـمَّ إنـي استأجَرْتُ أُجراءَ فاعطيتُهُم أجرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحدٍ تَرَكَ الذي لهُ وذَهَبَ، فثمَّرْتُ أجرَهُ حتّى كثُرَتْ منهُ الأموالُ، فجاءني بعدَ حِينٍ، فقـال: يـا عبـدَ الله أدِّ إليّ أجْـري. فقلتُ له: كلّ ما تَرَى مِن أجْرِكَ منَ الإبلِ والبقـرِ والغنـمِ والرقيـق. فقـال: يـا عبدَالله لا تَستهزِئ بي. فقُلْتُ: إني لا أستهزِئُ بكَ. فأخَذَهُ كلّـهُ فاسْتاقَهُ، فلـمْ يَترُكْ منه شيئاً. اللّهُمّ فإن كنتُ فعلتُ ذلكَ ابتِغاءَ وَجهِكَ فـافرُجْ عنّـا مـا نحـنُ فيه. فانفرَجَتِ الصخرةُ، فخرجُوا يَمْشُونَ» .

«لا أغبق» الغبوق شرب اللبن بالعَشِيِّ.

أقـول: فهـؤلاء الثلاثـة دَعَـوُا الله تعـالى بصـالح الأعمـال، لأن الأعمـال الصالحة من أعظم ما يتوسَّل به العبد إلى الله، وما يُتَوجَّهُ بـه إليـه، ويُسْـأل بـه، لأن الله تعالى يحب الإيمان ومن اتصف به ويحب العمـل الصـالح ومـن عملـه، فإذا مَتَّ العبد إلى ربه بأحسن مـا فعلـه مـن ذلـك السـبب، فـإن الله يسـتجيبه ويزيده من فضله.

وتقدم حديث البخاري: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب... ولا يـزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه... قال في آخـره: ولئـن سـألني لأعطينـه، ولئن استعاذني لأعيذنه» غير أنه حديث ضعفه بعض أهل العلم كما تقدم.

١٠- باب: الإيمان والتقوى سببٌ لنزول بركات السماء وطلوع بركات الأرض

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِـمْ بَرَكَـاتٍ مِّـنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُـواْ وَاتَّقَـواْ لَكَفَّرْنَـا عَنْهُـمْ سَيِّئَاتِهِمْ

وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنـزِلَ إِلَيهِـمْ مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[المائدة: ٦٥- ٦٦].

١١- باب: العمل الصالح يثمر للمؤمن حياة في الدنيا طيّبة

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَـى وَهُـوَ مُؤْمِـنٌ فَلَنُحْيِيَنَّـهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

١٢- باب: قلةِ الذين جمعوا بين الإيمان وبين العمل الصالح

وباب: الإيمان والعمل الصالح يحجز صاحبه عن البغي.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

الجناح الرابع

ما يشترط لقبول العمل

١- باب: القبول الحسن للأعمال، والدعاء به

قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً .....﴾ [آل عمران: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٥٦) عن أبي أُمامة صُدَيّ بن عجلان الباهليّ، قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وهو متوكىء على عصا، فقمنا إليه، فقال: لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظِّم بعضُهُمْ بعضاً. قال: فكأنَّا اشتهينا أن يدعو الله لنا. فقال: اللهمَّ اغفرْ لنَا. وارحمنا. وارضَ عنَّا. وتَقَبَّلْ منا. وأدخلنا الجنة. ونجّنا من النار. وأصلح لنا شأننا كله. فكأنّا اشتهينا أن يزيدنا. فقال: قد جمعت لكم الأمر».

وانظر (د أدب ب ١٥١) .

٢- باب: إن الله طيِّب لا يقبل من العمل إلا ما كان طيباً

روى البخاري (زكاة ب ٨) عن أبي هريرة، قال:« قال رسول الله ﷺ: مَنْ

تَصَدَّقَ بعدل تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يقبلُ الله إلاّ الطَّيِّبَ، فإنّ الله يَقْبَلُهَا بيمينِهِ، ثم يُرَبِّيها لِصاحِبِها كما يُرَبّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مِثْلَ الجَبَلِ» .

وانظر (حم ٢/ ٣٣١).

فَلُوَّه: يعني الـمُهْر الصغير.

وفي رواية عند الإمام أحمد (٢/ ٤٠٤) عن أبي هريرة، قال: «إن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى يقبل الصَّدَقَةَ، ولا يقبل منها إلا الطيب، يقبلها بيمينه تبارك وتعالى، ويربي لعبده المسلم اللُّقْمَةَ، كما يربّي أحَدُكُـمْ مُهْـرَهُ أو فصيله، حتى يوافي بها يوم القيامة مِثْلَ أُحُدٍ» .

الفصيل: الحُوار، وهو ابن الناقة إذا فطِمَ عنها.

٣- باب: يُتَقَبَّلُ عَمَلُ من عمل لله وهو مؤمِنٌ بالله موحِّد له ولا يقبل عمل من كان كافراً بالله تعالى أو مشركاً به و كافراً باليوم الآخر، أو استهزأ بالرسل، أو بآية من كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً. ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً﴾ [الكهف ١٠٢-١٠٦].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُواْ الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ. حُنَفَاءَ لله غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: ٣٠، ٣١].

قولُ الزُّورِ هُنا الألفاظُ الشِّركيَّة التي كانَ أهلُ الجاهليَّة يَنْطِقُونَ بها عند الطواف والسعي ونَحْرِ البُدْنِ في الحج، حذَّر الله تعالى من أن قائلها يَخْسَرُ إيمانه ويُحْبِطُ عَمَلَهُ.

روى الإمام أحمد (٤/ ٤٤٥) عن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ: «أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقَةٌ من صُفْرٍ، فقال: ما هذِهِ؟ قال: مِنَ الواهنة. قال: انزعها فإنَّكَ لو مِتَّ وهي عليك ما أفلحتَ أبداً».

الواهنة: مرضٌ في عرقٍ يصيب العضد واليَدَ كلَّها.

قلت: ويحتمل أن معنى هذا الحديث أنه لعظم إثمها وهي من الشرك الأصغر فإنها تُبْطِل بقدرها من الأعمال الصالحة بالموازنة حتى لا يبقى لصاحبها أجر، لا أنها تمنع من قبول العمل مطلقاً. وهذا أظهر. والله أعلم.

٤- باب: من آمن بالله وأشرك به غيره لم يقبل له عمل ولو أخلصه لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

وقال تعالى في حق أنبيائه: ﴿ذلِكَ هُدَى الله يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ. بَلِ الله فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥، ٦٦].

وروى الترمذي (أدب ب ٧٨) عن الحارث الأشعري، حدثَ «أن النبي ﷺ قال: إنَّ الله أمر يحيى بخمسٍ كلمات أن يَعْمَلَ بها، ويأْمُرَ بني إسرائيل أن يعملوا بها» الحديث إلى أن قال: «أولهن: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. وإن مَثَلَ مَنْ أشْرَكَ بالله كمثل رجلٍ اشترى عبداً من خالص ماله بذهبٍ أو وَرِق، فقال: هذه داري وهذا عملي، فاعملْ وأدِ إليَّ، فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك؟» الحديث.

وانظر: (حم ٤/ ١٣٠).

٥- باب: من كذّب بأصلٍ من أصول الإيمان الستة لم يقبل له عمل ولو صدّق بما سواه

روى الإمام أحمد (٥ / ١٨٥) عن زيد بن ثابتٍ، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لو أنَّ الله عذّب أهْلَ سماواته وأهل أرْضِهِ لعذّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم. ولو كان لَكَ جَبَلُ أُحُدٍ، أو مثلُ أُحُدٍ ذَهَباً أنفقته في سبيل الله ما قَبِلَهُ الله منك حتى تؤمن بالقَدَر، وتعلم أن ما أصَابَكَ لم يكن ليخطئَك، وأنَّ ما أخطأك لم يكن ليُصيبَك، وإنك إن متَّ على غير هذا دخلت النار».

وروى مسلم (إيمان ح١) عن يحيى بن يَعْمر قال: «كان أول من تكلم في القَدَرِ بالبصرة مَعْبَدٌ الجهنيّ. فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحِمْيَري

حاجَّين، أو معتمرين. فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هـؤلاء في القَـدَر. فوفِّـقَ الله تعـالى لنـا عبـدَالله بـن عُمَـر داخـلاً في المسجد: فاكتَنَفْتُهُ أنا وصاحبي. فظننْتُ أن صاحبي سَيَكِلُ الكلام إليّ، فقلت: يـا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظَهَـرَ قِبَلَنـا أُنـاسٌ يقـرؤون القـرآن، ويتقَفَّـرُونَ العلـم، يزعمون أن لا قَدَر، وأن الأمْرَ أُنُفٌ. فقال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منهم بريء، وأنهم منّي بُرَآء، والذي يحلف به عبدالله بن عمر: لو أن لأحدهـم مثـلَ أُحُدٍ ذهباً، فأنفقه في سبيل الله، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر» ثم رَوَى لَهُمْ عبدُ الله حديثَ جبريلَ المشـهور في سـؤاله النبي ﷺ عـن الإسـلام والإيمـان والإحسان، وفي آخر تفسيره للإيمان قال: « وتؤمن بالقَدر خيره وشره».

٦- باب: أعمال الكفار تكون يوم القيامة هباءاً منثوراً

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَـةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِـيراً. يَـوْمَ يَـرَوْنَ الْمَلاَئِكَـةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً. وَقَدِمْنَا إِلَـى مَـا عَمِلُـواْ مِـنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُوراً﴾ [الفرقان: ٢١-٢٣].

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَـاكَ حَدِيـثُ الْغَاشِيَةِ. وُجُـوهٌ يَوْمَئِـذٍ خَاشِـعَةٌ. عَامِلَـةٌ نَاصِبَةٌ. تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً. تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ. لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِـن ضَرِيـعٍ. لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ١-٧].

قال ابن كثير: أي قد عَمِلتْ عملاً كثيراً، ونَصِبت فيه، وصَلِيتْ يوم القيامة ناراً حامية. وذَكَر ما أخرجه البَرْقَانِيُّ عن أبي عمران الجَوْني، قال: «مَرّ عُمَرُ بن الخطاب رضي الله عنه بِدَيْرِ راهبٍ، فناداه: يـا راهـب، فأشـرف. قـال: فَجَعَـل عمر ينظر إليه ويبكي. فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك مِنْ هذا؟ قال ذكرت

قول الله تعالى في كتابه: ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ فذاك الذي أبكاني.

وقال ابن كثير: قال البخاري: قال ابن عباس: «عاملة ناصبة: النصارى.» أي لأنهم يجتهدون في العبادة على ما هم عليه من الضلال.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ الله عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَالله سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

٧- باب: الكافر إذا عمل أعمال خيرٍ لوجه الله ثم دخل الإسلام

روى مسلم (إيمان ح ١٩٤) عن عروة أن حكيم بن حِزَام أخبره: « أنه قال لرسول الله ﷺ: أرأيتَ أموراً كنتُ أتحنَّثُ بها في الجاهلية هل لي فيها من شيء؟ فقال رسول الله ﷺ له: أسلمتَ على ما أسْلَفْتَ من خير» .

نقل الشيخ محمد عبد الباقي: قال ابن بطال وغيره من المحققين: إن الحديث على ظاهره، وإنه إذا أسلم الكافر ومات على الإسلام يُثابُ على ما فَعَلَه من الخير في حال الكفر.

قلت: أي فيما فعله لوجه الله من العمل خالصاً، لا في عملٍ عمله لوثن، أو أشرك بالله فيه، فإن حكيماً قال: «أتحنَّث» والتحنُّث: التّعبد، أي لله تعالى، كان يتحنث لله على ما كان عليه من الشرك بالله .

وروى النسائي (إيمان ب١٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ إلا كَتَبَ الله لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ زَلَفَهَا، وَمحا عَنْهُ كُلَّ خطيئةٍ زَلَفَهَا» .

قال ابن حجر (فتح ١/ ٩٩) قال النووي: الصواب الذي عليه المحققون أن الكافر إذا فعل أفعالاً جميلة، كالصدق وصِلَةِ الرَّحم ثم أسْلَمَ وماتَ على الإسلام، أن ثواب ذلك يكتب له. اهـ. قال ابن حجر: والحقُّ أنه لا يلزم من كتابة الثواب للمسلم في حال إسلامه تفضلاً من الله وإحسانا أن يكون ذلك لكون عمله الذي صدر منه في الكفر مقبولاً. اهـ. يعني أن عمل الكافر أثناء كفره كلا شيء، لكونه فاقداً شرطهُ وهو الإيمان. لكن يتفضل الله تعالى على صاحبه إذا أسلم وحسن إسلامه بجعل مثل ذلك في ميزانه .

قلت: ويحتمل التفريق بين الصلاة والصوم ونحوهما مما شرطه الإسلام، فلا يقبل، ولا يؤجر عليه ولو أسلم بعد، وبين صلة الرحم وإغاثة الملهوف ونحوها، فيجعل له أجرها في ميزان حسناته إن أسلم وحسن إسلامه. والله أعلم.

وقال السندي: الحديث يدل على أن حسنات الكافرِ مَوْقُوفةٌ: إن أسلم [أي وحسن إسلامه] تقبل، وإلا تردّ، لا أنها مردودة، وعلى هذا فنحو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾[النور: ١٣٩]، محمول على من مات كافرا، والظاهر أنه لا دليل على خلاف هذا وفضل الله أوسع من هذا أو أكثر.

أقول: قول ابن حجر الذي تقدم أعلاه هو التحقيق. وما ذكره السنديّ فيه نظر.

٨- باب: الذين يتخذون آلهة صغاراً من الأولياء والصالحين أو الملائكة المقربين يتقربون إليهم بالأعمال ليتوسطوا لهم عند الله العلي الكبير هم كفار ولا يقبل لهم عمل

قال الله تعالى: ﴿أَلاَ لله الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا

نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَـؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ. قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

٩- باب: عَمَلُ المنافقِ نفاقَ التكذيبِ مردودٌ عليه

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ. وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٣، ٥٤].

روى الطبري (التفسير عند الآية ٧٥ من سورة التوبة) . عن أبي أمامة الباهلي.

عن ثعلبة بن حاطب الأنصاري، أنه قال لرسول الله ﷺ: ادع الله أن يرزقني مالاً.

فقال رسول الله ﷺ: ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدّي شكره خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه. قال: ثم قال مرةً أخرى. فقالَ: أما ترضى أن تكون مثل نبيِّ الله، فوالذي نفسي بيده، لو شئتُ أن تسيرَ معي الجبال ذهباً وفضةً لسارَتْ!

قال: والذي بعثك بالحق لئن دعوتَ الله فرزقني مالاً، لأعطينّ كلّ ذي حقٍّ حقه. فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارزقْ ثَعْلَبَةَ مالاً.

قال: فاتَّخذ غنماً، فَنَمَتْ كما ينمو الدُّود، فضاقت عليه المدينة، فتنحَّى عنها، فنزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصليُّ الظهر والعصر في جماعة، ويترك ما سواهما.

ثم نمتْ وكثرتْ، فتنحَّى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة. وهي تنمو كما ينمو الدود. حتى ترك الجمعة.

فطفق يتلقَّى الركبان يومَ الجُمُعَةِ، يسألهم عن الأخبار.

فقال رسول الله ﷺ: ما فعل ثعلبة؟ فقالوا: يا رسول الله، اتخذ غنماً، فضاقت عليه المدينة. فأخبروه بأمره. فقال: يا وَيْحَ ثعلبة! يا ويح ثعلبة! يا ويح ثعلبة!

قال: وأنزل الله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣] الآية، ونزلت عليه فرائض الصدقة. فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، رجلاً من جهينة، ورجلاً من سُلَيْم، وكتب لهما كيفَ يأخذان الصدقة من المسلمين. وقال لهما: مُرَّا بثعلبة، وبفلان، رجل من بني سليم، فخذا صدقاتهما.

فخرجَا حتى أتيا ثعلبة. فسألاه الصدقة، وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ. فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلاّ أخت الجزية! ما أدرى ما هذا. انطلقا حتى تفرُغا ثم عودا إليّ.

فانطلقا، فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرَّا بثعلبة. فقال: أروني كتابكما! فنظر فيه، فقال: ما هذه إلاّ أخت الجزية. انطلقا حتى أرى رأيي.

فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ، فلما رآهما قال: يا ويح ثعلبة! قبل ان يكلمهما. فأخبراه بالذي صنع ثعلبة.

فأنزل الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾[التوبة:٧٥،٧٦]، وعند رسول الله ﷺ رجلٌ من أقارب ثعلبة، فسمع ذلك.

فخرج حتى أتاه، فقال: ويحك يا ثعلبة! قد أنزل الله فيك كذا وكذا.

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ، فسأله أن يقبل منه صدقته. فقال: إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك.

فجعل يَحثي على رأسه التراب. فقال له رسول الله ﷺ: هذا عملُكَ، قد أمرتك فلم تطعني. فلما أبى أن يقبضَ رسولُ الله ﷺ، رجع إلى منزله.

وقُبِض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئاً.

ثم أتى أبا بكرٍ حين استُخْلِفَ، فقال: قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ، وموضعي من الأنصار، فاقبل صدقتي.

فقال أبو بكر: لم يقبلها منك رسول الله ﷺ وأنا أقبلها؟! فقُبِض أبو بكر، ولم يقبضها.

فلما ولي عمر، أتاه فقال: يا أمير المؤمنين، اقبل صدقتي. فقال: لم يقبلها رسولُ الله ﷺ ولا أبو بكر، وأنا أقبلها منك؟! فقُبِض ولم يقبلها.

ثم ولي عثمان رحمة الله عليه، فأتاه فسأله أن يقبل صدقته، فقال: لم يقبلها

رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما، وأنا أقبلها منك ؟! فلم يقبلها منه.

وهلك ثَعْلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه.

في هذا الحديث راوٍ يضعَّف هو علي بن يزيد الألهاني [١]. وقيل هو ضعيف جداً.

١٠- باب: قد يُطْعَمُ الكافر والمشرك في الدنيا بما عمل من الصالحات لله

روى مسلم (صفات المنافقين ح ٥٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: إِنّ الله لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً. يُعْطَىَ بِهَا فِي الدّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ وَأَمّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لله فِي الدّنْيَا، حَتّىَ إِذَا أَفْضَىَ إِلَىَ الآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» .

* * *

(١) ضعف بعضهم هذا الحديث من جهة المعنى، قائلاً : الزكاة فريضة، فكيف يأتي الرجل بزكاة ماله إلى النبي ﷺ وأبي بكر وعمر فيرفضون قبولها؟! والجواب أن هذا الرجل قد أخبر الله تعالى أنه بعينه منافق، وأنه مستمرٌ على النفاق إلى أن يموت، كما قال تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾[التوبة:٧٧]. فكيف يأخذ النبي ﷺ الزكاة منه والزكاة قربةٌ وتطهير؟ ومثل هذا لا يَطْهُرُ ولا قُرْبَةَ له. وأيضاً: إن الله تعالى نهى رسوله عن قبول الصدقة من هذا المنافق إن صحت الرواية. وأيضاً كان تَرْكُ أخذ الصدقة منه عقوبة له، ونكالاً عن مثل عمله أما أصل القصة فيشهد لصحته الآيات القرآنية من سورة التوبة المذكورة في أثنائها. ولا يصح كون ثعلبة بن حاطب ممن شهد بدراً، ولم يذكره البخاري في صحيحه فيمن سمي من أهل بدر. ولكن ذكره ابن اسحاق في السيرة (١/ ٦٨٨) على أن ابن اسحاق لم يذكر لروايته بذلك سنداً . فلا يثبت بها كون ثعلبة من أهل بدر . وقد قال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة: ٥٤، ٥٥].

الجناح الخامس

اشتراط النية الصالحة لقبول العمل الصالح

١- باب: لا عمل إلا بنيّة

روى البخاري (بدء الوحي ب ١) عن عمر بن الخطـاب رضـي الله عنـه، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نـوى، فمـن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرتـه إلى الله ورسـوله، ومـن كـانت هجرتـه لدنيا يصيبها، أو امرأةٍ يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» .

وانظر : (م إمارة ح ١٥٥).

أنواع النيات في الأعمال الصالحات

منها أن يعمل شكراً لله على نعمه القديمة أو الحادثة.

ومنها أن يعمل حبّـاً في الله تعـالى، أو رهبـةً منـه، أو خوفـاً مـن عقابـه في العاجل أو الآجل.

ومنها أن يعمل امتثالاً لأمره أو اقتداء بنبيه وبالصالحين من عباده.

ومنها أن يعمل طلباً لدخول الجنة والتمتع بمـا أعـده الله فيهـا مـن النعيـم لأوليائه.

ولا بأس أن يجمع من هذه النيات ما شاء أو يجمعها كلها.

٢- باب: إنما يُؤْجَرُ المؤمن على العبادة من صلاةٍ أو غيرها إذا ابتغى فيها وجه الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى. الَّذِى يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى. وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى. إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى. وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ١٧-٢١].

روى البخاري (إيمان ب٢٥) عنْ أبي هُريرةَ قال: «قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَقُمْ ليلةَ القَدْرِ إيماناً واحْتِساباً غُفِرَ لهُ ما تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه» .

وانظر: (م صلاة المسافرين ح ١٧٣-١٧٦) .

وروى أبو داود (زكاة ب ٥) عن بهْزِ بنِ حَكِيمٍ عن أبيهِ عن جَدِّهِ: « أنّ رَسُولَ الله ﷺ قالَ: فِي كُلِّ سَائِمَةٍ إبِلٍ في أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ لاَ تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا. مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِراً فَلَهُ أَجْرُهَا» .الحديث.

وروى مالك (جهاد ح ٣٥) عن الإمام عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب رضي الله عنه قَالَ: «كَرَمُ الْمُؤْمِنِ تَقْوَاهُ، وَدِينُهُ حَسَبُهُ، وَمُرُوءَتُهُ خُلُقُهُ، وَالْجُرْأَةُ وَالْجُبْنُ غَرَائِزُ يَضَعُهَا الله حَيْثُ شَاءَ... إلى أن قال: وَالشّهِيدُ مَنِ احْتَسَبَ نَفْسَهُ عَلَى الله» .

وانظر: (حم ٢/ ٣٦٥) .

وروى أبو داود (جهاد ب٢٤) عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ عن رَسُول الله ﷺ أنّهُ قالَ: «الغَزْوُ غَزْوَان: فَأَمّا مَن ابْتَغَى وَجْهَ الله، وَأَطَاعَ الإمَامَ وَأَنْفَقَ الكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الفَسَادَ، فَإِنّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أجْرٌ كُلّهُ؛ وَأَمّا مَنْ غَزَا فَخْراً وَرِيَاءً وَسُمْعَةً، وَعَصَى الإمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الأرْضِ، فَإِنّهُ لَمْ يَرْجِعْ بالْكَفَافِ» .

وانظر: (ن بيعة ب ٢٩؛ حم ٤/ ٦٩).

وروى البخاري (إيمان ب ٤١) عن سعدِ بنِ أبي وَقّـاص: «أنّ رسـولَ الله ﷺ قال: «إنّكَ لنْ تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتغي بِهـا وجـهَ الله إلاّ أُجِـرْتَ عليهـا حتى ما تَجعلُ في في امرأتِكَ».

وانظر: (م وصية ٥).

٣- باب: لا حاجة إلى استحضار نية الاحتساب في كل أجزاء العمـل الصالح إن كان إنما ابتداؤه لله   أصل الاستصحاب

روى البخاري (جهاد ب٢) عن أبي هريرةَ، قال: «سمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «مثَلُ المجاهدِ في سبيلِ الله - واللهُ أعلـمُ بمَـن يجُـاهِدُ في سـبيله - كمثَلِ الصّائمِ القائمِ. وتوكّلَ اللهُ للمجاهدِ في سبيله بـأن يَتوَفّـاهُ أن يدخلَـهُ الجنّـةَ أو يَرجعَهُ سالماً معَ أجرٍ أو غنيمة».

أي كمثل الصائم لا يفطر، والقائم للصلاة لا يفتر، أي فإن كلّ وقته وكـل أفعاله، هي جزء من الجهاد، حتى نومُهُ، كما في الحديث المتقدم.

وروى البخاري (جهاد ٤٨) عن أبي هريـرةَ رضـيَ الله عنـه: « أن رسـولَ الله ﷺ قال: «الخيلُ لثلاثة: لرجُلٍ أجر، ولرجلٍ ستر، وعلـى رجـلٍ وزر. فأما الذي هي له أجرٌ فرجُلٌ رَبَطها في سبيل الله، فأطالَ لها في مَرْجٍ أو رَوضـة، فما أصابت في طِيَلِها ذلكَ منَ المَرْجِ أوِ الرّوضةِ كانت له حسناتٍ، ولو أنها قطَعَتِ طِيَلَها فاستنّتْ شرَفاً أو شرَفينِ كانت أرواثُهـا وآثارُهـا حسَـناتٍ لـهُ، ولـو أنها مرّت بنَهر فشَرِبَت منه، ولم يُرِدْ أن يَسقِيَها، كان ذلك حسناتٍ له. فأمـا الرجل الذي هي عليه وزر فهو رجُلٌ ربَطَها فخراً ورئاءً ونـواءً لأهـلِ الإسـلام، فهي

وزرٌ على ذلك». زاد مسلم في روايته (زكاة ج ٢٤): «وأما الذي هـي لـه سـتر فالرجل يتخذها تعففاً وتكرماً وتجملاً» .

قال ابن حجر: المعنى في الذي هي له ستر أنهُ يطلبُ بنتاجها أو بما يحصل من أجرتها ممن يركبها الغنى عن الناس» اهـ.

قلت وهذا معنى التعفف أما التكرم والتجمل فعلى ظاهرهما.

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣٤٤) عن أبي هريرة، قال: «جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله علّمني عملاً يعدل الجهـاد. قـال: لا أجـده. قـال: هل تستطيع إذا خَرَجَ المجاهدُ أن تدخـل مسـجداً، فتقـومَ لا تَفْـتُرُ، وتصـوم ولا تفطر؟ قال: لا أستطيع.

قال: قال أبو هريرة إن فرسَ المجاهد ليَسْتَنُّ في طِوَلِهِ فيُكْتَبُ له حسنات» .

٤- باب: إسلام الوجه لله والإخبات، مع الإيمان والعمل الصالح

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ الله عَلَى مَـا رَزَقَهُـمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْـلِمُواْ وَبَشِّـرِ الْمُخْبِتِيـنَ. الَّذِيـنَ إِذَا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَـابَهُمْ وَالْمُقِيمِـي الصَّـلاَةِ وَمِمَّـا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَـاتِ وَأَخْبَتُـواْ إِلَـى رَبِّهِـمْ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [هود: ٢٣].

وقال: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى الله وَهُـوَ مُحْسِـنٌ فَقَـدِ اسْتَمْسَـكَ بِـالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى الله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

الإسـلام الانقيـاد بـالقلب والجـوارح. والإخبـات التواضـع والخشـوع لله والإخلاص له.

٥- باب: العمل بنيةِ شكرِ الله تعالى علىنِعَمِهِ الدائمةِ أو نِعَمِهِ المتجدِّدة

قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُواْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّـنْ عِبَـادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

روى الترمذي (صلاة ب ١٨٧) عن المغيرةِ بن شُعْبَة قـال: «صلّـى رسـولُ الله ﷺ حتى انتفخَتْ قدماهُ، فقيلَ لهُ: أتَتَكلَّفُ هذا وقد غَفَرَ لك الله مـا تقـدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ؟ قال: أفلا أكونُ عبداً شكوراً» .

قال الترمذي: هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

٦- باب: العملِ خوفاً من عذابِ الله وطمعاً في ثوابه

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَـا خَـرُّواْ سُـجَّداً وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ. تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَـاجِعِ يَدْعُـونَ رَبَّهُـمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥، ١٦].

وقال الله تعالى بعد أن ذكـر أخبـار جملـة مـن أنبيائـه المكرمـين: ﴿إِنَّهُـمْ كَـانُواْ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُواْ لَنَا خاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُـم بِآيَـاتِ رَبِّهِـمْ

يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وقد قال الله تعالى بعد أنْ ذَكَر نعيمَ الجنة وما فيها: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦].

فقد حثّ الله تعالى على طلب ذلك وقَصْدِهِ والمنافسة فيه. فالوَيْل لمن أنْكَرَ ذلك وادَّعى أنه نَقْصٌ في الهمّة، وقُصُورٌ في القصد. بل ادَّعى بَعْضُ جَهَلَةِ الصُّوفيَّة ممن يتبعون خَطَراتِ وسَاوِسِهِمْ وأوهامهم دون هداية من قبل الرسل أنَّ ذلك شرك، وأن الله لا ينبغي أن يُعْبَدَ لذلك، وأنه تعالى ينبغي أن لا يعبد إلا لذاته، ولكامل صفاته، فإذا عُبِدَ لتحصيلِ النعيم واللَّـذَّة كان شركاً. ضلّ ضلالهم، وخابَ سعيهم! فإن نعيم الجنة من فَضْلِ الله على عباده المتقين، وهو من مائدة الله التي يدعو إليها الأَبْرَارَ من عبادِهِ، وفي ذلك رضاه، فإنّه جواد كريم منعم متفضل. والجواد الكريم من البشر يُسَرُّ بمن يُقْبل على مائدته ويفرح بهم. فالله تعالى أكرم الكرماء وأولى بكل فضل . ولذا فهذه الفِئَةُ التي قَصُرَتْ أفهامها من بعض جهلة المتصوّفة يحتقرون علم الأنبياء، ويزعمون أنهم أعلم

بالله من رُسُلِهِ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَـوَاهُ بِغَيْرِ هُـدًى مِّـنَ اللَّـهِ إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: ٥٠].

٧- باب: العمل تأسّياً برسول الله محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَـانَ يَرْجُـو الله وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ الله كَثِيراً﴾ [الأحزاب: ٢١].

الجناح السادس

إخلاص النية لله تعالى شرط في قبول العمل

١- باب: من يعمل العمل يريد به وجه الله ووجه غيره

روى مسلم (زهد ح ٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: قَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» .

٢- باب: العمل مع الرياء والسمعة لا يقبل عند الله تعالى ولا أجر فيه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ يُخَـادِعُونَ الله وَهُـوَ خَـادِعُهُمْ وَإِذَا قَـامُواْ إِلَـى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢].

وقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَـالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُـهُ كَمَثَـلِ صَفْـوَانٍ عَلَيْـهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَالله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

روى البخاري (رقاق ب ٣٦) عن جُنْدَب، قال: «قال النبيّ ﷺ: مَن سَـمَّعَ سمَّعَ الله به، ومن يُرائي يرائي الله به» .

وانظر: (م زهد ٤٨).

٣- باب: الرياء في العمل شرك فيه أصغر، مبطل لأجره وإن لم يكن مُخرجاً لصاحبه عن الملة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [الكهف: ١١٠].

وروى الإمام أحمد (٣/ ٣٠) عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول الله ﷺ: الا أُخبِرُكُمْ بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟ قال: قلنا: بلى. قال: الشِّرك الخَفِيّ، أن يَقُومَ الرَّجُلُ يَعْمَل لمكانِ الرَّجل» .

(وانظر: جه زهد ٢١) .

«المسيح»: المراد به في هذا الحديث المسيح الدجال.

قوله: «لمكان الرجل»، أي لأنه يرى رجلاً ينظر إليه، فيحبُّ أن يُعْجَبَ بعمله.

وروى الإمام أحمد (٥/ ٤٢٨) عن محمود بن لبيد، قال: «قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أخْوَفَ ما أخَافُ عليكمُ الشِّركُ الأصغر. قالوا: وما الشِّرْكُ الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عزّ وجلّ لهم يوم القيامة إذا جَزَى النّاسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُرَاؤون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءاً» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣٠١) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن ربّه عزّ وجل، أنه قال: «أنا خير الشركاء. فمن عَملَ عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك .».

وانظر: (ن جهاد ٢٤) .

قال القرطبي (في تفسيره ٢٠/ ٢١٣) : لا يكون الرجل مرائياً بإظهار العمل الصالح إنْ كانَ فريضَةً، فمن حقِّ الفرائِضِ الإعلانُ لها وتَشْهيرُها، لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين، ولأن تاركهـا يَسْتَحِقُ الـذَّمَّ والمَقْـتَ، فوجبت إماطة التهمة بالإظهار؛ وإن كان تطوعاً فحقُّه أنْ يُخفَى [أي الأفضـل ذلـك] لأنـه لا يلام بتركه ولا تهمة فيه، فإن أظهره قاصداً أن يقتدى به فيه كـان جميـلاً، وإنما الرياء أن يقصد بالإظهار أن تراه الأعين فتثني عليه بالصلاح. اهـ.

ونقل القرطبي (٥/ ٤٢٣) عن ابن العربي قوله: «من صلـى صـلاةً ليراهـا الناس ويروه فيها فيشهدوا له بالإيمـان، أو أراد طلـب المنزلـة والظهـور لقبـول الشهادة وجواز الإمامة، فليس ذلك بالرياء المنهي عنه، وليس عليه فيـه حـرج، وإنما الرياء المعصية: أن يظهر العبادة صيداً للناس، وطريقاً إلى الأكل، فهذه نيـة لا تجزئ». اهـ.

✍ أقول: وهكذا لو لبس لباس العلماء إن كان من أهل العلم، أو أظهر علمه بالوعظ والتعليم والتأليف والخطابة، ليعرفه الناس بالعلم فيسألوه ليفيـدوا مـن علمه، لا للفخر والرياء والعلـو في الأرض، فليـس ذلـك شـركاً بـل هـو مـن التحدّث بنعمه الله .

٤- باب: من يعمل العمل الصالح ليُقال عنه

روى مسلم (إمارة ح ١٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُولُ «إِنّ أَوّلَ النّاسِ يُقْضَىَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَـأُتِيَ بِـهِ، فَعَرّفَـهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتّىَ اسْتُشْهِدْتُ. قَـالَ:

كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِيُقَالَ: هو جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. اذهبوا به إلى النار» الحديث وهو طويل، ويأتي بكماله .

٥- باب: من يعمل العمل الصالح ليذكر به أو يجاهد ليغنم

روى مسلم (جهاد ح ١٤٩) عن أبي مُوسَى: «أنّ أعْرَابِيًا جَاءَ إلَى رَسُولِ الله ﷺ فقَالَ: يَا رسول الله الرّجُلُ يُقَاتِلُ لِلمغنم، والرجل يُقَاتِلُ لِيُذْكر، والرجل يُقَاتِلُ لِيَغْنَمَ، وَيُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فمن في سبيل؟ الله فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لتَكُونَ كَلِمَةُ الله أعلى، فَهُوَ في سَبِيلِ الله عَزّ وَجَلّ» .

وانظر: (خ جهاد ب ١٥د جهاد ب ٢٤).

٦- باب: من كان يريد بما يعمله من الخير الدنيا من الجاه والعز والمال يؤتيه الله من ذلك ما يشاء، ولا ينال الآخرة إلاّ من طلبها بإيمانه وعمله

قال الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً. وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً. كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠] أي نعطيهم من عطائنا في الدنيا.

وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

«حرث الآخرة» أن يعمل الرجل في الدنيا صالحاً ليحصد ثمرة عمله في الآخرة. شبه من يعمل لله بمن يحرث ليَحصُد.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وروى الترمذي (قيامة ب ١٧) عن أسماء بنت عُمَيْس قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول» فذكرت حديثاً فيه: «قال رسول الله ﷺ بئس العبدُ عبدٌ يَخْتِلُ الدُّنْيَا بالدين» الحديث.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

وانظر: (ت زهد ب ٦٠) .

وروى الإمام أحمد (٥/ ١٣٤) عن أبيٍّ بن كعب قال: «قال رسول الله ﷺ: «بشِّرْ هذِهِ الأمَّةَ بالسَّناء والرِّفْعَةِ والنَّصْرِ والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عَمَلَ الآخِرةِ للدُّنْيَا لم يكن له في الآخرة نصيبٌ» .

وروى الإمام أحمد (٥/ ٣٣٨) عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «فيكم كتاب الله، يتعلّمه الأسود والأحمر والأبيض. تعلّموه قبل أن يأتي زمان يتعلّمه ناس ولا يجاوز تراقِيَهُم، ويقوِّمونه كما يُقَوَّم السهم، فيتعجلون أجره ولا يتأجلونه» .

٧- باب: طلب النصر والرِّفْعَةِ والتمكينِ في الأرضِ والسُّلطانِ فيهـا لا يفسادُ الإخلاصَ فيهما إن كان إنّما يتوسل به لرفع كلمة الله وإنفاذ شريعته

قـال الله تعـالى: ﴿وَعَـدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُـوا مِنكُـمْ وَعَمِلُـوا الصَّالِحَـاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَـنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُـمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيـمُ. وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّن اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٢-١٤].

٨- باب: قصدُ التجارةِ عِنْدَ السَّفَرِ للحج وقَصْدُ الغنيمةِ إذا خالطَ نيـةَ الجِهَادِ فإنه لا يُبْطِلُ العمل، إن لم يكن هو القصد الغالب، وقد ينقُصُ الأجر

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَـأْتُوكَ رِجَـالاً وَعَلَـى كُـلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُـلِّ فَـجٍّ عَمِيـقٍ. لِّيَشْـهَدُواْ مَنَـافِعَ لَهُـمْ وَيَذْكُـرُواْ اسْـمَ اللهِ فِـي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَـا رَزَقَهُـم مِّـن بَهِيمَـةِ الأَنْعَـامِ فَكُلُـواْ مِنْهَـا وَأَطْعِمُـواْ الْبَـائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

المنافع: قيل هي التجارة في الحج.

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْـهُ اللهُ وَتَـزَوَّدُواْ فَـإِنَّ خَيْرَ

الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأُوْلِي الأَلْبَابِ. لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٧، ١٩٨].

قال المفسرون: الفضل هنا التجارة في الحج. وقيل التجارة والمناسك.

وقال الله تعالى في شأن غزوة خيبر: ﴿وَعَدَكُمُ الله مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾ [الفتح: ٢٠].

٩- باب: ليس من الرياء من يعمل العمل لله فَيُذْكَرُ به ويَحْمَدُه الناس عليه فيسُرّه ذلك

روى الإمام أحمد (٤/ ١٧٩) عن ابن الحنظلّية، قال: «بَعَثَ رسول الله ﷺ سرية، فقدِمتْ، فجاءَ رجلٌ فجلسَ في المجلس الذي فيه رسول الله ﷺ، فقال لرجلٍ إلى جنبه: لو رأيتَنا حين التَقَيْنَا نحن والعدو، فحَمَل فلانٌ، فطَعَنَ، فقال: خذها وأنا الغلام الغِفَارِيّ، كيف ترى في قوله؟ قال: ما أُراهُ إلا قد أبطل أجْرَهُ. فسمع ذلك آخَر فقال: ما أرى بذلك بأساً. فتنازعا حتى سمع النبي ﷺ، فقال: سُبْحانَ الله، لا بأسَ أن يُحْمَدَ ويؤجَر» .

هذا الحديث فيه ضعف.

وروى ابن ماجه (زهد ب ٢٥) عن أبي هريرة، قال: «قال رجل: يا رسول الله، إني أعمل العمل، فيُطَّلَعُ عليه، فيُعْجِبُني؟ قال: لك أجران: أجْرُ السِّرِّ، وأجْرُ العلانية» .

وروى الترمذي (زهد ب ٤٩) عن أبي هريرة، قال: «قال رجل: يا رسول الله إن الرجل يعمل العمل يُسِرُّه فإذا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أعْجَبَهُ ذلك؟ قال رسول الله

ﷺ: له أجران: أجر السر، وأجرُ العلانية» .قال الترمذي: هـذا حديـث حسن غريب.

✓ وروى مسلم (برّ ح ١٦٦) عن أبي ذرّ رضي الله عنه، قال: «قيـل لرسـول الله ﷺ: أرأيتَ الرَّجُلَ يعملُ العَمَلَ من الخيرِ، وَيَحْمَدُهُ الناس عليه؟ قال: تِلْكَ عَاجِلُ بُشرى المؤمِنِ» .

وانظر: حم ٥/١٥٦.

علق عليه الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي فقـال: قـال العلمـاء: معنـاه: هـذه البشرى المعجلة له بالخير، وهي دليل البشرى المؤخرة إلى الآخرة، بقوله تعـالى: ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ الآية. وهذه البشرى المعجلة دليل على رضا الله تعالى ومحبته له، فيحببه إلى الخلق اهـ.

١٠- باب: من يُحِبُّ أن يحمده الناسُ على أعمالٍ خير لم يعملها

قـال الله تعـالى: ﴿لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

١١- باب: من كان أصلُ نيَّتِهِ وقَصْدِهِ في العَمَلِ أنَّه لله فخطرَ في قلبهِ أنْ يَحْسُنَ ذكْرُهُ بين الناس بذلك، سروراً بفضل الله عليه، لم يضرّ ذلك نيَّتَهُ

قال ابن رشد: سئل مـالك عـن الرَّجـلِ يحب أنْ يلقـى في طريقـهِ المَجْدَ، ويكرَهُ أن يلقى السُّوءَ. فأما ربيعةُ فكرِهَ ذلكَ، وأمـا مـالك فقـال: إذا كـان أولُ أمـرِه ذلـكَ وأصْلُـهُ لله فـلا بـأس بذلـك إن شـاء الله تعـالى، قـال الله تعـالى:

﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: ٣٩] وقال إبراهيم عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] قال مالك: فأيُّ شيءٍ هذا إلا هذا؟! فإنَّ هذا شيء يكون في القلب لا يمكن، هذا إنّما يكون من الشَّيْطانِ ليمنَعَهُ العمل اهـ (مقدمات ابن رشد ١/ ٣٠) يعني أنَّ الشيطان يقول له: قد رَاءَيْتَ بعملك، ليمتنع عن العمل.

وقال ابن تيمية: «فَرْقٌ بينَ من يكونُ الدينُ مقصودَه والدنيا وَسيلة، وبين مَنْ تكونُ الدنيا مقصودَه والدين وسيلة. والأشْبه أن هذا الأخير ليس له في الآخرة من خَلاَقٍ، كما دلَّتْ على ذَلِكَ النُّصوص» (مجموع الفتاوى ٢٦/ ٢٠).

١٢- باب: طلب الجزاء أو الشُّكرِ مِمَّنْ تَصنَعُ إليه المعروف مُضَادٌ لابتغاء وجه الله به

قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَاهُمُ الله شَرَّ ذَلِكَ الْيَومِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً. وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيراً﴾ [الإنسان: ٨-١٢].

١٣- باب: من يرى أن عملاً من أعماله هو أوثقُ عملِهِ عنده لم يقدح في نِيّته

روى مسلم (قَسامة ح ٢٣) عن صَفْوان بن يَعْلَى بن أمية عن أبيه قال: «غزوْتُ مع النبي ﷺ غَزْوَةَ تَبُوك.» قال: «وكان يعلى يقول: تلك الغزوة أوثق عملي عندي» اهـ .

روى البخاري (تهجد ب ١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ قال لبلالٍ عند صلاةِ الفَجْرِ: يا بلال حَدِّثْنِي بأرجى عمل عملتَه في

الإسلام، فإني سَمِعْتُ دَفَّ نعليْك بين يديَّ في الجنـة. قـال: مـا عملـتُ عَمَـلاً أرجى عندي أنـي لم أتطَهَّـر طَهُـوراً في سـاعة ليـل أو نهـارٍ إلا صليـتُ بذلِـكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أن أصلي».

دف نعليك: الدّف صوت الحركة الخفيفة.

١٤- باب: من قصد أن ينافس غيره في عمل صالح أو يسبقه إليه لم يقدح ذلك في نيته، بل هي نية مندوب إليها

قال الله تعـالى: ﴿يُسْـقَوْنَ مِـن رَّحِيـقٍ مَّخْتُـومٍ. خِتَامُـهُ مِسْـكٌ وَفِـي ذَلِـكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

وقال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْـنَ مَـا تَكُونُـواْ يَـأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وقال: ﴿سَـابِقُواْ إِلَـى مَغْفِـرَةٍ مِّن رَّبِّكُـمْ وَجَنَّـةٍ عَرْضُهَـا كَعَـرْضِ السَّـمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُواْ بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيـهِ مَـن يَشَـاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وروى الإمام أحمد (١/ ٤٣٧) عن عبـد الله بـن مسـعود قـال: «مَـرَّ بـي رسول الله ﷺ وأنا أصلي، فقـال: سَـلْ تُعْطَـهْ يـا ابـنَ أُمِّ عبـدٍ. فقـال عمـر: فابتدرتُ أنَا وأبو بكرٍ، فَسَبَقَني إليه أبو بكرٍ، وَمَـا اسْـتَبَقْنَا إلى خـيرٍ إلا سَـبَقَني إليه أبو بكر» اهـ.

ابن أم عبدٍ هو عبدالله بن مسعود، أي سبق أبو بكر عُمَـرَ إلى ابـن مسـعود يبشِّره بما قال فيه رسول الله ﷺ.

وروى أبو داود (زكاة ب ٤٠) عن الإمام عمر بن الخطاب أمير المؤمنين قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ يَوْماً أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالاً عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْماً. فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فقال رَسُولُ الله ﷺ: ما أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ فَقُلْتُ: مِثْلَهُ، قال: وَأَتَى أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه بكلّ ما عِنْدَهُ، فقال لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قال: أَبْقَيْتُ لَهُمُ الله وَرَسُولَهُ. قُلْتُ: لا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبداً» .

وانظر: (دي زكاة ب ٢٦) .

١٥- باب: من أراد بفعله خيراً فلم يقع موقعه

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٢٢) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: قال رجلٌ: لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيلةَ صَدَقَةً. فَأَخْرَجَ صَدَقَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ . فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلةَ على زانيةٍ؛ وقال: لأتَصَدَّقَنَّ الليلةَ بصَدَقَةٍ. فَأَخْرَجَ صَدَقَتَهُ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِق، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّق الليلةَ على سارق. ثم قالَ: لأتَصَدَّقَنَّ الليلةَ بصَدَقَةٍ، فَأَخْرَجَ صدقَةً فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غني فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ الليلةَ على غَنِيٍّ. فقال: الحمدُ لله: على سارق، وَعَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ. قال: فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ تُقُبِّلَتْ، أمَّا الزانيةُ فَلَعَلَّهَا، يَعْنِي أَنْ تَسْتَعِفَّ، وَأما السَّارقُ فَلَعَلَّهُ أنْ يَسْتَغْنِيَ بِهِ، وأمّا الغَنِيَّ فَلَعَلَّهُ أنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمّا آتاهُ الله» .

وانظر: (ن زكاة ب ٤٧) .

(أقول: هذا في صدقة التطوّع، أما صدقة الفريضة فإن لم يكن آخذها من أهلها لم تجزئ عند المحققين من أهل العلم، وعلى من قبضها وليس من أهلها

ان يردهـا إلى المزكي او الإمـام، وخاصـة إن تظـاهر بـالفقر والحاجـة مخادعـة وتلبـيساً، وللمزكي ان يطالبه بها ليضعها في مواضعهـا، إلا أن كـان قـد دفعهـا المزكي إلى الإمام، والإمام هو الذي جعلها في غير موضعها .

١٦- باب: من مات أثناء العمل الصالح، أو قبلـه وقـد عـزم عليـه، أوقـع الله اجره على قدر نيته

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمـاً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَـعَ أَجْرُهُ عَلَىَ اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١٠٠].

روى مالك في الموطأ (جنائز ح ٣٦) عن جابر بن عَتِيكٍ، قال (في شأن عبد الله بن ثابت. وكان قد تجهز للجهاد ثم مات قبل أن يخرج) فذكـر الحديث إلى أن قال: «فقالت ابنته: إني لأرجو أن تكـون شـهيداً، فـإنك كنـت قـد قضيـت جهازك . فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الله قد أوقع أجرَهُ على قَدْرِ نيَّتِهِ» .

وانظر: (د جهاد ب ١٠؛ ن جنائز ب ١٤) .

وروى مسلم (حج ح ٩٤) عن ابن عباس، قال: «بينمـا رجـلٌ واقـفٌ مـع رسول الله ﷺ بعرفه، إذْ وَقَعَ من راحِلتـهِ، فأوقصتـه، فَذُكِـرَ ذلـك للنبـي ﷺ، فقال: اغسلوه بماء وسدر، وكفّنوه في ثوبين، ولا تحنّطوه، ولا تخمِّروا رأسَهُ، فإن الله يبعثه يَوْمَ القيامَةُ يُلبِّي» .

«أوقصته» يعني أوقعته فاندقّتْ عنقه فمات.

١٧- باب: من أخَذَ الأجر على الأعمال الصالحة

روى الترمذي (صلاة ب ٤١) عن عثمان بن أبي العاص، قال: «إنّ آخر ما عَهِدَ إليّ النبي ﷺ أن أتَّخِذَ مؤذِّناً لا يأخُذُ على أذانِهِ أجْراً».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وفي نسخة: حديث حسن.

وانظر: (ن أذان ب ٣٢؛ حم ٤/٢١٧).

قلت: ومثلُ الأذان: الصلاة، والإمامة فيها، والصوم والحج والذِّكْرُ وتلاوَةُ القرآن لا يجوز أَخْذُ الأَجْرِ عليها. ويجوزُ في الحجِّ أن يشترطَ على المحْجُوجِ عَنْه النَّفَقَةَ التي يتكلَّفها بالفعل لا أكثر. وأجاز العلماء لإمام المسلمين أن يفرض للإمام والمؤذن والقاضي ونحوهم رزقاً من بيت المال، وليس ذلك أجْرة، ولا يضرّ نيّته، كما يأتي بعد أبواب.

وروى الإمام أحمد (٣/٤٢٨) عن عبد الرحمن بن شِبْلِ الأنصاري، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرؤُوا القرآنَ، ولا تغْلُوا فيه، ولا تجفُوا عنه، ولا تأكلوا بِهِ، ولا تَسْتَكثِرُوا به».

وروى الإمام أحمد (٥/٤١٣) عن أبي أيوب الأنصاري، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنها ستفتح عليكم الأمصار، وسيضربون عليكم بعوثاً، فيَكْرهُ الرجل منكم البعث، فيتخلَّصُ من قومه، ويعرض نفسه على القبائل، يقول: من أكفيه بعث كذا وكذا، وذلك الأجيرُ إلى آخر قطرةٍ من دَمِهِ».

قلت: أي هو أجيرٌ وليس مجاهداً، ولو أنه قتل في المعركة فليس شهيداً، لأنه لم يقاتل في سبيل الله تعالى وإنما ليحصِّل ما أُعطِيهُ من الأجرة.

١٨- باب: جواز أخذ الأجرة على نحو الرقية بالقرآن وتعليمه

روى البخاري (طب ب ٣٤) عن ابن عباس: «أن نَفَراً من أصحاب النبي ﷺ مَروا بماء فيهم لديغٌ- أو سليم- فعَرضَ لهم رجل من أهل الماء، فقال: هل فيكم من راقٍ؟ إن في الماء رجلاً لديغاً، أو سليماً- فانطلقَ رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتاب، على شاء، فبرَأ. فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرِهوا ذلك، وقالوا: أخذتَ على كتابِ الله أجراً. حتى قدموا المدينةَ. فقالوا: يا رسول الله أخذَ على كتابِ الله أجراً. فقال رسولُ الله ﷺ: إن أحقّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله» .

قلت: هذا في الرقية، فجاز أخذ الأجر عليها لأنها من باب التطبيب. ومثلها تعليم القرآن على الأظهر، لما فيه من النفع الخاص للمسترقي والمتعلم، فيجوزُ أخذ الأجر عليهما.

١٩- باب: جواز الجُعْلِ للغازي

روى أبو داود (جهاد ب ٢٨) عن عبد الله بن عمرو : « أن رسول الله ﷺ قال: «للغازي أجره، وللجاعل أجْرُهُ وأجْرُ الغازي» .

الجعالة هنا أن يقول رجل لرجل: إن خرجت للقتال في الجهة الفلانية أعطيك كذا وكذا. ولعله إنما جاز لما فيه من المعونة على الجهاد. ثم إن كان القصدُ الأولُ لآخذِهِ الجُعْلَ فهو حَظُّه، وإن كان خرج للجهاد واستعان بالجعل فله جهاده. والله أعلم.

٢٠- باب: هل يحصل الأجر لمن عمل شيئاً من أمر الدنيا بالأجرة وأصلح نيّتهُ في ذلك؟

روى البخاري (صلاة ب ٦٥) عن الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: «إني سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: مَن بَنى مسجداً بَنى الله له مِثلَهُ في الجنّة» .

✓ قال ابن حجر: قال ابن الجوزي: من كَتَبَ اسمه على المسجد كان بعيداً من الإخلاص. ثم ذكر الحديث: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثةً الجنة: صانِعَهُ المحتسِبَ في صنعته، والرامي به، والـمُمِدَّ به» قال: فقوله: المحتسب في صنعته، أي مَنْ يقصد إعانة المجاهد وهو أعمُّ من أنْ يكون متطوّعاً أو بأجرٍ (فتح الباري ١/ ٥٤٥) .

أقول: إن أخذ الأجر على أصل العمل، لكن احتَسَب الأجر على الله تعالى في إتقان العمل والزيادة فيه، والنصح، فله أجر ذلك إن شاء الله. وذلك ظاهر. وهو بشرى لأصحاب الصنائع إذا أحسنوا واحتسبوا عند الله إتقانَ صنائِعِهِم. [وظائفهم]

وانظر: (م مساجد ح ٢٤؛ د تطوع ب ١) .

٢١- باب: من عمل صالحاً فأتاه بسببه مال لم يشترطه لم يَضع من أجره عند الله شيئاً

روى مسلم (زكاة ح ١١٢) عن ابن السّاعديّ المالكيّ، أنه قال: اسْتَعْمَلَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطّابِ رَضِيَ الله عَنْهُ عَلَىَ الصّدَقَةِ. فَلَمّا فَرَغْتُ مِنْهَا، وَأَدّيْتُهَا إِلَيْهِ، أَمَرَ لِي بِعُمَالَةٍ. فَقُلْتُ: إِنّمَا عَمِلْتُ لله، وَأَجْرِي عَلَى الله. فَقَالَ: خُذْ مَا أُعْطِيتَ، فَإِنّي عَمِلْتُ عَلَىَ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ مِثْلَ قَوْلِكَ. فَقَالَ لِي

رَسُولُ الله ﷺ: إذَا أُعْطِيتَ شَيْئاً مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْأَلَ، فَكُلْ، وَتَصَدَّقْ» .

وانظر: (د إمارة ب ١٠؛ ن زكاة ب ٩٤) .

٢٢- باب: يجوز أخذ المُعَدِّينَ للجهادِ والمتفرِّغِينَ للإمامة والأذان والقضاء ونحو ذلك، عطاءً من بيتِ المال، ولا يضرُّ ذلك نيّتَهم إن لم يكن هو أصل القصْد بالعمل

روى البخاري (مغازي ب ١٢) عن إسماعيل بن قيس، قال: «كان عطاء البدريّينَ خمسة آلافٍ خمسةَ آلافٍ، وقال عمر: لأفضّلنَّهُمْ على من بعدهم» .

وروى الإمام أحمد (١٦٧/٥) عن الأحنف بن قيس، قال: «قلت لأبي ذر: ما تقول في هذا العطاء؟ قال: خذه فإن فيه اليوم مَعُونَةً، فإذا كان ثمناً لدينكَ فَدَعْهُ» .

٢٣- باب: عمل الخوارج والمبتدعة باطل ولو اجتهدوا فيه

روى البخاري (فضائل القرآن ٣٦) عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أنه قال: «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: يَخْرُجُ فيكمْ قومٌ تحقرونَ صلاتَكم مع صلاتهم، وصيامَكُمْ مع صيامِهِمْ، وعملكُمْ مع عَمَلِهِم، ويقرَؤُون القرآنَ لايجاوزُ حناجرَهُمْ، يمرُقُون من الدّين، كما يَمرُقُ السهمُ من الرَّمِيَّةِ...» .

وروى مسلم (أقضية ح ١٧) عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» .

وفي رواية: «مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ» .

وانظر: (د سنّة ب٥؛ حم ١٤٦/٦) .

وروى البخاري (أذان ب ٥٦) في (باب إمامة المفتون والمبتدع) عن الحسن، تعليقاً، قال: «صلّ وعليه بدعته» .

قال المقريزي: العبد لا يكون متحققاً بعبادة الله تعالى إلا بأصلين: أحدهما: متابعة رسول الله ﷺ. والثاني إخلاص العبودية لله تعالى.

قال: والناس في هذين الأصلين على أربعة أقسام:

الأول: من جمعوا بين الأخلاص والمتابعة، فأعمالهم كلها لله، وعلى وفق ما اتى به الرسول ﷺ. فمن جمع ذلكَ فعملُه هو الحسَنُ المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وأمَرَ به النبي ﷺ في قوله: «كلُّ عملٍ لَيْسَ عليهِ أمرنا فهو رَدٌّ» وكل عمل بلا متابعة فإنه لا يزيد عامله إلا بُعداً من الله تعالى، فإن الله تعالى إنما يُعْبَدُ بأمرِهِ لا بالأهْواء والآراء. والشأنُ ليس في عبادة الله فقط، بل في عبادته كما أراد .

الثاني: من لا إخلاص له ولا متابعة. وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن السِّراط المستقيم، من المنتسبين إلى العلم والفقه والفقر والعبادة، فإنهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسُّمعة، ويحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا.

الثالث: من هو مخلص في أعماله، لكنها على غير متابعة، كجهال العُبَّاد، وكل من عَبَد الله على جهل وكل من عَبَد الله على غير مراده. ومنهم من يمكث في خلواته تاركاً للجمعة ويرى ذلك قربة. ويرى أن صيام يوم الفطر قربة، وأمثال ذلك.

الرابع: مَنْ أعمالُهُ على متابعة الأمر، لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين، وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم، ويحج ليقال،

ويقرأ ليقال، ويعلّم ويؤلّف ليقال. فهذه أعمال صالحة، لكنها غير مقبولة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

(تجريد التوحيد المفيد ص ٦٠) .

وحاصل هذا أن العمل إن كان مبتَدَعاً فهو مردود إن كان قد عُمِلَ على طريقة العبادة. أما سائر أعمال المبتدع وعباداته الجارية على مقتضى الشرع والسنة، فلا يمتنع قبولها لكونه مبتدعا في أعمال أخرى، وهذا ما لم تكن بدعته مكفّرة مخرجةً له عن الملة والعياذ بالله.

٢٤- باب: هل يشترط لقبول العمل سلامة فاعله من المعاصي؟

قال الله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

نقل القرطبي (١٤/ ٣٣٠) أن من معنى الآية: أن من ذكر الله تعالى، وقال كلاما طيباً، ولم يؤدِّ فرائض الله، رُدَّ قوله ولم يرفع. لكنْ قال ابن عطية: الحقُّ أن العاصي التاركَ للفرائضِ إذَا ذَكَرَ الله، وقال كلاماً طيباً، فإنه مكتوب له متقبَّل منه، وله حسناته وعليه سيئاته. فالله يتقبل من كل من اتقى الشرك. اهـ.

وقال ابن العربي: «العمل إذاَ وقَع شرطاً في قبول القول أو مرتبطاً به، فإنه لا قبول له إلا به [كأذكار الصلاة التي هي من أركانها] وإن لم يكن شرطا فيه

فإن كلامه الطيب يكتب له، وعمله السيئ يكتب عليه، وتقع الموازنة بينهما، ثم يحكم الله بالفوز أو الخسران» اهـ. والله أعلم.

ونقل القرطبي في موضع آخر (٦/ ١٣٧) عن ابن عطية أن المراد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾: اتقاء الشرك، بإجماع أهل السُّنّة [أي لأن المشرك لا يقبل له عملٌ صالحٌ البتّة]، فمن اتقى الشرك وهو موحد، فأعماله التي تصدُقُ فيها نيته مقبوله: [أي ولو كان عاصياً في أمور أخرى، ولو كانت من الكبائر، حيث تقع الموازنة بين صالح الأعمال وسيئها كما يأتي] ثم قال: وأما الموحِّد إنْ كان مع توحيده متّقياً أيضاً للمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة اهـ.

قلت: أما الصغائر من الذنوب فلا تمنع قبول العمل بلا تردد، وأيٌّ يسلم منها ؟

٢٥- باب: قد يجتمع في عملٍ واحدٍ أنه خيرٌ فيثاب عليه، وأنه شرٌّ فيأثم به

قال الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ثم قال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ٢١٧، ٢١٨].

نقل القرطبي (٣/ ٤١) إن الآية المتقدمة نزلت في سريّة عبدالله بن جحش وأصحابه، أرسلهم النبي ﷺ ليتحسّسوا أخبار قريش ، بعد أن أخرجتهم قريش من ديارهم وأموالهم. وإنهم مرّت بهم عيرٌ لقريش تحمل تجارة، وكان ذلك في آخر يوم من شهر رجب الحرام. فقتلوا بعض رجال العير، وأسروا بعضهم. وأخذوا الإبل بما حَمَلَت وجاؤوا بذلك إلى النبي ﷺ . فأنكر عليهم المسلمون

القتال في الشهر الحرام، ونزلت الآية تبين أن القتل في الشهر الحرام كبيرة من كبائر الذنوب، وقال عبدالله بن جحش: يا رسول الله هل نطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين؟ فنزلت الآية الثانية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ﴾ تبين أنهم مؤمنون مجاهدون يرجون رحمة الله . فعلى هذا يكونون قد أثموا بالقتال في الشهر الحرام وأُجروا عليه لأن همّهم كان منصرفاً إلى الجهاد وإعلاء كلمة الله.

وأخرج القصّة الطبري، والطبراني والبيهقي بسند صحيح (كذا في تفسير الشوكاني).

وقال الشيخ يوسف القرضاوي: «إذا كان العمل مشروعاً، ونوى به صالحاً، فإن شرطه أن يلتزم فيه حدودَ الشرع، فلا يخونَ ولا يَغُشَّ ولا يظلم» اهـ (العبادة في الإسلام ص ٦٢).

قلت: ومقتضى هذا أنه إن فعل ذلك فلا يؤجر.

والصواب عندي أن له أجر الخير وعليه إثم الشر، فينقُص من أجره على الخير بقدر ما أدخله فيه من الشر. وعلى هذا وَرَدَ كلام ابن عطيَّةَ الآنفُ الذكر.

وهذا ما لم يكن العمل بالخير وارداً على الشرِّ بعينه، كما لو تصدَّق بالمال المسروق، فإنه لا يتقبل منه، بل يأثم، ما لم يكن قد تاب من السّرقة وأراد ردَّ المال إلى صاحبه فلم يعرف صاحبه، ويئس من معرفته فأخرجه إلى الفقراء، وفعلُهُ حينئذٍ تخلُّصٌ من الحرام، يؤجر عليه، وليس صدقة من الصدقات، لأن المال ليس له .

أما إن لم يكن العمل وارداً على الحرام، بل اتصل الحرام بالعمل بطريق ما كما لو توضأ بماءٍ مغصوب، أو صلى في أرضٍ مغصوبة، أو في ثياب من الحرير، فإن عامة الفقهاء يرون صحة وضوئه وصلاته، فله أجره، وعليه إثم الغصب، وتحصل الموازنة بينها.

وهذا جارٍ في جميع أنواع الحرام، ولا يستثنى منها إلا أمور معينة وردت بها النصوص، ونورد بعضها فيما يلي من الأبواب إن شاء الله.

٢٦- باب: لا يمنع إتيانُ الصغائر أن يكون العبد من أهل الإحسان

قال الله تعالى: ﴿وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى. الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢، ٣٣].

اللَّمَمُ: هو الصغائر من الذنوب، يُلِمُّ بها الإنسان، ولا يقيم عليها. وأصل الإلمام في كلام العرب الزيارة العارضة، قال الشاعر :

بِزَيْنَبَ أَلْمِمْ قَبْلَ أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ

ونقل القرطبي عن الحسن ومجاهد والزهري أن من اللمم أيضاً الكبيرةَ إذا وقعت ثم تاب منها، نحو أن يقع منه الزنا ثم يتوب ولا يعود، أو يسرق ثم يتوب ولا يعود.

٢٧- باب: إتيان العرّافين وتصديق مدعي علم الغيب يمنع قبول الصلاة

روى الإمام مسلم (السلام ١٢٦) عن صفية، عن بعض أزواج النبيّ ﷺ عنه ﷺ قال: «من أتى عرّافاً فصدَّقَهُ بما يقولُ لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين يوماً» .

وانظر: (حم ٤/ ٦٨و ٥/ ٣٨٠) .

٢٨- باب: شرب الخمر يمنع قبول الصلاة أمداً معلوماً

روى النسائي (أشربة ب ٤٤) عَنْ عَبْدِ الله بْن عَمْرو عَـن النبي ﷺ قَـالَ: «مَنْ شَربَ الْخَمْرَ فَجَعَلَهَا فِي بَطْنِهِ لَمْ يَقْبَلِ الله مِنْهُ صَلَاَةً سَبْعاً إنْ مَاتَ فِيهِـن مَاتَ كَافِراً. فَإنْ أَذْهَبَتْ عَقْلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْفَرَائِضِ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَـلاَةٌ أَرْبَعِيـنَ يَوْما إنْ مَاتَ فِيهِنّ مَاتَ كَافِراً» .

كافراً: أي كفراً عمليّاً، بمعنى أنه عَمِلَ ما هو مـن أعمـال الكفـار، لأنـه لا صلاة له ما دام سكران.

وروى النسائي (أشربة ب ٣٣) عن مسروق قال: «من شـرب الخمـر فَقَـدْ كَفَر، وكُفْرُهُ أنْ ليس له صلاةٌ» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ١٧٦) عن عبد الله بن عمرو، قال: «إنـي لا أُحِلُّ لأحدٍ أن يقول عليَّ ما لم أَقُلْ: سمعت رسول الله ﷺ يقـول: مَـنْ شَـرِبَ مـن الخمر شَرْبةً لم تُقْبَلْ له صلاةٌ أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم تُقْبَلْ له صلاة أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه. قال: فلا أدري في الثالثة

أو في الرابعة: فإن عاد كان حقاً على الله أن يَسْقِيَهُ من رَدْغة الخبال يوم القيامة» .

رَدْغَةُ الخَبَال فُسِّرت بأنها عُصَارَةُ أهل النار.

٢٩- باب: إباق المملوك من سيِّده من غير بأس يمنع قبول صلاته

روى مسلم (إيمان ح ١٢٣، ١٢٤) عن الشعبي، عن جرير، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما عبدٍ أبق فقد برئت منه الذمة» وفي رواية «إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة» .

٣٠- باب: الصدقة مردودة إن كانت من حرام

روى مسلم (طهارة ح ١) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: «دَخَلَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ عَلَى ابْنِ عَامِرٍ يَعُودُهُ وَهُوَ مَرِيضٌ. فَقَالَ: أَلاَ تَدْعُو الله لِي يَا ابْنَ عُمَرَ. قَالَ: إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: لاَ تُقْبَلُ صَلاَةٌ بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَلاَ صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ». وَكُنْتَ عَلَى الْبَصْرَةِ .

وانظر: (د طهارة ب٣١؛ حم ٢/ ٢٠).

وروى الإمام أحمد (١/ ٣٨٧) عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يكسِبُ عبدٌ مالاً من حرامٍ فينفِقَ مِنْهُ فيبارك له فيه، ولا يتصدقُ به فيقبلَ منه، ولا يتركهُ خلفَ ظهرهِ إلا كان زادَهُ إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيِّئ بالسيِّئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إنَّ الخبيثَ لا يَمْحُو الخبيثَ».

٣١- باب: أعمالٌ يوقَفُ بسببها قبول العمل الصالح من صاحبه مُؤَقّتاً

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٢٩) عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس» قال: فقيل له: «فقال: إنّ الأعْمَالَ تُعْرَضُ كُلّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ. أوْ: كُلّ يَوْمِ اثنينِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، أوْ: لِكُلِّ مؤمنٍ إلا المُتَهَاجِرَيْنِ فَيَقُولُ: أَخِّرْهُما» .

وروى مسلم (بر ح ٣٦) عن أبي هُرَيْرَةَ، رَفَعَهُ، قَالَ: «تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللهُ عَزّ وَجَلّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلّ امْرِيءٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، إلاّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: ارْكُوا هَـٰذَيْنِ حَتّىٰ يَصْطَلِحَا» .

وانظر: (د صوم ب٥٩؛ ت صوم ب ٤٣) .

اركوا: أي أخّروا. وروي: «ارْكُوا» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ٤٨٤) عن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ قال:إن أعمال بني آدم تُعْرَضُ كل خميسٍ ليلةَ الجُمُعَة فلا يُقْبلُ عَمَلُ قاطِعِ رَحِمٍ» .

٣٢- باب: هل تقبل فريضة ممن عليه فريضة من جنسها لم تُقْضَ

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٥٢) بسند فيه ابن لهيعة عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: «من أدْرَكَ رمضانَ وعليهِ من رمضان شيءٌ لم يقضِهِ لم يُتَقَبّلْ منه. ومن صَامَ تطوعاً وعليه من رمضان شيء لم يقضه فإنه لا يُتَقَبّل منه حتى يصومَه» .

عبد الله بن لهيعة: قال ابن حجر: «صدوق خلط بعد احتراق كتبه» اهـ.

قلت: فهو إذن ضعيف، فلا تكون روايته حجة في مثل هذه المسألة الكبيرة. وهو قد تفرّد بهذا الحديث، فلعله أن يكون فُتْيا له، وكثير من علماء الأمة على خلافه.

الجناح السابع

مراتب الأعمال الصالحات

١- باب: إشارة القرآن إلى مراتب الأعمال

قال الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [التوبة: ١٩، ٢٠].

قال ابن حجر: المراد، بـ«أعظم» ما يكون أكثر ثواباً. والأعمال علاماتُ الثَّواب، فمن كان عمله أكثر فدينه أقوى، ومن كان دينه أقوى فثوابه أكثر، ومن كان ثوابه أكثر فهو أفضل. (فتح الباري ١٢/٣٩٦) .

٢- باب: أفضل الأعمال الإيمان الذي لا يخالجه شك

روى الإمام أحمد (٢/٣٤٨) عن أبي هريرة قال: «قيل: يا رسول الله أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان لا شكَّ فيه. وغزوٌ لا غُلُولَ فيه. وحجٌّ مبرور» وكان أبو هريرة يقول: «وحجَّةٌ مبرورةٌ تكفِّر خطايا تلك السنة» .

(وانظر حم ٢/ ٤٤٢) .

وروى الترمذي (إيمان ب ٨) عن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ، فذكر الحديث إلى أن قال:

«ثُمّ قَالَ رسول الله ﷺ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ في سبيل الله».

قال الترمذي: هَذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٣- باب: أفضل الأعمال الحبُّ في الله

تقدم الحديث أن أفضل الأعمال الحب في الله.

٤- باب: خيرُكُمْ من تعلَّم القرآنَ وعلَّمه

روى البخاري (فضائل القرآن ب ٢١) عن الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال: خيركم من تعلَّمَ القُرآنَ وعلَّمَهُ» وفي رواية «إن أفضلكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه».

وانظر: (د وتر ب١٤ ؛ ت ثواب القرآن ب ١٥).

٥- باب: ذكرُ الله تعالى أفضلُ من الجهاد

روى مالك (قرآن ح ٢٤) عن أبي الدرداء، قال: «ألا أُخْبِرُكمُ بخيرِ أعمالكم، وأرْفعِهَا في درجاتِكُمْ، وأزكاها عند مليكِكُمْ، وخيرٍ لكم من إعطاء الذهب والفضة والوَرِق، وخيرٍ لكمْ من أن تلْقَوْا عدوكم فتضرِبُوا أعناقَهُمْ ويَضْربوا أعناقَكُمْ؟ قالوا: بلى. قال: ذِكْرُ الله تعالى».

وانظر: (ت دعوات ٦؛ جه أدب ب ٥٣؛ حم ٥/ ١٩٥).

وهو عند الترمذي مرفوع.

٦- باب: الصلاةُ المفروضةُ أعلى من الجهاد في سبيل الله

روى مسلم (إيمان ب ١٣٨) عن عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه «قُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله أَيّ الأَعْمَالِ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى مَوَاقِيتِهَا. قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيّ الله؟ قَالَ: بِرّ الْوَالِدَيْن. قُلْتُ: وَمَاذَا يَا نَبِيّ الله؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله» .

وروى الإمام أحمد (٥/ ٢٧٧) عن ثوبان، قال: «قال رسول الله ﷺ: استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلَمُوا أن خيرَ أعمالِكُمُ الصلاةُ، ولن يحافِظَ على الوضوءِ إلا مُؤْمن» .

وانظر: (ط طهارة ح٣٦؛ حم ٥/ ٢٧٧).

وروى الإمام أحمد (٦/ ٣٧٥) عن أم فروةَ، وكانت ممن بايع: «أنها سمعت رسول الله ﷺ وذكر الأعمال، فقال: أحبُّ العَمَلِ إلى الله عز وجل تعجيلُ الصلاةِ لأوَّل وقتها» .

٧- باب: التسبيح والتحميد والتكبير أدبار الصلاة أعلى من الصدقة بالمال

روى البخاري (أذان ب ١٥٥) عن أَبي هريرةَ رضيَ الله عنه قال: «جاء الفقراءُ إلى النبيِّ ﷺ فقالوا: «ذَهبَ أهلُ الدّثورِ مِنَ الأموالِ بالدّرجاتِ العُلى والنّعيمِ المُقيم: يُصلّونَ كما نُصلّي، ويصومونَ كما نصومُ، ولهم فَضلٌ من أموالٍ يَحُجّونَ بها ويَعْتَمِرون ويُجاهدونَ ويتصدّقون. قال: ألا أُحدّثُكم بأَمرٍ إن أخذتُم به أدركتم من سبَقَكم، ولم يُدرككم أحدٌ بعدَكم، وكنتم خيرَ مَن أنتم بينَ ظَهرانَيْه، إلاّ مَن عَمِلَ مِثلَهُ؟ تُسبّحونَ وَتحمَدونَ وتكبّرونَ خلفَ كلّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثينَ» .

٨- باب: برّ الوالدين أعلى من الجهاد في سبيل الله غير المتعيّن

روى مسلم (إيمان ح ١٣٧) عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلاَةُ لِوَقْتِهَا . قَالَ: قُلْتُ: ثُمّ أَيّ؟ قَالَ: بِرّ الْوَالِدَيْنِ . قَالَ: قُلْتُ: ثُمّ أَيّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. فَمَا تَرَكْتُ أَسْتَزِيدُهُ إِلاّ إِرْعَاءً عَلَيْهِ» .

وانظر: (خ عتق ٢، جهاد ب١؛ ن صيام ب ٤٣؛ حم ٥/ ١٥٠، ٤٠١٦) .

٩- باب: أعمال مرتبة

روى مسلم (إيمان ح ١١٣٦) عَنْ أَبِي ذَرّ، قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ بِالله وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ. قَالَ: قُلْتُ: أَيّ الرّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَغْلاَهَا ثَمَناً. قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ صَانِعاً أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفّ شَرّكَ عَنِ النّاسِ، فَإِنّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ» .

١٠- باب: الجهاد في سبيل الله تعالى أفضل من سقاية الحاج والعكوف في المسجد الحرام

روى مسلم (إمارة ح ١١١) عن النعمان بن بَشِير قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ. فَقَالَ رَجُلٌ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاّ أَنْ أَسْقِيَ الْحَاجّ. وَقَالَ آخَرُ: مَا أُبَالِي أَنْ لاَ أَعْمَلَ عَمَلاً بَعْدَ الإِسْلاَمِ إِلاّ أَنْ أَعْمُرَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ. وَقَالَ آخَرُ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِمّا قُلْتُمْ. فَزَجَرَهُمْ عُمَرُ، وَقَالَ: لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ. وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ.

وَلَكِنْ إِذَا صَلَّيْتُ الْجُمُعَةَ دَخَلْتُ فَاسْتَفْتَيْتُهُ فِيمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ. فَأَنْزَلَ الله عَزّ وَجَلّ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: ١٩] الآيَةَ إِلَىَ آخِرِهَا» .

وانظر: (حم ٤/ ٢٦٩) .

١١- باب: الإنفاق في الجهاد في سبيل الله هو من الجهاد الفاضل

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٤٦) عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قال: «قال رسول الله ﷺ: والذي نفس محمد بيده ما شَحَبَ وجهٌ ولا اغْبَرّت قدم في عمل تُبتغى فيه درجات الجنة بعد الصلاة المفروضة كجهاد في سبيل الله، ولا ثَقُل ميزانُ عبدٍ كدابةٍ تَنْفُقُ له في سبيل الله. أو يحمل عليها في سبيل الله» .

١٢- باب: قَول من قال: ما فيه نفع متعدٍّ إلى الغير أفضل من النوافل

قال المقريزي: صِنْفٌ من الناس رأوْا أن أفْضَلَ العباداتِ ما كان فيه نفعٌ متعدٍّ، فرأوه أفضلَ من النفع القاصِرِ، فرأوْا خِدمَةَ الفقراء أو الاشتغال بمصالح الناس أفضل، لقول النبي ﷺ: «الخلق عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله» قالوا: وعمل العابِدِ قاصِرٌ على نفسه، وعمل النفّاع متعدٍّ إلى الغير، فهو أعلى من القاصر (تجريد التوحيد ص ٦٣) .

قلت: مبنى هذه القاعدة هذا الحديث الشديد الضّعف، ولا يثبت به علم. وأيضاً: الصلاة نفعها قاصر والزكاة نفعها متعدّ، ولم تكن الزكاة أفضل من الصلاة. بل الصلاة أفضل إجماعاً.

١٣- باب: إصلاح ذات البين أفضل من العبادات المندوبة

روى أبو داود (ادب ب ٥٠) عن أَبِي الدَّرْدَاء، قال: «قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَـةِ؟ قَـالُوا: بَلَـى، قَـالَ: إِصْلاَحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ» .

الحالقة: تحلق الدين، كما ورد تفسيره في حديث مرفـوع. أي لِمَـا في فساد ذات البين عادةً من قطيعة الأرحام، وظلم الأبرياء، والجهل والافتراء والتدابر، والغيبة، وكثير من الآثام .

❀ ❀ ❀

الجناح الثامن

تفاضل الجنس الواحد من الأعمال باعتبارات

١- باب: الفريضة من كل عبادةٍ أفضلُ من نافلتها

روى البخاري (رقاق ب ٣٨) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب... الحديث، وفيه: وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» .

وقد تقدم الحديث كاملاً وذكرنا هناك بعض ما فيه.

٢- باب: الأجرُ على قَدْرِ المشقَّة

روى البخاري (عُمْرة ب ٨) عن القاسم بن محمد والأسود، قالا: «قالت عائشةُ رضيَ الله عنها: يا رسولَ الله، يصدُرُ الناسُ بنسُكيْنِ وأصدُرُ بنسُكٍ؟ فقيل لها: انتظري، فإذا طَهُرْتِ فاخرُجي إلى التنعيم فأهلّي، ثمّ ائتينا بمكانِ كَذَا، ولكنها على قَدْرِ نَفَقَتِكِ، أو: نَصَبِكِ» اهـ.

(وانظر: م حج ح ١٢٧؛ حم ٦/ ٤٣) .

وكانت عائشة رضي الله عنها في سفرها للحج مع النبي ﷺ قارنة فحاضت فلم تطفْ بالبيت قبل عرفة، بل طافت بعد ذلك لحجها وعمرتها. فاستأذنت النبي ﷺ أن تعتمر بعد فراغها من أعمال الحج، فخرجت من مكة إلى التنعيم

واعتمرت من هناك فلم يكن في عمرتها من المشقة والنفقة كما لو اعتمرت من المدينة.

قال النووي: ظاهر الحديث أنّ الثواب والفضل يكثر بكثرة النَّصَبِ والنفقة. قال ابن حجر: وهو كما قال، لكنّ ذلك ليس بمطَّرِد.اهـ (فتح الباري ٣/ ٦١١).

قلت: التعب والمشقة عنصر من عناصر كثرة الثواب، فإنْ استوت العبادتان من النواحي الأخرى ولم يفترقا إلا في مقدار التعب والمشقة التي يتطلَّبها العملُ، فما كان أشق فهو أكثر ثواباً. والله أعلم.

وروى البخاري (أذان ب ٣١) عن أبي موسى، قال: «قال النبيّ ﷺ: أعظمُ الناسِ أجراً في الصلاةِ أبعَدُهم فأبعدُهم مَمْشىً، والذي يَنتظِرُ الصلاةَ حتى يُصَلّيَها مع الإمامِ أعظمُ أجراً من الذي يُصَلّي ثمّ يَنامُ».

وانظر: (ط طهارة ح ٣٣؛ حم ٢/ ٣٥١، ٤٢٨).

وروى مسلم (مساجد ح ٢٧٨) عن أُبيّ بن كعب، قال: «كان رجل لا أعلَمُ رجلاً أبعدَ من المسجد منه، وكان لا تخطئه صلاة. قال: فقيل له: لو اشتريْتَ حماراً تركبُهُ في الظلماء وفي الرمضاء. قال: ما يَسُرُّني أن منزِلي إلى جَنْبِ المسجد، إني أريد أن يُكْتَبَ لي ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله ﷺ: قد جمع الله لك ذلك كله».

وانظر: (د صلاة ب ٤٨، ٥٠).

وروى البخاري (فضائل المدينة ب ١١) عن أنس، قال: «أراد بنو سَلِمَةَ أن يتحولوا إلى قربِ المسجد، فَكَرِهَ رسول الله ﷺ أن تُعرى المدينة، وقال: يا بني

سلمة ألا تحتسبون آثارَكُمْ» .

وانظر: (ت تفسير يس ب١) .

قوله «تُعْرى المدينة» أي تخلو من الحراسة من العدوُّ من تلك الناحية التي كان فيها بنو سلمة، فأمرهم بالبقاء في ديارهم ليقوموا بالحماية من قِبَلهم، وأن يتحملوا مشقة السير إلى المسجد .

وفي صحيح مسلم (مساجد ح ٢٨١) عن جابر بن عبد الله، قال: «أراد بنو سلمة أن يتحوّلوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية. قال: فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ، فقال: يا بني سَلمةَ: ديارَكُمْ تُكتَبْ آثارُكُمْ، ديارَكم تكتبْ آثارُكم. فقالوا: ما كان يسرنا أنا كُنَّا تحوَّلْنا» .

٣- باب: هل للإنسان أن يطوِّل الوسيلة إلى العمل الصالح ويتعمد مشقةً يمكن الاستغناء عنها، ليعظم بها الأجر؟

قال القرطبي: لو كان بجوارِهِ مسجدٌ، فهلْ له أن يجاوِزَهُ إلى الأبعد؟

روي عن أنسٍ أنه كان يجاوزُ المحدث إلى القديم. وكره الحسن هذا وقال: لا يدع مسجداً قربه ويأتي غيرَه.ُ قال: وهذا مذهب مالك. وفي تخطِّيه إلى المسجد الأعظم قولان.

قلت: إن كان التجاوُزُ لغرضٍ صحيح، كأن يكون في الأبعدِ مجلسُ علمٍ، فلا بأس، ويؤجر إن شاء الله على ذلك؛ أو يكون الأبعد هو الأقدم زمناً، أو يلتقي فيه ببعض إخوانه من الصالحين. أما إن كان لغير غرض إلا أن تكثر خطواته ومشقته فيزداد أجره، فالظاهر - والله أعلم- أنه لا يؤجر على ذلك، كمن ترك الطريق الأقرب الأيسر إلى المسجد، وذهب إلى المسجد نفسه من

طريق بعيد أو شاق، لمجرد البعد والمشقة. ووجهه عندي أن الأجر على المشقة جُعِلَ معونةً على الطاعة وترغيباً فيها لا للمعونة على المشقة نفسها ولا للترغيب فيها بذاتها، لأن المشقة ليست مطلوبة لذاتها شرعاً، بل المطلوب اليسر، لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[البقرة:١٨٥].

وروى البخاري (تقصير الصلاة ب ١٧) عن عمران بن حصين، قال: «سألت رسول الله ﷺ عن صلاة الرجل قاعداً، فقال: إن صلى قائماً فهو أفضل، ومن صلى قاعداً فله نصفُ أجرِ القائم، ومن صلى نائماً فله نصف أجر القاعد» .

وانظر: (ت صلاة ب ١٥٧) .

قلت: هذا في التطوع فإن المتطوّع بالصلاة القادر على القيام يجوز له أن يصلي قاعداً، بخلاف المفترض وقوله: « ومن صلى نائماً إلخ»، قال ابن حجر: لا أحداً من أهل العلم أجاز للقادر أن يتطوع نائماً. قال: فلعل هذا مُدْرج في الحديث من بعض رواته.

وروى الإمام أحمد (٣/ ٣٠٠) عن جابر. قال: «قالوا: يا رسول الله أيُّ الجهاد أفضل؟ قال: من عُقِرَ جوادُهُ وأهريقَ دمُهُ» .

٤- باب: أفضلية العمل بمشقته على النفس

روى مسلم (زكاة ح ٩٢) عن أبي هريرة. قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أي الصدقةِ أعظمُ؟ قال: أن تَصَدّقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشى الفقرَ وتأمُلُ الغنى، ولا تُمهِلَ حتى إذا بلغت الحلقومَ قلتَ: لفلانٍ كَذا، ولفلانٍ كَذا، ألا وقد كان لفلان» .

وانظر: (خ وصايا ب ٧؛ أفضل حم ٢/ ٢٣١، ٢٥٠، ٤١٥، ٤١٧) .

٥ـ باب: منه: جهد المُقِلّ

روى الإمام أحمد (٥/ ١٧٨) عن أبي ذر قال: «قلت: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: جُهدٌ من مقلّ، أو سرٌّ إلى فقير» الحديث.

(وانظر د زكاة ٤٠) .

وليس المراد بالمُقِلّ الفقير الذي ما بيده من مال أقل من حاجة نفسه وعياله، فإن هذا لا يندب له أن يحرم نفسه وعياله ليتصدق على غيره، لقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾، فالعفو هو ما زاد عن الحاجة، ولحديث البخاري (زكاة ١٨) عن أبي هريرة وحكيم بن حزام مرفوعاً: «خير الصدقة ما كان عن ظهر غِنىً وابدأ بمن تعول» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣٧٩) عن أبي هريرة: « أن رسول الله ﷺ قال: سبق درهمٌ درهمين: قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: كان لرجل درهمانِ فتصدقَ أجودهما، فانطلق رجل إلى عُرْضِ ماله فأخذ منه مائة ألف درهمٍ فتصدَّقَ بها» .

وانظر (ن٥/ ٥٩) ولفظه «سبق درهم مئة ألف درهم ».

الجناح التاسع

أفضلية العمل في أوقات وأماكن وأحوال خاصة

١- باب: فضل الأعمال الصالحة يوم النحر وأيام التشريق

روى الإمام أحمد (٤/ ٣٥٠) عن عبد الله بن قُرْطٍ الثُّمالي عن النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الأيام عند الله يومُ النحر ثم يومُ القَرّ».

يوم القرّ هو اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة.

وانظر: (د مناسك ب ١٩).

وروى البخاري (عيدين ب١١) عن ابن عباس: «عن النبي ﷺ أنه قال: ما العمل في أيامٍ أفضلُ منها في هذِهِ. قالوا: ولا الجهاد؟ قال: ولا الجهاد، إلاّ رجلٌ خرج يخاطر بنفسِهِ ومالِهِ فلم يرجعْ بشيء» .

قوله «أفضل من هذه» يعني أيام التشريق، كما نبّه إليه البخاري حيث بوّب له : «فضل العمل أيام التشريق » أورد فيه هذا الحديث .

٢- باب: أفضلية العمل الصالح في عشر ذي الحِجة

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾[الفجر: ١-٥].

فسرت الليالي العشر بأنها عشرة ذي الحجة.

روى الترمذي (صوم ب ٥٢) عن ابن عباس. قال: «قال رسـول الله ﷺ، ما من أيامِ العملُ الصالح فيهن أحَبُّ إلى الله من هـذِهِ الأيـامِ العَشْـرِ» فقـالوا: «ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقـال رسـول الله ﷺ «ولا الجهـاد في سـبيل الله إلا رجلٌ خرج بنفسِهِ وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وانظر (حم ٢/ ١٣١، ١٦١؛ د صوم ب٦١) .

٣- باب: أفضلية العمل في رمضان

روى مسلم: (حج ح ٢٢٢) عن ابن عباس : « أن النبي ﷺ قال لامرأة من الأنصار اسمهـا أم سـنان: عمـرة في رمضـان تقضـي حجـةً ، أو حجـة معي».

وانظر: (خ عمرة ب ٤ ؛ د مناسك ب ٧٩).

وروى البخاري (صوم ب ٦٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «مـا رأيت النبي ﷺ يتحرىّ صيامَ يومٍ فَضَّلَهُ على غيرِهِ إلاّ هذا اليوم، يومَ عاشوراء، وهذا الشهر، يعنى شَهْرَ رَمَضَانَ» .

وانظر (حم ١/ ٢٢٢، ٣١٣) .

٤- باب: أفضلية العَمَلِ في ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَـا لَيْلَـةُ الْقَـدْرِ. لَيْلَـةُ

الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥].

روى مالكٌ في الموطأ (اعتكاف ح ١٥) أنه سمع من يثق به من أهل العلم يقول: «إن رسولَ الله ﷺ أُرِيَ أعْمارَ الناسِ قبلَـهُ، أَوْ ما شاءَ الله من ذلك، فكأنه تَقَاصَرَ أَعْمارَ أمتِهِ أَنْ لا يبلغُوا مِنَ العَمَلِ مثلَ الذي بَلَغَ غيرُهُمْ في طولِ العُمُر، فأعطاه لَيْلَةَ القَدْرِ، خيرٌ من ألفِ شهرٍ».

٥- باب: أفضلية يَوم الجُمُعَة وعدمِ مشروعية تخصيصِهِ بصيام وتخصيص ليلَتِهِ بقيام

روى مسلم (جمعة ح ١٨) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة».

زاد في رواية له: «وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه».

والبخاري (جمعة ب ٣٧) أخرج الزيادة دون أصل الحديث.

وروى مسلم (صيام ح ١٤٨) عن أبي هريرة: «عن النبيِّ ﷺ: قال: لا تختصُّوا ليلَةَ الجُمُعةِ بقيامٍ من بين الليالي، ولا تَخُصُّوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صومٍ يصومُهُ أحدكم».

وانظر: (خ صوم ب ٦٣؛ د صوم ب ٥٠؛ حم ١/٢٨٨، ٣٦٥).

٦- باب: أفضليةِ العَمَلِ بكثرةِ المصلحة الناشئةِ منه

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

فقد ذكرَ الله فَضْلَ الصدقة عليهم لكونِ حاجَتِهِمْ شديدةً، فلا يُفْطَنُ لهم، وهم قائمون بأمر الجهاد، عاجِزُون لذلك عن الكسب.

٧- باب: أفضلية العمل في المساجد الثلاثة والمساجد العتيقة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

قال تعالى: ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

روى الإمام أحمد (٤/ ٥) عن عبد الله بن الزبير: «عن النبيِّ ﷺ قال: صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألفِ صلاةٍ فيما سواه إلا المسجدَ الحرام، وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ أفضلُ من صلاةٍ في مسجدي هذا بمائة صلاة» .

وروى البخاري (أنبياء ب ١٠) عن أبي ذرّ، قال: «قلت يا رسول الله: أي مسجدٍ وُضِع في الأرضِ أوّلُ؟ قال: المسجدُ الحرامُ. قال: قلت: ثم أيٌّ؟ قال المسجدُ الأقصى. قلت: كَمْ بينهما؟ قال: أربعون سنة. ثم أينما أدركَتْكَ الصلاةُ بَعْدُ فَصلِّهْ فإن الفضلَ فيه».

٨- باب: أفضلية من يبدأ عمل الخير العظيم أول الناس

روى البخاري (جهاد ب ٩٣) عن أمّ حرام أنها سمعتْ رسولَ الله ﷺ يقول: «أوّلُ جيشٍ مِنْ أمّتي يَغْزُونَ البَحْرَ قد أَوْجَبُوا. قلت: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنْتِ فيهم. ثم قال: أولُ جيشٍ من أمتي يغزون مدينة قيصر مَغْفُورٌ لَهُمْ. فقلت: أنا فيهم يا رسول الله؟ قال: لا».

وروى مسلم (زكاة ح٦٩) عن جرير، قال: «قال رسول الله ﷺ: من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء».

وانظر (ت علم ب ١٥).

٩- باب: أفضلية العمل في حال غربة الإسلام وقِلةِ العاملين

روى مسلم (إيمان ح ٢٣٢) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء».

وانظر: (ت إيمان ب ١٣؛ حم ١/ ١٨٤).

١٠- باب: أفضلية العمل قبل الظهور والنصر، على العمل بعده

قال الله تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَـئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

١١- باب: أفضَلِيَّةِ العَمَلِ عِندَ غفلة الناس عن مثل ذلك العمل

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٠١) عن أسامة بن زيد قال: «لم يكنْ رسول الله ﷺ يصومُ من شهرٍ من الشهور ما يصوم من شَعْبَانَ. فقلت: يا رسولَ الله لم أرَكَ تصوم من شهرٍ من الشهورِ ما تصوم من شعبان؟ قال: ذَاكَ شهرٌ يَغْفُلُ الناس عنه بين رَجَبٍ ورمضانَ، وهو شهرٌ تُرْفَعُ فيه الأعمال إلى رب العالمين. فاحب أن يرفع عملي وأنا صائم» .

وانظر: (ن صيام ب ٧٠؛ حم ٥/ ٢٥٩) .

وروى البخاري (مواقيت الصلاة ب ٢٤) عن عبد الله بن عمر: «أن رسول الله ﷺ شُغِلَ عن العِشاءِ ليلةً، فأخرها حتى رَقَدْنا في المسجد، ثم استيقظنا، ثم رقدنا، ثم استيقظنا، ثم خرج علينا النبي ﷺ ثم قال: ليس أحدٌ من أهل الأرض ينتظر الصلاة غيركم» .

١٢- باب: فضل العمل حين يَنْكُلُ عنه حاضروه

روى الإمام أحمد (١/ ٤١٦) عن عبدالله بن مسعود، قال، عَجِبَ ربُّنا عز وجلّ من رجلين : رَجُل ثار عن وطائه ولحافه، من بين أهله وحيّه ، إلى صلاته، فيقول ربُّنا: يا ملائكتي انظروا إلى عبدي، ثار من فراشه ووطائه، ومن

بين حيّه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي؛ ورجلٍ غزا في سبيل الله عزّ وجَلَّ فانهزموا فَعَلِمَ ما عليه من الفرار، وما له في الرجوع، فرجع حتى أهريقَ دمُه رغبة فيما عندي، وشفقةً مما عندي، فيقول الله عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي رجع، رغبةً فيما عندي ورهبة مما عندي، حتى أهريق دمُه.

وانظر (د جهاد ب ٣٦).

١٣- باب: أفضلية العمل في كل وقت أو حالٍ بما خصّه به الشرع

قال المقريزي:

أفضلُ العبادةِ العملُ على مرضاةِ الله تَعالى وشَغْلُ كُلِّ وقتٍ بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفتُه، فأفضلُ العبادةِ في وقتِ الجهادِ الجهادُ، وإن آلَ الأمرُ إلى ترك الأوراد من صلاة الليلِ وصيام النهار، بل من تَرْكِ إتمام صلاة الفرض، كما في حالة صلاة الخوف، والأفضلُ في وقتِ حضورِ الضَّيفِ القيامُ بحقّه والاشتغالُ به، والأفضل في وَقْتِ السَّحَرِ الاشتغال بالصلاة والذكر وتلاوةِ القرآن والدّعاء، وفي وقت الأَذَانِ تَرْكُ ما هو فيه من الأوراد والاشتغالُ بإجابةِ المؤذّن، والفضلُ في السَّفَرِ مُساعدةُ المحتاج، وإعانة الرُّفْقَةِ، وفي عَرَفَةَ الاجتهادُ في التضرُّع، وفي عَشْرِ ذي الحجة الإكثار من التعبد، لا سيما التكبير والتحميد، وفي العشر الأواخر من رمضان لزومُ المساجد والاعتكاف، حتى إنه أفضل من التعليم وإقراء القرآن.

وهؤلاء هم أهل التعبدُ المطلق، ليس لأحدهم غَرَضٌ في تعبُّدٍ بعينه يؤثره على غيره، بل غرضه تتبع مرضاة الله تعالى، إن رأيت العلماء فهو معهم، وكذا

في الذاكرين والمتصدقين. وهم أفضل المنازل (تجريد التوحيد ص٦٨) . وانظر: شرح الأذكار النووية ٣/ ٢٢٧ و ٤/ ٣٨٨؛ عُدّة الحصن الحصين ص ٣٣؛ ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٠/ ٤٢٧.

☘ ☘ ☘

الجناح العاشر

إحســان العمل

١- باب: الإحسانُ أعلى مراتب الإيمان

فيه حديث جبريل المتقدم ذكره وفيه، أنه سأل النبي ﷺ عن الإحسـان بعـد أن سأله عن الإسلام والإيمان. فقال: «الإحسان أن تعبُد الله كأنكَ تراهُ، فـإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

٢- باب: مَزِيد محبة الله تعالى لأهل الإحسان

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُواْ فِـي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُـواْ بِـأَيْدِيكُمْ إِلَـى التَّهْلُكَـةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

٣- باب: بعضِ صفاتِ أهلِ الإحسان

قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَـاهُمْ رَبُّهُـمْ إِنَّهُـمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُواْ قَلِيلاً مِّن اللَّيْـلِ مَـا يَهْجَعُـونَ. وَبالأَسْـحَارِ هُـمْ يَسْتَغْفِرُونَ. وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

٤- باب: من صفات أهل الإحسان المسارعة في الخيرات مع القيام بين الخشية وبين الرجاء

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور: ٣٦-٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ. هَـذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ. مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَـنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ. ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ. لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ. وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ. أُوْلَـئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

روى ابن ماجه (زهد ٢٠) عن عائشة، قالت «قلت: يا رسول الله: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أهو الذي يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: لا يا بِنْتَ أبي بكر (أو قال: يا بنت الصديق) ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخافُ أن لا يُتقبَّلَ منه» .

٥- باب: أهلُ الإحسان هم المقرَّبون عند الله تعالى

وبابٌ: جزاءُ المحسنينَ في الآخرة متميِّزٌ بزيادة عمَّن سواهم.

قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

فُسِّرت الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ. مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة ١٠-٢٦].

ثم ذكر أهل اليمين وذكر جزاءهم وهو دون جزاء السابقين.

وقال في آخر السورة: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. ذَوَاتَا أَفْنَانٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ. فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ثم قال: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٤٦-٦١].

ثم ذكر الجنّتين اللتين لأصحاب اليمين، وهما دون جنتي السابقين فيما ذكر من النعيم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ. عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ. تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ. يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ. خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ. وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ. عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨].

٦- باب: من وسائل وصول درجة الإحسان سؤال الله تعالى التوفيق لما يرضاه من الأعمال

روى أبو داود (جهاد ب ٧٢) عن عليٍّ الأَزْدِيّ أن ابن عمر علَّمه: «أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعير خارجاً إلى سَفَر، كَبَّر ثلاثاً ثم قال: سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كُنَّا لَهُ مُقْرِنينَ وإنَّا إلى ربِّنا لمُنْقَلِبُونَ. اللهم إني أسْأَلُكَ في سفرنا هذا البِرَّ والتَّقْوى. وَمِنَ العَمَلِ ما تَرْضى. اللهم هَوِّنْ علينا سَفَرَنا هذا» الحديث إلى أن قال: «وإذا رَجَعَ قالهن» الحديث.

(وانظر حم ٢/ ١٤٤، ١٥٠).

٧- باب: من وسائل الإحسان دَوامُ المراقبة لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ذلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾

وقال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ....﴾ إلى أن قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾[الآنسان: ٨-١٢].

وفيه حديث جبريل: «الإحسان أن تَعْبُدَ الله كأنَّكَ تَرَاهُ، فإن لم تكن تراهُ

فإنه يراك» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣٤٣) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: اعمَلْ كأنَّكَ ترى، وَعُدَّ نفسَكَ مع الموتى، وإياكَ ودَعْوَةَ المظلومِ» .

٨- باب: الدعاء بالتوفيق لصالح العملِ عند التقدم في السن

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ. أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].

«أوزعني»: أي ألهمني.

٩- باب: من وسائل الإحسان تقصير الأمل وانتهاز الفرص

روى البخاري (رقاق ب٣) عن مجاهد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي، فقال: كُنْ في الدنْيا كأنك غريب أو عابرُ سبيل. وكان ابن عمر يَقُولُ: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصْبَحْتَ فلا تنتظر المساءَ، وخذْ من صِحَّتِكَ لمرضِك، ومن حياتكَ لموتِكَ» .

وانظر: (ت زهد ٢٥؛ حم٢/ ٢٤) .

١٠- باب: من وسائل الإحسان الصدق مع الله ومع عباده

روى البخاري (أدب ٦٩) عن عبد الله «عن النبي ﷺ قال: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صِدِّيقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» .

الجناح الحادي عشر

الإكثارُ من العمل الصالح

١- باب: المبادرة بالأعمال قبل الفتن

روى مسلم (إيمان ح ١٨٦) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَناً كَقِطَعِ اللّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً. أَوْ يُمْسِي مُؤْمِناً وَيُصْبِحُ كَافِراً. يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدّنْيَا» .

وانظر: (م فتن ح ١٢٨؛ ت فتن ب٣٠) .

٢- باب: المبادرة بالأعمال قبل مجيء الإمارات الكبرى للساعة

وباب المبادرة قبل مجيء الصّوارف، وهي ما يشغل الإنسان عن الأعمال الصالحة ويقطعه عنها.

روى مسلم (فتن ح١٢٨) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً: طُلُوعَ الشّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ، أَوِ الدّجّالَ، أَوِ الدّابّةَ، أَوْ خَاصّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامّةِ» .

وانظر: (حم ٢/ ٣٠٤) .

«خاصة أحدكم» يعني أموره الخاصة التي تستغرق الجهد والوقت، و«أمر العامة» يعني الولايات من إدارة أو قضاء أو غير ذلك مما يستغرق الوقت

والجهد كذلك.

وفي «لسان العرب» فسّر الخاصة بموت الإنسـان، والعامة بقيام السـاعة . لكن في تفسيره بذلك نظر. ودليل ما قلنا حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٩١)مرفوعاً: ستأتي على الناس سنون خداعة»الحديث إلى أن قال «وينطق فيها الرُّوَيْبِضَةُ » قيل وما الرويبضة؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة».

٣- باب: إثباتُ العمل والاستمرار عليه وسيلة من وسائل الإحسان

روى مسلم (صلاة المسافرين ح ٢١٥) عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: «كان لرسول الله ﷺ حَصِيرٌ، وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ. وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ. فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ. فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ. فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا. وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ» . وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ.

وانظر (خ ٧٣٠)

٤- باب: المداومة على الأعمال الصالحة والحذر من قسوة القلب عنها

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُواْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وفي الباب حديث عائشة المرفوع المتقدم، وفيه: «أن أحب الأعمـال إلى الله

ما دووم عليه وإن قلّ»

٥- باب: كراهية ترك الإنسان ما داوم عليه من العمل

روى البخاري (تهجد ب ١٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: «قال لي رسول الله ﷺ: يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل، فترك قيام الليل» .

وروى مسلم (صلاة المسافرين ح ١٤٢) عن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة العصر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل» .

٦- باب: فعل بعض الأعمال دون مداومة، لا حرج فيه

روى الإمام أحمد (٣/ ٣٦) عن أبي سعيد الخدري، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول لا يتركها، ويتركها حتى نقول لا يصليها» .

٧- باب: شِرَّةِ العمل وفترتِهِ

روى الإمام أحمد (٢/ ١٥٨) عن عبد الله بن عمرو، قال: « قال رسول الله ﷺ: إن لكل عابدٍ شِرّة، ولكل شِرَّةٍ، فترة، فإما إلى سنة وإما إلى بدعة، فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك» الحديث.

ورواه الترمذي (قيامة ب ٢١) من حديث أبي هريرة مرفوعاً، بلفظ: «إن لكل شيء شِرَّة، ولكل شرّة فترة، فإن كان صاحبها سَدّد وقارب، فارجوه، وإن

أُشيرَ إليه بالأصابع فلا تعدُّوه.»

وانظر: (حم ٥/٤٠٩) .

الشِّرَّة: النشـاط والاشـتياق إلى الشـيء، ومنـه شـرة الشـباب أي نشـاطه، والفترة الفتور. والمراد أن بعض الناس تعتريه الرغبة في التعبّد والنشاط له حتى يكثر من العبادات جداً بحيث يضيق على نفسه ويرهقها ثم يقلّ ذلك منه حتـى يستقر على حال معتدلة، فإن كان الحال الذي صار إليه موافقاً لسـنّة النبي ﷺ في الاعتدال والأخذ من الدنيا لنفسه ما يعينه على العبادة، فذلك من هداية الله له، وإن استقرّ على أمر مخالف لذلك أضر بنفسه ولم يوافق ما شرعه النـبي ﷺ من الاعتدال . وهذا الحديث قاله النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو عندما شدد علـى نفسه في العبادة، فاعتزل امرأته ، وكان يقوم الليل كله ويصوم أيامه كلها .

٨- باب: من طال عمره وكان من أهل الخير ازداد خيراً ورفعةً لازدياد أعماله الصالحة، بطول عمره

روى البخاري (مغازي ب ٧٧) عن سعد بن أبي وقـاص قـال: «قلـت يـا رسول الله، أُخلَّف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تُخَلَّفَ فتعملَ عملاً تبتغـي بـه وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة» .

وانظر (م وصية ح ٥).

٩- باب: كراهية تمنى الموت لأنه ينقطع به تيار العمل الصالح

روى مسلم (ذِكْر ح ١٣) عن أبـي هريـرة قـال: «قـال رسـول الله ﷺ: لا يتمنى أحدكم الموت، ولا يَدْعُ به من قبل أن يأتيه. إنه إذا مات أحدكـم انقطع

عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً» .

وانظر: (حم ٢/ ٣١٦) .

وروى الإمام أحمد (٥/ ٢٦٧) عن أبي أمامة: « أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: «يا سعد أعندي تتمنى الموت؟ ثم قال: يا سعد إن كنت خُلِقْتَ للجنة فما طال من عُمُرك، أو حَسُنَ من عملك، فهو خير لك» .

وروى البخاري (مرضى ب ١٩) عن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يتمنين أحدكم الموت، إما محسناً فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئاً فلعله أن يَسْتعتِب» .

١٠- باب: ما يجوز من تمنى الموت عند الفتن التي يخشى الإنسان فيها على دينه وعمله

روى مسلم (ذكر ح١٠) عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يتمنينّ أحدكم الموت لضرٌ نزل به، فإن كان لا بد متمنّياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفَّني إذا كانت الوفاة خيراً لي.» إلى هنا رواية مسلم. زاد مالك في الموطأ: «وإذا أردت بعبادك فتنةً فتوفني إليك غير مفتون» .

١١- باب: التعاون على الأعمال الصالحات

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

قال الماوردي: ندب الله تعالى إلى التعاون على البرّ، وقَرَنَهُ بالتقوى، لأن في التقوى رضا الله، وفي البرّ رضا الناس، ومن جمع بينهما فقد تمّتْ سعادته وتمّت

نعمته (تفسير القرطبي ٦/ ٤٧) .

١٢- باب: ترك اعتزال الناس لأجل التخلي للعبادة إلا عند الخشية من الفتن أو عند عدم القدرة على تغيير المنكرات إذا ظهرت

قال الله تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾[الكهف: ١٠].

ثم قال: ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾[الكهف:].

روى الإمام أحمد (٢/ ٥٢٤) عن أبي هريرة: «أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ مرّ بشِعْبٍ فيه عُيَيْنَةُ ماءٍ عذب، فأعجبه طِيبُه. فقال: لو أقمت في هذا الشعب، فاعتزلت الناس. ولا أفعل حتى أستأمرَ رسولَ الله ﷺ فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: لا تفعل، فإن مَقَامَ أحدكم في سبيل الله خير من صلاة ستين عاماً خالياً. ألا تحبون أن يغفر الله لكم، ويدخلكم الجنة؟! اغزوا في سبيل الله. من قاتل في سبيل الله خالياً وجبت له الجنة» .

وروى الترمذي (قيامة ب ٥٥) عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ قال: «قال النبي ﷺ: المسلم إذا كان يُخَالِطُ الناسَ ويَصْبِرُ على أذاهُمْ خَيْرٌ من المسلم الذي لا يخالِطُ الناسَ ولا يَصْبِرُ على أذاهم» .

وانظر: (حم ٢/ ٤٣ و٥/ ٣٦٥) .

وروى أبو داود (ملاحم ب١٧) عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ قال: «سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال: بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر. حتى إذا رأيت شُحّاً مطاعاً،

وهوىً مُتَّبعاً ودنيا مؤثَرَةً، وإعجابَ كل ذي رأي برأيه، فعليك- يعنى بنفسك- ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أياماً الصبرُ فيها مثل القبضِ على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله. قالوا: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: أجر خمسين منكم» .

وانظر (ت تفسير سورة المائدة ١٨؛ جه فتن ٢١) .

١٣- باب: النهي عن الرّهبَنة

روى أبو داود (جهاد ب٦) عن أبي أمامة: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي الرّهبَنة بالسياحة. قال النبي ﷺ: سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ» .

١٤- باب: فضل الاعتزال حيث يخشى المؤمن على دينه من الفتنة في المخالطة

روى البخاري رقاق ب ٣٤) عن أبي سعيد الخدري قال: «يأتي على الناس زمان خير مال المسلم غنم يتبع بها شَعَفَ الجبال ومواقعَ القَطْرِ يفرُّ بدينه من الفتن» .

وروى البخاري (رقاق ب ٣٤) عن أبي سعيد الخدري، قال: «خير الناس رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره» .

☘ ☘ ☘

الجناح الثاني عشر
الاجتهاد والاقتصاد والتشديد والغلوّ في الأعمال

١- باب: مشروعية الاجتهاد في العمل بما لا يفوِّت أعظم منه ولا يصل إلى التشديد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٦، ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً﴾ [الفرقان: ٦٤].

روى البخاري (تفسير سورة الفتح) عن عائشة أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه. فقالت عائشة : لِمَ تصنع هذا يا رَسُول الله وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ ما تقدم من ذنبك وما تَأَخَّر؟ قال: أَفَلا أحب أن أكون عَبْداً شَكُوراً» .

وروى أبو داود (أدب ب١٠) عن الأعمش، قال: سمعتهم يذكرون عن مصعبِ بن سعدٍ عن أبيه - قال الأعمش: ولا أَعْلَمُه إلاّ عن النبي ﷺ- قال: «التُّؤَدَةُ في كلِ شيءٍ إلا في عمل الآخرة» .

وَسُئِلَ الشافعُي عَنْ قيامِ جَمِيعِ اللَّيلِ: «لا أكرَهُهُ إلاّ لمن خَشِيَ أن يَضُرَّ بَصَلاةِ الصُّبْحِ» (فتح الباري ٣/ ٣٧) .

٢- باب: الاقتصاد في العمل والرفق فيه مع الاجتهاد

روى البخاري (إيمان ب ٢٩) عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الدين يسر، ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه، فسدّدوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغَدْوة والرّوحة وشيءٍ من الدُّلْجة» .

وفي رواية له: «سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدُّلْجَة، القَصْدَ القصدَ تبلغوا» .

وانظر: (حم ٥/ ٦٩) .

الغَدْوَةُ: سَيْرُ أول النهار، والرَّوْحَةُ: سَيْرُ آخِرِ النهار، والدُّلْجَةُ: سَيْرُ آخر الليل.

قال النووي: معناه: استعينوا على طاعة الله عزَّ وجل بالأعمال في وقت نشاطكم، وفراغ قلوبكم، بحيث تَسْتَلِذُّونَ العبادة ولا تسأمون، وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق- أي على الجمال والدوابّ- يسير في هذه الأوقات، ويستريح هو ودابته في غيرها، فيصلُ إلى البلد المقصود بغير إرهاق.

وروى البخاري (رقاق ب ١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُنْجيَ أحداً منكم عَمَلُهُ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أنْ يَتَغَمَّدنيَ الله برحمته. سَدِّدوا وقَارِبُوا، واغْدُوا وَرُوْحُوا، وشَيْءٌ من الدُّلْجَة، والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا» .

وانظر: (خ منافقون ح ٧١) .

وروى البخاري (رقاق ب ١٨) عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ قال: سَدِّدُوا وقارِبُوا، واعْلَمُوا أنه لن يُدْخِلَ أحدُكم عَمَلُهُ الجنَّةَ . وإن أحبَّ الأعمالِ

أدْوَمُها إلى الله وإنْ قلَّ» .

وروى الإمام أحمد (٣/ ١٩٩) عن أنس بن مالك، قال: «قال رسول الله ﷺ: «إنَّ هذا الدِّينَ مَتينٌ فَأَوْغِلِ فيهِ برِفْقٍ» .

٢- باب: النهي عن التشديد على النفس في العبادة والوَرَع

روى أبو داود (أدب ب٤٤) عن أنس بن مالك، ذَكَرَ حديثاً فيه قصة، ثم قال: «إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا تُشَدِّدوا فيُشدَّد عليكم، فإن قوماً شَدَّدُوا على أنفسهم فشدَّدَ الله عليهم، فتلكَ بقاياهُمْ في الصوامع ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾» .

قال الشيخ يوسف القرضاوي:

«قول النبي ﷺ: «لا تشدِّدوا فيشدِّد الله عليكم» إخبارٌ بأن تشديد الإنسان على نفسه سببٌ لتشديد الله عليه.

وتشديد الله عليه إما تشريعيٌّ تكليفيٌّ، وإما كونيٌّ قَدَريٌّ .

فالأول: كمن يشدِّد على نفسه بالنَّذْرِ الثقيلِ، فيَلْزِمُهُ الشرع الوفاء به.

والثاني: كفِعْلِ أهلِ التزمُّت والوَسْوسَةِ، شَدَّدُوا على أنفسهم فشدد القَدَرُ عليهم حتى استَحْكَمَ ذلكَ فيهم وصار صفة لهم» . (العبادة في الإسلام ص ١٩١) .

وروى مسلم: (صيام ح ١٨١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: «أُخبرَ النبيُّ ﷺ أني أَقُولُ: واللهِ لأَصومَنَّ النهار، ولأَقومَنَّ الليل، ما عِشْتُ. قال رسول الله ﷺ: آنْتَ الذي تقول ذلك؟ فقلتُ له: قد قلْتُهُ

بأبي أنتَ وأمي يا رسول الله. قال: إنك لا تستطيع ذلك، فصُمْ وأفطِرْ، وَنَمْ وقُمْ، وُصُمْ من الشهر ثلاثَةَ أيام، فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر. قلت: فإني أطيقُ أفضَلَ من ذلك. قال: فصُمْ يوماً وأفطر يومين. قُلْتُ: فإني أطيقُ أفضَلَ من ذلِكَ. قال: فصُمْ يوماً وأفْطِرْ يوماً، فذلك صيام داود ﷺ وهو أعْدَلُ الصيام. فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. فقال ﷺ: لا أفضل من ذلك» .وفي رواية: فشدَّدتُ فَشُدِّدَ عليّ. وفي رواية: «فكان عبد الله يقول بعدما كَبِر: يا ليتني قَبِلتُ رُخْصَةَ النبي ﷺ» .

وقال في رواية «فإن لِزَوْجِكَ عليكَ حَقّاً، ولِـزَوْرِكَ عليـكَ حَقّـاً وَلِجَسَـدِكَ عليك حقاً» .

وانظر: (خ صوم ؛ ن ٤/٢٠٩، ٢١٥) .

زَوْرُك، أي: ضيفك.

٤- باب: سنة النبي ﷺ الحنيفيَّةُ السَّمْحَةُ

روى البخاري (نكاح ب١) عن أنس بن مالك، قال: «جاء ثلاثةُ رَهْـطٍ إلى بيوتِ أزواج النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ. فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: وأينَ نحنُ منَ النبيِّ ﷺ؟ قد غَفر الله لهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ وما تأخَّر. قـال أحدُهم: أما أنا فأصلِّي الليلَ أبداً. وقال آخر: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطر. وقـال آخر: أنا أعتزِلُ النساء فلا أتزوّجُ أبداً. فجاء رسولُ الله ﷺ فقـال: أنتُـم الذيـن قلتم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم لـه، لكـني أصـومُ وأُفطـر، وأصلّي وأرقُد، وأتزوَّجُ النساء، فمن رغِبَ عن سُنّتي فليسَ مني» .

وانظر: (م نكاح ح٥؛ حم ٢/٢١٦) .

قال ابن حجر (فتح البـاري ٩/ ١٠٥) : «إنما كـان كذلـك لأن المشَدِّدَ لا يأمَنُ المَلَلَ، بخلاف المقتصد، فإنه أمكن لاستمراره ولَمَّحَ بقوله: «ليس مـني» إلى طريق الرهبانية، فإنهم ابتدعوا التشديد فلم يَفُوا بما التزموا. وطريقـة النبي ﷺ الحنيفية السمحة». اهـ.

٥- باب: ترك التشديد في العمل المندوب إذا أدى إلى ضرر النفـس أو إضاعـة حق

روى البخاري (تهجد ب ٢٠) عن عبد الله بن عمرو بـن العـاص رضـي الله عنهما قال: «قال لي النبي ﷺ: ألَمْ أُخبَرْ أنك تقـوم الليـل وتصـوم النهـار؟ قلت: إني أفعل ذلك، قـال: فـإنك إذا فعلـت ذلـك هَجَمَـتْ عَيْنُـكَ، وَنفِهَـتْ نفسك، وإن لنفسِكَ حَقّاً، ولأهْلِكَ حَقّاً، فَصُمْ وأفطر، وقم ونم» .

٦- باب: التخفف من العمل المندوب متى أدى إلى الملل

روى البخاري (تهجد ب ١٨) عن عائشة، قَالَتْ: «كانت عندي امرأة مـن بني أَسَدٍ، فدخلَ عليَّ رسول الله ﷺ فقـال: مـن هـذه؟ قلـت: فلانـة، لا تنـامُ اللَّيْلَ- تذكر من صلاتِها- فقال: مَهْ، عليكم ما تطيقون من الأعمـال، فـإن الله لا يَمَلُّ حتى تملُّوا» .

وفي رواية مسـلم (صـلاة المسـافرين ح ٢٢٠) أن عائشـة رضـي الله عنهـا أخبرَتهُ « أن الحولاءَ بنْتَ تُوَيْتٍ مَرّتْ بها وعندها رسول الله ﷺ فقلـت: هـذه الحولاء بنت تُوَيْتٍ، وَزعَمُوا أنها لا تنام الليـل. فقـال رسـول الله ﷺ: لا تنـام الليل!!! خذوا من العمل ما تطيقون، فوالله لا يَسْأَمُ الله حتى تسأموا» .

وانظر: (د تطوع ب ٢٧؛ حم ٢/ ٢٣١) .

قال الهروي: معناه: لا يقطعُ عنكم فضله حتى تملُّوا سؤاله (فتح الباري ١/ ١٠٢) قلت: في تفسيره هذا نظرٌ، بل المعنى أن الله تعالى يُقْبِلُ على عبده ما دام يذكره بحضور قلبٍ وإقبال عليه، ثم إذا عمل مع الملل والغفلة أعرض الله عنه. والله أعلم.

٧- باب: النهي عن الغلو والتعمق والتنطع

روى الإمام أحمد (١/ ٢١٥) عن ابن عباس، قال: «قال لي رسول الله ﷺ غداة جَمْع: هَلُمَّ الْقُطْ لي حَصَيَاتٍ من حَصَى الخَذْفِ. فلما وَضَعَهُنَّ في يده قال: نعم بأمثال هؤلاء، وإيَّاكُمْ والغُلُوَّ في الدين، فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بالغُلُوِّ في الدين» .

وانظر: (حم ١/ ٣٤٧؛ ن مناسك ب ٢١٧) .

«غداة جمع» يعني صبيحة ليلة المزدلفة، وهي ليلة عيد الأضحى للحاجّ.

«حصى الخذف» أي الحصى الذي يرمى به بوضعه بين الأصابع، أي أن رمي الجمار بمثل حصى الخذف في حجمه لا بأكبر من ذلك.

وروى مسلم (علم ح٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال: هلك المتنطعون. قالها ثلاثاً» .

وروى مسلم (صيام ح٥٩) عن أنس بن مالك، قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي في رمضان»، فذكر الحديث إلى أن قال: «فأخذ رسول الله ﷺ يواصل، وذاك في آخر الشهر، فأخذ رجال من أصحابه يواصلون، فقال النبي ﷺ: ما بال رجالٍ يواصلون ؟! إنكم لستم مثلي. أما والله لو تَمَادَّ لي الشهر لواصلتُ وِصالاً يَدَعُ المتعمقون تعمُّقَهُمْ» .

(وانظر خ تمني ب٩؛ حم ٣/ ١٢٤).

الوصال أن يصل الصائم يومه بـاليوم اللاحـق، فـلا يفطـر في الليلـة التي بينهما.

وروى الدارمي (مقدمة ب١٩) عـن أبـي قلابـة، قـال: قـال عبـد الله بـن مسعود: «تعلّموا العِلْمَ قبـل أن يُقْبَـضَ، وقَبْضُـهُ أن يذهـب أهلـه. ألا وإيـاكم والتنطُّعَ والتَّعَمُّقَ والبِدَعَ، وعليكم بالعتيق» .

العتيق من أمر الدين: الأمر القديم الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

الجناح الثالث عشر

الحرص على نوعيات عالية من الأعمال

١- باب: بحث الإنسان عن أفضل الأعمال الصالحة ليعمله

روى الترمذي (إيمان ب٨) عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ، قال: «كنْتُ مع النبي ﷺ في سفر، فَأَصْبَحْتُ يوماً قريباً منه، ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بعملٍ يُدْخِلُني الجنَّة ويباعدني من النار. فقال: لَقَدْ سَأَلْتَني عَنْ عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يَسَّره الله عليه: تَعْبُدُ الله ولا تُشْرِكُ به شيئاً، وتُقيمُ الصَّلاَةَ، وتؤتي الزكاة، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحجُ البَيْتَ» ثم قال: «ألاَ أدُلُّكَ على أبواب الخير: الصَّوْمُ جُنَّةَ، والصدقة تطفئ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل». ثم تلا: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حتى بلغ ﴿يعملون﴾[السجدة: ١٦، ١٧]. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وانظر (حم ٥/ ٢٣١، ٣٤٨) .

وروى مسلم (إيمان ح ١٤) عن أبي أيوبَ، قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دُلَّنِي على عملٍ أَعْمَلُهُ يُدْنيني من الجنَّة، ويُباعِدُني من النار. قال: تعبد الله لا تُشْرِكُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رَحِمِكَ. فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: إنْ تَمَسَّكَ بِما أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الجنة» .

وانظر: (خ زكاة ١؛ حم ٢/ ٣٤٢) .

وروى مسلم (صلاة ح ٢٢٥) عن مَعْدَانَ بن أبـي طلحـة اليَعْمُـرِيّ قـال: «لقيت ثوبان مولى رسول الله ﷺ فقلت: أَخْبِرْني بعملٍ أعمله يدخلني الله بـه الجنة، أو قال: قلت: بأحبِّ الأعمال إلى الله. فسكت. ثـم سـألتُهُ فسَكَتَ. ثـم سألته الثالثـة، فقـال: سـألْتُ عـن ذلـك رسـولَ الله ﷺ فقـال: عليـك بكـثرةِ السُّجودِ لله، فإنك لا تسجُدُ لله سجدةً إلا رفعك الله بها دَرَجَـةً، وحَـطَّ عنـك بها خطيئة. قال مَعْدانُ: ثم لقيتُ أبا الدرداء فسألتُهُ، فقال مثل ما قال ثوبان» .

وانظر(حم ٥/ ٢٣١، ٢٤٥) .

وروى النسائي (إيمان ب) عن عبد الله بن عمرو: «أن رجلاً سـأل رسـول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خَيْرٌ؟ قال: تُطْعِمُ الطَّعامَ، وتَقْرَأُ السَّلام على مـن عَرَفْـتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ» .

٢- باب: أفضلية جوامع الذِّكر وجوامع الدعاء

روى أبو داود (وتر ب ٢٤) عن سَـعْدِ بـنِ أَبي وَقَّـاص: «أَنَّـهُ دَخَـلَ مَـعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًى أَوْ حَصًى تُسَبِّحُ بِهِ. فَقَـالَ: أُخْـبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هذَا، أَوْ أَفْضَلُ؟ فقَـال: سُبْحَانَ الله عَـدَدَ مـا خَلَـقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَقَ في الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما خَلَـقَ بَيْـنَ ذَلِكَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ ما هُوَ خَالِقٌ، وَالله أَكْبَرُ مِثْـلَ ذَلِـكَ، وَالْحَمْـدُ لله مِثْـلَ ذَلِكَ، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بالله مِثْلَ ذَلِكَ» .

وانظر: (حم ١/ ٢٥٨) .

وروى مسلم (ذكر ب ٧٩) عَنْ جُوَيْرِيَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَـرَجَ مِـنْ عِنْدِهَـا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ، وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا. ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى، وَهِيَ

جَالِسَةٌ. فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ،عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

٣- باب: ابتداء النبي ﷺ أصحابه بدلالتهم على فضائل الأعمال

روى البخاري (بدء الخلق ب١١) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، له المُلْكُ وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، في يومٍ مائة مَرةٍ، كانت له عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وكتبتْ له مِائَةُ حسنة، ومحيت عنه مائة سيئةٍ، وكانَتْ له حِرْزاً من الشيطان حتى يمسي، ولم يأتِ أَحَدٌ بأفضلَ مما جاءَ به إلا أحدٌ عمل أكثر من ذلك» .

وانظر: (م برّ ح ٤١، ت ثواب القرآن ب ١١) .

وروى البخاري (جهاد ب ٧٣) عن سهلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه: قال: «رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها، وموضِعُ سوطِ أحدِكُمْ من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحةُ يروحها العبدُ في سبيل الله أو الغَدْوَةُ خير من الدنيا وما عليها» .

وانظر: (م إمارة ح ١٦٣) .

٤- باب: مقدار أجر من عمل على إحياء السنن بعد موتها

روى الترمذي (ت علم ١٦) عن عمرو بن عوفٍ المُزَنِيِّ: «أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: اعْلَمْ. قال: ما أَعْلَمُ يا رسول الله؟ قال: أَنَّه مَنْ أحيا

سُنَّةً من سنتي قد أُمِيتَتْ بعدي، فإن له من الأجرِ مثل من عمل بها، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ من أجورهم شيئاً . ومن ابتدع بدعةَ ضلالةٍ لا تُرْضي الله ورَسُولَهُ كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقُصُ ذلك من أوزارِ الناسِ شيئاً» .

قال الترمذي «هذا حديث حسن» .

وانظر: (حم ٤/ ٤٠٠) .

٥- باب: أعمالٌ يستمرُّ حصول أجورِها مع غفلةِ صاحبها وبعد موتهِ، ما دام الانتفاع بها باقياً

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٦٧) عن أبي أُمامةَ الباهليِّ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أَرْبَعٌ تَجْري عليهم أجورهم بَعْدَ المَوْتِ: رجلٌ ماتَ مرابطاً في سبيل الله، ورجل علَّمَ عِلْماً فَأَجْرُهُ يجري عليه مَا عُمِل به، ورجلٌ أَجْرى صَدَقَتَهُ، فأجْرُهَا يَجري عليه، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَداً صالِحاً يَدْعُو لَهُ» .

وروى أبو داود (جهاد ب١٥) عن فضالة بن عبيد: «أن رسول الله ﷺ قال: كلُّ المَيِّتِ يُخْتَمُ على عَمَلهِ إلا المُرَابطَ، فإنه يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إلى يوم القيامة» .

وانظر: (ت جهاد ب٢؛ دي جهاد ب ٣٢) .

وروى مسلم (إمارة ح ١٦٣) عن سلمان، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: رباط يومٍ وليلةٍ خيرٌ من صيامِ شهرٍ وقيامه، وإن مات جرى عليه عَمَلُهُ الذي كان يَعْمَلُهُ، وأُجْري عليه رزقُهُ، وأَمِنَ الفتَّان» .

الرباط إقامة المجاهدين في سبيل الله في الثغور مقابل العدو يدفعون عن المسلمين .

وروى مسلم (وصية ح ١٥) عن أبي هريرة «أن رسـول الله ﷺ قـال: إذا ماتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا من ثلاثةٍ: إلاّ من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صالحٍ يَدْعُو لَهُ» .

وانظر: (د وصايا ب ١٤؛ ت أحكام ٣٦) .

وروى ابن ماجه عن أبي قتادة، قال: «قال رسول الله ﷺ: خَيْرُ ما يُخَلِّـفُ الرجل بَعْدَهُ ثلاث: وَلَدٌ صالح يدعو له، وصدقةٌ تجـري يَبْلُغُـهُ أَجْرُهـا، وعِلْـمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ» .

وذَكَرَ البخاريُّ (تعبير ب٢٧) عن أم العلاء، وهي امرأة من نسائهم بَايَعَتْ رسولَ الله ﷺ قِصَّةَ وفاةِ عُثْمانَ بن مظعون - ثـم قـالت: «ورأيـتُ لعثمـانَ في النوم عيناً تجري، فجئتُ رسولَ الله ﷺ، فذكرتُ ذلـك لـه، فقـال: ذَاكَ عَمَلُـهُ يَجْري له» .

٦- باب: الكلمة الطيبة التي يستمر تأثيرها الطيب بعد انطلاقها

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَـرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَـةً طَيِّبَـةً كَشَـجَرَةٍ طَيِّبَـةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِـإِذْنِ رَبِّهَـا وَيَضْـرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٤].

٧- باب: مقدار أجر من تؤثر دعوته فيهتدي بها الناس

روى البخاري (جهاد ب ١٠٢) عن سهل بن سعد: «أنـه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول يوم خيبر ...» فذكر الحديث وفيه أنه أعطى الراية علياً رضي الله عنه، ثم قال: «عَلَى رِسْلِكَ حتى تَنْزِلَ بساحتهم، ثم ادْعُهُمْ إلى الإسْـلام، وَأَخبِرْهُمْ بما

يجب عليهم، فو الله لأن يُهْدى بك رَجُلٌ واحدٌ خَيْرٌ لك من حُمْرِ النَّعَمِ» .

وانظر: (فضائل الصحابة ح ٣٥؛ حم ٥/ ٢٣٨) .

حمر النعم هي الإبل الحُمْر، وكانت خير أموال العرب.

وروى أبو داود (سنة ب ٦) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: من دَعَا إلى هُدىً كانَ لَهُ من الأَجْرِ مِثْلُ أجورِ مَنْ تَبِعَهُ، لا ينقصُ ذلك من أجورهْم شيئاً. ومن دعا إلى ضلالَةٍ كانَ عَلَيْهِ من الإثم مثلُ آثامِ من تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذلكَ من آثامِهِمْ شيئاً» .

وانظر (ت علم ب ١٥).

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٨- باب: مِقْدارُ أجْرِ مَنْ يَدُلُّ على خير

روى مسلم (إمارة ح ١٣٣) عن أبي مسعود الأنصاري قال: «قال رسول الله ﷺ: من دَلَّ على خيرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجرِ فاعِلِهِ» .

وانظر: (د أدب ١١٥؛ ت علم ب ١٥) .

٩- باب: مقدار أجر من يفتح باباً من أبواب الخير فيسهُلُ على الناس فعله بعده

روى البخاري (جهاد ب٣٩) عن أُمِّ حرام: «أنها سمعت النبي ﷺ يقول: أولُ جيشٍ من أمتي يغزونَ البَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا. قالت أم حرام: قلت: يا رسول الله: أنا فيهم؟ قال: أَنْتِ فيهمْ. ثم قال النبي ﷺ: أَوَّلُ جيشٍ من أمتي يَغْزُونَ

مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لهم. فقلت: يا رسولَ الله أَنَا فيهمْ؟ قال: لاَ» .

وروى مسلم (علم ح١٥) عن جرير بن عبد الله، قال: «جَاءَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَلَيْهِمُ الصُّوفُ. فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ، قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ. فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ. فَأَبْطَؤُوا عَنْهُ. حَتَّى رُؤِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ. ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا. وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلاَ يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» .

وانظر: (ت علم ب ١٦؛ ن زكاة ب ٦٤) .

الجناح الرابع عشر
آداب العاملين

١- باب: إظهار الفرائض أفضل من إخفائها لما في إظهارها من الدعوة وإخفاء النوافل أفضل من إخفائها، لما يخشى في إظهارها من الرياء

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

روى البخاري (أذان ب ٨١) عن زيد بن ثابت: «أنّ النبي ﷺ اتّخذ حُجرةً. قال حَسِبْتُ أنه قال: من حَصير، في رمضانَ. فصلّى فيها لَيالِيَ، فصلّى بصلاتِهِ ناسٌ من أصحابِهِ. فلما عَلِمَ بهم جَعلَ يَقعُدُ، فخرَجَ إليهم، فقال: قد عرَفتُ الذي رأيتُ من صَنيعِكم، فصلّوا أيّها الناسُ في بُيوتكم، فإنّ أفضلَ الصلاةِ صلاةُ المرءِ في بَيتِهِ، إلاّ المكتوبةَ» .

وانظر: (م مسافرين ح ٢١٣؛ د صلاة ب ١٩٩) .

وروى البخاري (زكاة ب ١٦) عن أبي هُريرةَ رضيَ الله عنهُ عنِ النبيِّ ﷺ قال: «سَبعةٌ يُظلّهمُ الله تعالى في ظِلّهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظِلّهُ» فَذَكَرَ منهم: «ورجُلٌ تَصدّقَ بصدَقةٍ، فأخفاها، حتى لا تَعلمَ شِمالهُ ما تُنفِقُ يمينهُ، ورجُلٌ ذَكرَ الله خالياً ففاضَتْ عَيناهُ» .

ويأتي الحديث بكماله (ص٢٦٤) .

قال ابن حجر (فتح الباري ٣/ ٢٨٩) : نَقَلَ الطبريّ وغيره الإجماع على أن الإعلان في صدقة الفرض أفضلُ من الإخفاء، وصدقةُ التطوّع على العكسِ من ذلك.

قال القرطبي (في تفسيره ٣/ ٣٣٢) : قال ابن عباس: جَعَلَ الله صدقةَ السرِّ في التطوّع أفْضَلَ من علانيتها يُقَالُ بِسَبْعِيْنَ ضِعْفاً، وَجَعَل صدقَةَ الفريضة علانِيَتَها أفضلَ من سِرِّها يقال بخمسةٍ وعشرين ضِعْفاً. قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها . اهـ.

قال القرطبي: وذلك أنّ الفرائض لا يَدْخُلُها رياءٌ، والنوافل عُرْضَةٌ لذلك، وفي حديث الترمذي (ثواب القرآن ب ٢٠) والنسائي (زكاة ب ٦٨) عن عقبة ابن عامر: « إنّ الذي يَجْهَرُ بالقرآنِ كالذي يجهر بالصدقة، والذي يُسِرُّ بالقرآن كالذي يُسِرُّ بالصدقة، قال: لأنَّ المعطَى إياها فإن السّر له أَسْلَمُ من احتِقَار الناس له، أو نسبته إلى أنه أخذها مع الغني عنها وترك التعفف، وإظهارُ الفرائِضِ أفضلُ من جِهةِ القُدْوَةِ، ولنفي التهمة بالترك.

وقال القرطبي أيضاً (تفسيره ٣/ ٣١٢) : «استَحَبَّ مالكٌ أن يولّي الإنسانُ تفريقَ زكاتهِ إنساناً غيرهُ، لئلا تَحْبطَ بالمنّ والأذى والشُكرِ والثناء والخِدْمَةِ بالمكافأةِ من المعطى، وهذا بخلافِ صدقةِ التطوُّع السِّرّ، لأنَّ ثوابها إذا حَبِطَ سَلِمَ من الوعيد وصارَ في حكم من لم يُعْطِ، أما الزكاةُ الواجبةُ إذا حَبِطَ ثوابها تَوَجَّه عليهِ الوَعيدُ، لكونه في حكم من لم يؤد الزكاة» اهـ.

٢- باب: المبادرة إلى العمل في وقته سراً كان أو علناً

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

٣- باب: ترك إيقاع النذر، وتركُ معاهدة الله عَلَى العَمَلِ الصَّالح خشية عدم التمكن من الوفاء، فإن فَعَلَ وجب الوفاء

روى البخاري (أيمان ب ٢٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «أو لم يُنهَوا عن النذر، إن النبي ﷺ قال: إن النذر لا يقدّم شيئاً ولا يؤخر، وإنما يستخرج به من البخيل» .

وفي رواية «نهى النبي ﷺ عن النذر. وقال: إنه لا يردّ شيئاً، ولكنّه يستخرج به من البخيل» .

٤- باب: وجوب الوفاء بالعمل الصالح إذا نذره لله أو عاهد الله عليه

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن

قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلاً. لِّيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٢٣، ٢٤].

وقال الله تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ. فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ. فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [براءة: ٧٥-٧٧].

وروى الدارمي عن عبد الله بن سلام قال: «قعدنا نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فتذاكرنا، فقلنا: لَوْ نَعْلم أيُّ الأعمال أَحَبُّ إلى الله لَعَمِلْنَاهُ. فأنزَلَ الله تعالى: ﴿سَبَّحَ لله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. يا أيها الذين آمنوا لِمَ تَقُولُونَ مالا تفعلون﴾ [الصف: ١، ٢] فقرأها علينا رسول الله حتى ختمها» .

ونقل القرطبي في تفسيره [١٨/٧٨] عن محمد بن كعبٍ قال: لما أخبر الله تعالى نبيَّهُ بثواب شهداء بدْر، قالت الصَّحابة: اللهُمَّ اشهَدْ: لئن لقينا قتالاً لَنُفْرِغَنَّ فيه وُسْعَنَا، ففرّوا يَوْم أُحُدٍ، فَعَيَّرهم الله بذلك، أي بقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

قلت: وهذا صادق على من أتى بذلك بصيغة نذرٍ أو عهدٍ، وعلى من أتى بلفظٍ يفيد معنى الالتزام، بأي لفظ كان. بل إن لفظ الآية أعم من ذلك، فيشمل أيضا من أثنى على نفسه بالعَمَل، ومن قال إنه سيعمل كذا وكذا من الخير ولم يعمل.

وقد قال ابن العربي: المُلْتَزَم على قسمين: أحدهما: النذرُ، وهو على

قسمين:

الأول: نَذْرُ تَقَرُّبٍ مبتدأً، كقول الإنسان: لله عليّ صلاةٌ أو صومٌ أو صدقةٌ أو نحوهُ من القُرَبِ، فهذا يلزمُ الوفاءُ به إجماعاً.

الثاني: ما عُلِّق بشرط رَغْبة: كقولك إن قَدِمَ غائبي فعليَّ صدقة، أو عُلِّقَ بشَرْطِ رهبةٍ، كقوله: إن كفاني الله شرَّ كذا فعليّ صدقة: فهذا اختلف العلماء فيه، فذكر أنه يجب الوفاء به عند الجمهور، وأن الشافعي قال في أحد أقواله: إنه لا يجب الوفاء به، لأنه لم يقصد به القربة، وإنما قصد مَنْع نَفْسه أو إلزامها شيئاً.

قلتُ: في المثالين اللذين ذكرهما ابن العربي ما يشبه الإجماع أنه يجب الوفاء بما التزم؛ أما الذي جرى فيه الخلاف فنحو قولك (إن دخلتُ بيت فلان فعليَّ كذا، أو إن لم أدخل بيت فلان فعليَّ كذا) . مما يراد به الحثُّ أو المنع أو تأكيد الخبر.

٥- باب: وجوب الوفاء بالمبايعة على الأعمال الصالحة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [الفتح: ١٠].

٦- باب: ترك العمل الذي يحب أن يعمله تقرُّباً إلى الله إذا دعا إلى تركه داعٍ صحيح

روى البخاري (تهجد ب٥) عن عائشة رضي الله عنها، قالتْ: «إنْ كانَ رسولُ الله ﷺ لَيدَعُ العملَ، وهوَ يُحبّ أنْ يَعملَ بهِ، خشيةَ أنْ يَعملَ به الناسُ

فيُفرَضَ عليهم. وما سبّحَ رسولُ الله ﷺ سُبحةَ الضّحىَ قطّ، وإني لأُسَبّحها» .

وانظر: (ط سفر ح٢٩) .

سبحة الضحى: أي صلاة النافلة في الضحى.

وفي رواية الإمام أحمد (٦/ ٢٢٣) عن عرْوَةَ، أن عائشة كَانَتْ تَقُولُ: ما كان رسول الله ﷺ يُسبّح سُبْحَةَ الضحى، وكانت عائشة تسبحُها، وكانت تقول: إن رسول الله ﷺ تَرَكَ كثيراً من العمل خَشْيَةَ أن يستنَّ الناس به فَيُفْرَضَ عليهم» .

وروى البخاري (حج ب٥٧) عن ابن عباس: «أنّ رسولَ الله ﷺ أتى زمزَم وهم يَسقون ويَعملونَ فيها، فقال: اعملوا فإنكم على عملٍ صالح. ثمّ قال: لولا أن تُغلَبوا لنزلتُ حتى أضعَ الحبلَ على هذه.» يعني عاتقه.

قال ابن حجر: معناه: لولا أن تغلبكم الناس على هذا العمل إذا رأوني قد عملته لِرَغْبَتِهِمْ في الاقتداء بي، فيغلبوكم بالمُكاثرة، لَفَعَلْتُ. ويؤيده رواية مسلم: «انزِعُوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ معكم» .

٧- باب: فضل تحديث النفس بالعمل الصالح وإن لم يعمله

روى البخاري (توحيد ب٥٣) أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله تعالى: إذا أرادَ عبدي أن يعملَ سيِّئةً فلا تكتُبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمِثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنةً، وإذا أرادَ أن يعمل حسنةً فلم يعملها، فاكتبوها له حسنةً، فإن عملها فاكتبوها له بعشرِ أمثالها إلى سبعمائة» .

وانظر: (م إيمان ح ٢٠٣) .

٨- باب: فضل تمني العمل الصالح ممن لا يقدر عليه

روى البخاري (فضائل القرآن ب٢٠) عن أبي هريرة: «أنّ رسولَ الله ﷺ قال: لا حسدَ إلاّ في اثنتين: رجلٍ علَّمهُ الله القرآنَ، فهوَ يَتلوهُ آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، فسمعَهُ جارٌ له، فقال: ليتَني أُوتيتُ مثلما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلما يَعمل؛ ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهوَ يُهلِكه في الحقّ، فقال رجلٌ: ليتني أوتيتُ مثلَ ما أُوتيَ فلان، فعملتُ مثلَ ما يَعمل» .

بوّب عليه البخاري «باب اغتباطِ صاحِبِ القرآن» .

وانظر: (خ علم ب ١٥؛ حم ٢/ ٤٧٩) .

٩- باب: غبطةِ الإمامِ عليٍّ الإمامَ عمر على عمله

روى البخاري (فضائل الصحابة ب٦) عن ابنِ عباس، قال: «وُضِعَ عمرُ على سريرِهِ، فتكنّفه الناسُ يَدعونَ ويُصلّونَ قبلَ أن يُرفَعَ، وأنا فيهم. فلم يَرُعْني إلا رجلٌ آخِذٌ مَنكِبي، فإذا عليّ بن أبي طالب، فترحّمَ على عمرَ، وقال: ما خلّفتَ أحداً أحبّ إليّ أن ألقى الله بمثلِ عملِه منكَ» .

وروى أحمد (١/ ١٠٩) عن ابن عمر، قال: «وُضع عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المنبر والقبر، فجاء عليّ رضي الله عنه حتى قام بين يدي الصفوف، فقال: هو هذا. ثلاث مرات. ثم قال: رحمة الله عليك، ما من خلْق الله تعالى أحبّ إليّ من أن ألقاهُ بصحيفته بعد صحيفة النبي ﷺ من هذا المسجّى عليه ثوبه» .

هذا حديث ضعيف، لكنه يتقوى بالذي قبله.

١٠- باب: فضل حب الله ورسوله وحب الإمامين أبي بكرٍ وعمر وحب سائر أهل الإيمان والأعمال الصالحة

روى البخاري (فضائل الصحابة ب٦) عن أنس رضي الله عنه، قال: «سَأَلَ رجلٌ النبيَّ ﷺ عن الساعة، فقال: متى الساعة؟ قال: وماذا أعددتَ لها؟ قال: لا شيْءَ، إلاَّ أنّي أُحِبُّ الله ورسوله ﷺ. فقال: أنت مَعَ مَنْ أحبَبْتَ. قال أنس: فما فَرِحْنَا بشيءٍ فَرَحَنَا بقول النبي ﷺ: أنت مع من أحببت». قال أنس: «فانا أُحِبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكرٍ وعُمَرَ، وارْجُو أنْ أكونَ مَعَهُم بِحُبِّيَّ إياهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم».

١١- باب: حرصِ المؤمنِ على إيمانِهِ وطاعتِهِ لله ورسوله من أن يبطلهما بالمخالفة لهما

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

١٢- باب: تَوَقِّي ما يُبْطِلُ اجْرَ العَمَلَ الصَّالِح بعدَ أنْ عمله سَالماً

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ..﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤].

قال القرطبي في تفسيره (٣/ ٣١١) لقوله تعالى: ﴿لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾ قال: المنّ والأذى في صدقةٍ ،لا يبطل صدقةً غيرها .ا هـ.

وروى الإمام أحمد (١/ ١٦٥) عن الزُّبَيْر بن العَوّام رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ: دَبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسدُ والبغضاء، هي الحالقة، حالقة الدين لا حالقة الشعر. والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم» .

وانظر: (حم ١/ ١٦٨) .

وروى الترمذي (زهد ٤٣) عن كعب بن مالكٍ، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلاَ في غَنَمٍ بأفْسَدَ لها من حِرْصِ المرءِ عَلَى المالِ والشَّرفِ لدينه» .

قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وانظر: (حم ٣/ ٤٥٦، ٤٦٠) .

وروى البخاري (ذبائح ب٦) عن ابن عمر عن النبي ﷺ «أنه قال: من اقْتَنَى كلباً لَيْسَ بكلبِ ماشيةٍ أو ضَاريةٍ نَقَصَ من أجْرِهِ كلَّ يَوْم قيراطان» .

وانظر: (خ بدء الخلق ب ١٧؛ م مساقاة ح ٥٠) .

«الضارية» كلب الصيد.

وروى البخاري (حرث ب٣) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أمسَكَ كلباً فإنَّهُ يَنقصُ كلَّ يومٍ من عَمَلِه قيراطٌ، إلاَّ كلبَ حرثٍ أو ماشيةٍ» وفي رواية عنه «إلا كلبَ غَنَمٍ أو حَرْثٍ أو صَيدٍ» .

قال ابن حجر: المراد بالنقص أن الإثم الحاصل باتخاذِهِ يوازي قدر قيراط من أجر، فينْقُصُ ثوابُ عملِ المتَّخِذِ قدر ما يترتب عليه من الإثم باتخاذه. ونقل عن ابن عبد البر: يتمحض كراهةُ اتخاذ الكلاب لغير حاجةٍ لما فيه من تَرْويع الآمِنِينَ، وامتِناعِ دخولِ الملائكة، وأن المعاني المتعبَّدَ بها من غَسْل الإناء سبعاً لا يكاد يقوم بها المكلف. ا هـ. بتصرف.

١٣- باب: مَنْ تَرَكَ العبادةَ التطوُعيَّة بعد الدخول فيها وقبل إتمامها

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَلاَ تُبْطِلُواْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

روى البخاري (صوم ب ٥١) عن أبي جُحَيْفَةَ: قال: «آخى النبيّ ﷺ بينَ سَلمانَ وأبي الدَّرداء، فزارَ سَلمانُ أبا الدَّرْداء، فرأى أمّ الدَّرداء متَبذِّلَةً. فقال لها: ماشأْنُك؟ قالت: أخوكَ أبو الدّرداءِ ليسَ لهُ حاجةٌ في الدّنيا. فجاءَ أبو الدّرداءِ، فصنَعَ لهُ طَعاماً، فقال له: كل، قال: فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأْكُلَ. قال: فأكلَ. فلمّا كان الليلُ ذَهبَ أبو الدرداء يقومُ، فقال [سلمان]: نم، فنام. ثم ذَهبَ يقومُ، فقال: نم. فلمّا كانَ مِن آخِرِ الليلِ قال سَلمانُ: قُمِ الآنَ، فصلّيا. فقال له سَلمانُ: إنّ لِربّك عليكَ حقّاً، ولنفسِكَ عليكَ حقّاً، ولأهلِكَ عليكَ حقّاً، فأعْطِ كلّ ذي حَقّ حقّه. فأتى النبي ﷺ فذَكَرَ ذلكَ له، فقال له النبي ﷺ: صَدَقَ سَلمانُ» .

ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسان إذا دخل في صومِ نفلٍ أو صلاةِ نفلٍ فليس له أن يتحلل منها قبل إتمامها، لئلا يكون قد أبطل أوّلها الذي فَعَلَهُ، فيكون داخلا في النهي الذي في هذه الآية. وذهب الشافعي وغيره إلى أنه لا بأس بذلك، لأن المتطوّع أميرُ نفسِه.بدلالة حديث أبي الدرداء المتقدم.

وفي الباب أحاديث أخرى يتحصل من مجموعها أن الصائم المتطوع إن انطر قضى إن شاء.

وأما الآية فمعناها كما نقل عن الحسن البصري: لا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي، أي لأنه كما أن الحسنات يذهبن السيئات بالموازنة، فكذلك السيئات يذهبن الحسنات بالموازنة.

١٤- باب: من تصيبه المصيبة فتكفِّر سيئاته ويسلم له عمله

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٤١) عن معاذ بن جبل، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: سَتُهَاجِرُونَ إلى الشام فَيُفْتَحُ لَكُمْ، ويكون فيكم دَاءٌ كالدُّمَّل، أو كالحَرَّة، يأخذ بِمَرَاقِّ الرَّجل، يَسْتَشْهِدُ الله به أنْفُسَهُمْ، ويزكِّي به أعمالهم».

وانظر: (جه فتن ب ٢٥).

١٥- باب: الحذر من العنف لئلا يضر بأعماله

روى مسلم (برّ ح٧٤) عن جريرٍ عن النبي ﷺ قال: «من يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَم الخير».

وانظر: (جه صيام ب٢، أدب ب٩).

١٦- باب: من كان معدِنُهُ معدِنَ خيرٍ كان ذلك من أسباب تيسير العمل الصالح له

روى البخاري (انبياء ب٨) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: خِيَارُ العَرَبِ في الجاهليةِ خِيَارهُم في الإسلام إذا فَقُهُوا».

وفي رواية (مناقب ب١) : «تجدون الناس معادن: خيارُهُمْ في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. وتجدون خير الناس في هذا الأمر أشدهم له كراهية» .

أي من كان شديد الكراهية للإسلام ثم أسلم يكون له هذا الفضل، كعمر ابن الخطاب رضي الله عنه.

وانظر: (م فضائل ح١٦٨) .

١٧- باب: تيسُّر اكتساب الأجر بسبب حسن الخلق

روى الإمام أحمد (٦/ ٦٤) عن عائشة قالت: «سمعت النبي ﷺ يقول: إن المؤمن يُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ درجاتِ الصائمِ القائمِ» .

الجناح الخامس عشر

العوائق دون الأعمال الصالحة

١- باب: ذِكْر استعراضٍ للخيل ألهى نبيًا عن ذِكْرِ رَبِّه، وكيف تاب منه

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ. إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ. فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص:٣٠-٣٣].

قيل: أخذ يعقر خيله بضرب عراقيبها وأعناقها بسيفه.

٢- باب: تخلُّصِ الصالحين من معوِّقات العمل

روى البخاري (فضائل الصحابة ب٢٣) عن قيس [هو ابن أبي حازم] أن بلالاً قال لأبي بَكْرٍ: «إنْ كنْتَ إنَّما اشتريتني لنَفْسِك فأمْسِكْني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعَمَلَ الله» .

٣- باب: تعويق المكَارهِ بعض الراغبين في الطاعة

روى مسلم (جنة: ح١) عن أنس بن مالك قال: «قال رسول الله ﷺ: حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكارهِ، وحُفَّتِ النارُ بالشَّهَواتِ» .

وانظر: (خ رقاق ب٢٨) .

٤- باب: تعْويق ثِقَلِ الأَعْمَالِ الصَّالحة بعضَ النفوس عن بعض العمل

قال الله تعالى: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ. الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٦].

٥- باب: من يعتمد على نَسَبِهِ فيتقاعس عن العمل

روى أبو داود (علم ب١) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: ما من رجلٍ يَسْلك طريقاً يطلُب فيه علماً إلا سهَّل الله له به طريق الجنة، ومن أَبْطَأ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» .

وانظر: (ت قرآن ب١٠؛ حم ٢/ ٢٥٢، ٤٠٧) .

٦- باب: من يَسْتَعْظِمُ ذَنْبَهُ أن يُغفَرَ فَيَتْرُكُ التَّوبَة والعَمَل

وورد (في قصة الهجرة من السيرة) عن الإمام عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أنه قال: «لما اجتمعنا على الهجرة اتعَدْتُ أنا وهشام بن العاصي بن وائلٍ السَّهْميّ، وعيَّاش بن أبي ربيعة، فقلنا: الموعد أَضَاةُ بني غفار، وقلنا: من تأخَّرَ فليمض صاحباه. فأصْبحتُ أنا وعيّاش هناك، وحُبِسَ عنا هشام، و فُتِنَ فافْتَتَنَ. قال عمر: وجاء أبو جهل وأخوه إلى عيّاش بالمدينة، فأوهماه ان أُمَّهُ بمكة بشرِّ حالٍ، فانطلق معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق عَدَوَا على عياشٍ فأوثقاه، ثم دخلا به مكة وفَتَنَاهُ فافتتن. فكنا نقول بالمدينة: هؤلاء قد عرفوا الله تعالى،

وآمنوا برسوله ﷺ ثم افتتنوا لبلاء لحقهم، لا نرى لهم توبة. وكانوا هم أيضا يقولون هذا في أنفسهم. فأنزل الله عز وجل في كتابه: ﴿قُلْ يِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥]، قال عمر: فكتبتُ الآيات فارسلت بها إلى هشام. ففهم أنها نزلت فيهما .» ثم إن الله تعالى يسّر لهما من ينقذهما من الأسر وقدم بهما المدينة. (سيرة ابن إسحاق ١/ ٤٧٤ بتصرف).

٧- باب: قد يكون الانتساب إلى سلفٍ صالحٍ مُعَوِّقاً

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١].

٨- باب: التعوّق عن العمل اعتماداً على قُدْسِيَّةِ مكان السُّكْنى

روى مالك (وصية ح٧) عن يحيى بن سعيد: «أنَّ أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هَلُمّ إلى الأرض المقدسة؛ فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدِّسُ أحداً، وإنما يقدِّسُ الإنسانَ عَمَلُه» الحديث.

وانظر: (خ أدب ب٣٩، فتن ب٥) .

أقول: لعله من هنا أخذ الشاعر معنى قوله:

إن المساكن لا تُقَدِّس ساكناً　　　فيها ولا تهديه إن لم يهتدِ

٩- باب: التعوق عن العمل بسبب اتباع مألوف الأقوام وعاداتهم الموروثة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

١٠- باب: من تأخذه العزة بالإثم إذا دعي إلى الهدى والرشاد فيترك الإيمان والعمل الصالح ويمضي في فجوره

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

١١- باب: إضلال الهوى أصحَابَهُ وصَدُّه لهم عن السبيل

قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَـهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

١٢- باب: طول الأَمَلِ قَدْ يَغرُّ أصحَابَهُ عَنْ قُرْب الأجل فيفوتُهم حُسْنُ العمل

قال الله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ. ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ

﴿وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٢، ٣].

روى البخاري (رقاق ب٤) عن أنس بن مالك قال: «خطَّ النبي ﷺ خطوطاً، فقال: هـذا الأَمَلُ، وهـذا أَجَلُهُ، فبينما هو كذلك إذ جاءَهُ الخطُّ الأقرب».

وروى البخاري (رقاق ب٥) عن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يَزَالُ قلبُ الكبير شاباً في اثنتين: في حبِّ الدنيا وطول الأَمَلِ».

١٢- باب: التأخر عن العمل الصالح تسويفاً وتفريطاً واتباعاً للهوى

وباب من يقول: إن هداني الله تُبْتُ وعمِلْتُ صالحاً.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ. أَن تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرتا عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ. أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦].

روى الإمام أحمد (٤/ ١٢٤) عن شداد بن أوس، قال: «قال رسول الله ﷺ: الكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوْتِ، والعاجزُ من أتبع نفسه هواهـا وتَمنَّى على الله».

هذا الحديث ضعيف وحسّنه الترمذي.

١٤- باب: التعوُّق عن العمل بسبب غُرورِ الحياة الدنيــا وإيثارهــا والاستكثار منها

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى. وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا. فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى. وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧-٤٢].

وقال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١-٢].

١٥- باب: الترفُ قد يصُدّ أهله عن الطاعات لانْشِغَالِهِمْ بالطُّرَف

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ. فَلَمَّا أَحَسُّواْ بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ. لاَ تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ. قَالُواْ يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١١-١٥].

١٦- باب: من يلهيه العمل في السوق عن العمل لآخرته

قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ الله أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧].

١٧- باب: الزوجات والأولاد والأموال قد يحولون دون ما يجب من طاعة الله

قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

روى الترمذي (تفسير القرآن ب ٦٤) عن ابن عباس، قالَ في هذه الآية: «هَؤُلاَءِ رِجَالٌ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَرَادُوا أَنْ يَأْتُوا النبيَّ ﷺ فَأَبَى أَزْوَاجُهُمْ وَأَوْلاَدُهُمْ أَنْ يَدَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا رسُولَ الله ﷺ، فَلَمَّا أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ رَأَوا النَّاسَ قَدْ فَقِهُوا في الدِّين فَهَمّوا أَنْ يُعَاقِبُوهُمْ، فأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا إنّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ عَدُوّا لَكُمْ فاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

١٨- باب: لا يطاعُ الوالدان إذا أمرًا بمعصية الله أو بتركِ الفرائض المتعينة

قال الله تعالى: ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه﴾ الآية إلى قوله: ﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ﴾[لقمان ١٤، ١٥].

قال القرطبي (١٤/ ٦٤) «طاعة الأبوين لا تراعى في ركوب كبيرةٍ ولا في تركِ فريضةٍ على الأعيان. وتلزم طاعتهما في المباحات، ويُسْتَحْسَن في ترك الطاعات الندب، ومنه أمر الجهاد على الكفاية، والأجابة للأم في الصلاة مع إمكان الإعادة. وخَالفَ الحسن في هذا التفصيل، فقال: إن مَنَعْتُه أمه من شهود العشاء شفقةً لم يطعها» .

١٩- باب: كيد الشيطان ليحول بين العباد وبين طاعة ربهم

روى النسائي (الجهاد ب ١٩) عن سبرة بن أبي فاكه وليس لـه في الكتب إلا هذا الحديث الواحد؛ رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشيطان قعَدَ لابن آدم بأطْرقِهِ فَقَعَدَ له بطريقِ الإسلام، فقال لـه: أتُسْلِمُ وتـذر دينك ودين آبائك؟ فعصاه فأسلم؛ ثم قَعَد له بطريق الهجرة، فقـال لـه: تهـاجرُ وتَتْرُكُ أرضك وسماءك، فعصاه فهاجر؛ ثم قعد لـه بطريـق الجهـاد، فقـال لـه: أتُجَاهِدُ فَتَقْتُلَ نَفْسُكَ، فتُنْكَحَ نساؤك، ويُقْسَـمَ مـالُك؟ فعصـاه فجـاهَدَ فَقُتِـلَ، فحقٌ على الله أن يدخله الجنة» اهـ باختصار.

وانظر (حم: ٣/ ٣/ ٤٨٣)

٢٠- باب: من صده عن الخير خِلانُ السوء

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يـا لَيتَـنِي اتَّخَـذْتُ مَـعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يا ويلتا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْـدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

٢١- باب: من عاقه المرض أو السفر عن مثل ما كان يعمل في الحضر والصحة كتب له مثل ما كان يداوم عليه من التطوعات

روى الإمام أحمد (٢/ ١٥٩) عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «ما أحد من الناس يصاب ببلاءٍ في جسـده إلا أمر الله عـز وجـل الملائكـة الذيـن يحفظونه، فقال: اكتبوا لعبدي كلَّ ما كان يعمل من خيرٍ ما كان في وثاقي» .

وروى الإمام أحمد (٤/ ٤١٠) عن أبي موسى، قال: «قال رسـول الله ﷺ:

إذا مرض العبدُ أو سافَرَ كُتِبَ له من الأجر ما كان يعمل مقيماً صحيحاً» .

وروى البخاري (جهاد ب٣٥) عن أنس: «أن النبي ﷺ كان في غَزَاةٍ فقال: إن أقواماً بالمدينة ما سلكنا شِعباً ولا وادياً إلا وهمْ مَعَنَا فيهِ، حَبَسُهمُ العُذْر» .

وروى الإمام أحمد (٣/ ٣٠٠) عن جابر، قال: «قال رسول الله ﷺ: لقد خلَّفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكتم طريقاً إلا شَرِكُوكم في الأجر، حبسهم المرض» .

❀ ❀ ❀

القسم الثاني

أعمال السوء والعياذ بالله تعالى

تمهيد

يسمى العمل السيّئ سوءاً وسيّئة، لأنه يسوء صاحبه في الدنيا عندما تظهر عواقبه المُرَّة، ويسوءُ الناسَ إذا عَلِمُوا به أو وقع عليهم ضرره، ويسوءُ صاحِبَهُ في الآخرة عندما يرى عذابه عليه، أو النقصَ بِهِ من حسناته.

ويسمّى أيضا معصيةً وعصياناً، لما فيه من المخالفة لنهي الله تعالى وعدم الامتثال له.

ويسمّى خطيئةً وخِطْئاً لأنه ضِدُّ الصواب والحقّ .

ويسمّى إثماً وأثاماً ومَأثَماً وذَنْباً وجِرْماً.

وقال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً﴾ [النساء:١١٢]: الخطيئة والإثم قيل: هما بمعنىً واحد. وقال الطبري: الخطيئة تكون عن عمدٍ وغير عمدٍ، والإثم لا يكون إلا عن عمد. وقيل: الخطيئة ما لم يتعمد، كالقتل الخطأ.

❀ ❀ ❀

الجناح الأول

العمل السيء والقدر، والاستدراج والإملاء والتزيين

١- باب: العمل السيئ والقَدَر السابق

تقدم القول في ذلك (ص٢٥-٢٦) .

الردّ على احتجاج الكفار بقدر الله على رضاه بكفرهم وأعمالهم السيئة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ. قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٨-١٤٩].

٢- باب: الردُّ على من اشتغل بلوم فاعل المعصية بَعْد توبته

روى مسلم (قدر ح١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «تَحَاجَّ آدَمُ وَمُوسَىَ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىَ. فَقَالَ لَهُ مُوسَىَ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَغْوَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ الَّذِي أَعْطَاهُ الله عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاصْطَفَاهُ

عَلَىَ النَّاسِ بِرِسَالَتِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَتَلُومُنِي عَلَىَ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ».

وفي رواية لمسلم (قدر ح١٣) قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى. فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا. خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى. اصْطَفَاكَ الله بِكَلاَمِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَىَ أَمْرٍ قَدَّرَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىَ. فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىَ» .

من المعلوم شرعاً وعقلاً أن فاعل المعصية ليس له أن يحتج لمعصيته بالقدر ليخلُص بذلك من الضمان أو الإثم ، وإنما يحتج بذلك أهل الضلال والجهل.

أما ما في الحديث المذكور فوجهه والله أعلم ان تَوْبَةَ آدم عليه السلام مَحَتْ حَوْبَتَهُ، فلا لوم وقد تاب الله عليه، فبقي مما وَقَع مِنْه الضرُر الذي أصابه وأصابَ ذرّيته بخروجهم من الجنة. فهي مصيبةٌ يُحْتَجُّ فيها بالقدر، ليعلم العبد أنها من الله فيرضى ويُسلِّمَ ويصبر، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ. لِّكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَالله لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

٢- باب: استدراج الله تعالى الكفّارَ والفَسَقَةَ إلى سوء المصير بسبب سوء اعتقاداتِهِمْ وفساد نياتهم وأعمالِهم

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٤-٩].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ. وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ. وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

روى الإمام أحمد (٤/ ١٤٥) عن عُقْبَة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يُحبُّ فإنما هو استدراج. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾[الأنعام: ٤٤].

٤- باب: إملاء الله تعالى للكافرين والظالمين لتكثُرَ آثامُهُمْ فيستحقوا زيادة العذاب مع قدرته على أخذهم في الحال

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُم عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

الإملاء التأخير وإعطاء المهلة وعدم المعاجلة بالعقوبة.

٥- باب: تزيين الله تعالى لِكُلِّ أمة عملَها مع أنها قد تكون على ضلال

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

٦- باب: تسليط الله تعالى الشيطان على بني آدم يدعوهم إلى الضلال والفجور، ابتلاء لهم واختباراً ولا سلطان له على أحد إلا على من اتبعه وصَدَّقَ وَسْوَسَتَهُ

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إَلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً. قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً. قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُوراً. وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إَلاَّ غُرُوراً﴾[الإسراء: ٦١-٦٤].

وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

الجناح الثاني

أسبابُ توجُهِ بعضِ البشرِ إلى سيئِ الأعمال

١- باب: قسوة القلب عن قبول الحق وقبول تزيين الشيطان، من أسباب الإسراع في المعاصي

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ الله مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

وقال تعالى حكاية عن هُدهُد سليمان: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤].

وقال في حقّ كفار مكّةَ في معركة بَدْر: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ [النحل: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ

خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم﴾ [النور: ٢١].

٢- باب: وكَّل الله تعالى بكل إنسان قريناً من الملائكة يدعوه إلى الخير ويحسّنه له، وقريناً من الجن يدعوه إلى الشر ويحسّنه له، والمعصوم من عصم الله

روى مسلم (صفات المنافقين ح٦٩) عن عبد الله [هو ابن مسعود] قال: «قال رسول الله ﷺ: ما فيكم من أحدٍ إلا قد وُكل به قرينُهُ من الجنّ وقرينُهُ من الملائكة. قالوا: وإياك يا رسولَ الله؟ قال: وإيايَ، ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير» .

وروى الترمذي (تفسير سورة البقرة : ٢٦٨) عن عبد الله بن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ لِلشّيْطَانِ لَمّةً بابنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمّةً، فَأَمّا لَمّةُ الشّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بالشّرّ وَتَكْذِيبٌ بالْحَقّ، وَأَمّا لَمّةُ المَلَكِ فَإِيعَادٌ بالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بالْحَقّ. فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنّهُ مِنَ الله فَلْيَحْمَدِ الله. وَمَنْ وَجَدَ الأخرَى فَلْيَتَعَوّذْ بالله مِنَ الشّيْطَانِ الرجيم. ثمّ قَرَأَ: ﴿الشّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة: ٢٦٨]» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

٣- باب: الشيطان ينصب الحبائل ويصنع الحيل ليوقع بني آدم فيما يهلكهم شأن العدو مع عدوه

قال الله تعالى: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ. فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ

لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ. وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩-٢١].

قاسمهما: أي أَقْسَمَ لهما بالله تعالى أنه لَهُما نَاصِحٌ ولا يريد بهما شراً فكان ما قصَّ الله تعالى علينا من تَسَبُّبِهِ بذلك إلى إخراجهما من الجنة.

٤- باب: الشيْطانُ لا يَجْبُرُ أحداً على المعصية وإنما يدعوه إليها، فيطيعُ المخذولُ مشورَتَهُ ويتَّبعُ وَسْوَسَتَهُ، فلا يكون عذراً

قال الله تعالى في شأن الشيطان يوم القيامة بعد أن وصل أهل السوء إلى مصائرهم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

٥- باب: من اتَّبعَ الشيْطانَ كان لَهُ عليه سلطانٌ والعياذ بالله

قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ. قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ. إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٩٩، ١٠٠].

٦- باب: والنّفس أيضاً تأمر صاحبها بفعل المعاصي

قال الله تعالى حكايةً عن قول يوسف عليه السلام، وقيل: حكاية عن قول امرأة عزيز مصر، وهو الأوجه، لأن يوسف عليه السلام كان عند هذه المحاورة لا يزال في السجن: ﴿وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

وقال تعالى في حقّ ابنيْ آدم قابيل وهابيل: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

روى مسلم (جنة ح٦٣) عن عياض بن حمار المجاشعيّ أن رسول الله ﷺ قَالَ: «أَهْلُ النّار خَمْسَةٌ: الضّعِيفُ الّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً لاَ يبتغون أَهْلاً وَلاَ مَالاً؛ وَالْخَائِنُ الّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ، وَإِنْ دَقّ، إِلاّ خَانَهُ؛ وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي إِلاّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ.» وَذَكَرَ الْبُخْلَ أو الْكَذِبَ. «وَالشّنْظِيرُ الْفَحّاشُ» .

قوله: «لا زبر له» أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي.

وروى الإمام أحمد (٢/ ٢١٤) عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار كل جَعْظَرِيٍّ جوّاظٍ مستكبر جمّاع منّاع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» .

٧- باب: تتبُّع الشّهَوات المُحرمةِ من أسباب التوجُّه إلى فعلِ المعاصي

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً. إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

روى مسلم (جنة: ح١) عن أنس بن مالك، قال: «قال رسول الله ﷺ حُفَّتِ الجنةُ بالمكارهِ وحُفَّتِ النارُ بالشهوات» .

٨- باب: حبُّ الدُّنيا وحبُّ المال قد يحمل على المعصية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: ٥].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِالله الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

٩- باب: طغيان الغنى والثروة والترف يحمل على عمل السُّوء

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦].

وقال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُم غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فقد هَوَى﴾ [طه: ٨١].

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

١٠- باب: اتباع الأماني قد يوقع في السوء

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا

يُجزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً. وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وتقدم قوله تعالى: ﴿وَغرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾.

١١- باب: الحَسَدُ قد يمنع صاحبه من اتباع الحق ويجرّه إلى معاصٍ كبيرة

قال الله تعالى في حق اليهود: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنزَلَ اللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

١٢- باب: من يحمله الكِبْر من أهلِ المناصِب على معصية الرحمن

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال في شأن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَـهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ. وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ. فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٨-٤٠].

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لله وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعاً. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا

الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٧٢-١٧٣].

١٣- باب: اغترار بعض الأمم بما لَقَّنه علماؤهم من الأوهام يوقعُهُمْ في كثير من السُّوء ومثله عند المسلمين: الأخبارُ الموضوعةُ والبدع الشنيعة وأوهام بعض المتصوِّفة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ. فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣-٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١].

١٤- باب: استبعاد الإنسانِ للبَعْثِ والحسابِ يهوِّن عليه ارتكابَ السَّيئاتِ

قال الله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ. فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [القيامة: ٥-١٠].

١٥- باب: لظنِّ الكافرِ والفاجرِ أنه سيسبقِ إدراكَ الله له يبادر إلى السوء

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ. مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ الله فَإِنَّ أَجَلَ الله لآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٤، ٥].

١٦- باب: ظنُّ الكفرة والفجرةِ أن الله لا يَعلم أعمالهم ولا يجازيهم يَمُدهم في عمل السوء

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ الله لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ. وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣].

١٧- باب: مَنْ عمل السوء فإنما عمله لجهله بعظمة الله تعالى ومدى علمه واطلاعه

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

قال ابن عباس: كل من عمل السوء فهو بجهالة، مِنْ جهالته عَمِلَ السوء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الله لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ الله عَلَيْهِمْ وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء: ١٧، ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ

رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الأنعام: ٥٤].

١٨- باب: الخوف من الناس وقبول الرشوة قد تحمل على أنواع من فعل السوء، كالقضاء للمبطل على المُحِق

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

الجناح الثالث

طبيعة السوء في الأعمال

تمهيد

العمل السيئ يكون سوؤه من جهتين:

الأولى: إما أن يكون الله تعالى نَهَى عَنهُ أو حرَّمه أو لَعَن فاعِلَهُ أو تَوَعَّد عليه بالعقوبة، أو جَعَلَ عليهِ حدّاً أو تعزيراً. أو جاء ذلك على لسان رسول الله ﷺ. فلا يكون فعلاً سيّئاً إلا بنصٍّ شرعيٍّ، ولا يعاقب عليه إلا لورود النصّ الشرعي، كالخمر، لم يكن شربُهَا سيّئاً. فلما جاء النص بتحريمها أصبح شُربُها وبيعُها عملاً سيّئاً. فمن شربها قبل ذلك فمات لم يعاقب عليها، ولا يجد ذلك في ميزان سيئاته. قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَأَحْسَنُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] وتُعْلَمُ أفرادُ هذا النوع بتتبُّع ما ورد منه في الكتاب والسنة الصحيحة .

والنوع الثاني: ما فيه إضرارٌ بالأنفس والأعراض والأموال المعصومة، للنهي الوارد عنها بصفةٍ عامّةٍ، من مثل ما أخرجه مسلم (حج ح ١٢١٨) عن جابر رضي الله عنه. قال: قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «إن دِمَاءَكُمْ وأموالَكُمْ وأعْراضَكُمْ حرامٌ عليكُمْ كحرمةِ يومِكُمْ هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا الا

هل بلّغت؟ اللهم اشهد» .

وانظر: (م قسامة ح ٢٩).

١- باب: العملُ السَّيِّئ ظُلْمٌ من الإنسان لنفسِهِ واستخفافٌ بحقها عليه ولا يضر الله تعالى شيئاً

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة:١٣٠].

٢- باب: انقسام الأعمال السيئة إلى أفعال وتروك (أفعال إيجابية وأفعال سلبية)

الأفعال الإيجابية أن يرتكب الإنسان ما نهاه الله عنه، كالزنى أو السرقة أو قطع الطريق أو الغشّ أو الخيانة.

والأفعال السلبية: ترك ما أوجبه الله تعالى من الفرائض والواجبات عمداً كترك الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو الحج، أو الجهاد المتعين عليه، ومنع العارية الواجبة.

قال الله تعالى: ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْـمَ وَأَكْلِهِـمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

يعني أن ترك علماء اليهود والنصارى نهي أتباعهم عـن المنكـر هـو صنيـع سيئ.

وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ. فَذَلِـكَ الَّـذِي يَـدُعُّ الْيَتِيـمَ. وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِـمْ سَـاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١-٧].

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ. فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ الْمُجْرِمِينَ. مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ. قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّـينَ. وَلَـمْ نَـكُ نُطْعِـمُ الْمِسْـكِينَ...﴾ الآيات [المدثر: ٣٩-٤٨].

وروى مسلم (مساجد ح٥٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَـنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «عُرِضَـتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِـنِ أَعْمَالِهَـا الأَذَى يُمَـاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِـي مَسَـاوِي أَعْمَالِهَـا النُّخَامَـةَ تَكُونُ فِـي الْمَسْـجِدِ لاَ تُدْفَنُ» .

وانظر: (جه أدب ب٨) .

٣- باب: ترك التطوعات لا يضرُّ من استكمل الفرائض

روى البخاري (صوم ب١) عن طلحةَ بنِ عُبيـدِ الله: «أنّ أعرابيّـاً جـاءَ إلى رسولِ الله ﷺ ثائرَ الرأسِ، فقال: يا رسولَ الله، أخبِرْني مـاذا فَـرَضَ الله علـيَّ منَ الصلاة؟ فقال: الصلواتِ الخمـسَ إلاّ أن تَطَّـوَّعَ شيئاً. فقـال: أخـبِرْني بمـا فَرضَ الله عليّ منَ الصيامِ؟ فقـال: شـهرَ رمضـانَ إلا أنْ تطَّـوَّعَ شـيئاً. فقـال:

أخبرني بما فَرَضَ اللهُ عليَّ من الزكـاةِ؟ قـال: فأخـبَرَهُ رسـول الله ﷺ بشـرائعِ الإسلام. قال: والذي أكرمَكَ بالحقّ، لا أتَطَوّعُ شيئاً ولا أنقُـصُ ممـا فـرَضَ الله عليّ شيئاً. فقال رسولُ الله ﷺ: أفلحَ إن صدق. أو: دخلَ الجنةَ إن صدق» .

وانظر: (م إيمان ح٨، ٥؛ د صلاة١) .

الجناح الرابع

طرق توقي المنكرات وأعمال السوء

١- باب: توقي الأعمال السّيّئة بالاستعاذة بالله منها وممن يدعو إليها

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. مَلِكِ النَّاسِ. إِلَهِ النَّاسِ. مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ. الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الناس: ١-٦].

روى الإمام أحمد (٦/ ٣١٨) عن أمِّ سَلَمَةَ: «أن رسولَ الله ﷺ كانَ إذا خرج من بيتِهِ قال: باسمكَ ربيِّ، إني أعوذُ بكَ أن أزلَّ أو أضلَّ أوْ أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ او أجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عليّ» .

وروى الترمذي (دعوات ب١٢٦) عن زيد بن عِلاقَةَ عن عمِّه، قال: «كانَ النبيُّ ﷺ يقول: اللهم إني أعوذُ بك من مُنكَراتِ الأخلاقِ والأعْمالِ والأهْواءِ».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وروى الترمذي (دعوات ب١٤) عَن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «قَالَ أبو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله مُرْنِي بِشَيْءٍ أقولُهُ إذَا أصْبَحْتُ وَإذَا أمْسَيْتُ. قَالَ: قُلْ: اللّهُمّ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشّهَادَةِ، فَاطِرَ السّمَاوَاتِ والأرْضِ، رَبّ كُلّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ اشْهَدُ أن لاَ إله إلاّ أنْتَ، اعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ نَفْسِي وَمِنْ شَرّ الشّيْطَانِ وشِرْكِهِ. قَالَ: قُلْهُ إذَا أصْبَحْتَ وَإذَا أمْسَيْتَ وإذَا اخَذْتَ مَضْجَعَكَ» .

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

وانظر: (ت دعوات ٩٤؛ حم١/ ٩) .

وروى البخاري (دعوات ب٤٥) عن هشام عن أبيه عن خالتِه [عائشة أم المؤمنين] : «أن النبيَّ ﷺ كان يتعوذ: اللهُمَّ إني أعوذ بِكَ من فِتْنَة النارِ، ومن عَذَابِ النار، وأعوذ بِكَ من فِتنةِ القَبر، وأعوذ بك من عَذَابِ القبر؛ وأعوذ بك من فتنة الغِنى، وأعوذ بك من فتنةِ الفَقرِ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال» .

٢- باب: توقي الكذب سَبَبٌ لتوقي أنواعٍ من الفجور

روى البخاري (أدب ب٦٩) عَنْ عَبْدِ الله: عن النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىَ البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىَ الجَنّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىَ يكون صِدِّيقاً. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىَ الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَىَ النَّارِ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىَ يُكْتَبَ عند الله كَذّاباً» .

٣- باب: ترك عِنَادِ من يدعوك إلى الهدى من أسباب توقي السوء

قال الله تعالى حكايةً عن قول شعيبٍ لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٩].

٤- باب: مفارقة المكان الذي فيه ما يدعو إلى السوء

قال الله تعالى حكايةً عن قول يوسُفَ عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ

﴿الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

روى مسلم (توبة ح٤٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً. فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ. فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لاَ. فَقَتَلَهُ. فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ. فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ. فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا وَكَذَا. فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدِ الله مَعَهُمْ. وَلاَ تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ. فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ. فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِباً مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَىٰ الله. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ. فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ. فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ، فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ. فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ» .

٥- باب: الحذر من مكر الدعاة إلى السُّوء من الكبراء بأساليبهم الملتوية

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ. رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾ [الأحزاب: ٦٨، ٦٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا

رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١-٣٣].

٦- باب: الحذر من كثرةِ المالِ مِمَّنْ لا يطيق أداءَ الحقِّ الواجبِ فيه

فيه قصةُ ثعلبةَ بـنِ حـاطبٍ، وقـد أوردْناهـا في مكـانٍ آخـر (ص٦٢-٦٥) وفيها أنه طَلَبَ من النبي ﷺ أن يَدْعـوَ الله لـه بالمـال، فقـالَ لَـهُ: «قليـلٌ تـؤدي شُكْرَهُ خيرٌ من كثيرٍ لا تُطيقُه» وهو حديث ضعيف.

٧- باب: الحذر من محقّرات الذنوب وهي عظائم

قال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُـوضُ وَنَلْعَـبُ قُـلْ أَبِـالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَـن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [براءة: ٥٦-٦٦].

روى البخاري (رقاق ب٢٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:«قال: إن العبـد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لهـا بـالاً يرفعـه الله بهـا درجـات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» .

وانظر: (جه فتن ب١٢؛ ت زهـد ب١٢) .

روى الإمام أحمد (٣/ ٣٨) عن أبي سعيد الخدري يرفعه «قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمةِ لا يريد بها بأساً إلاّ لِيُضْحِكَ بها القوم، فإنه ليقع مِنْها أبعد من السماء» .

هذا حديث ضعيف لكن يشهد له الحديث الذي قبله.

وروى مسلم (بـر ح١٣٧) عَـنْ جُنْـدَبٍ: « أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ حَـدَّثَ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَالله لاَ يَغْفِرُ الله لِفُلاَنٍ. وَإِنَّ الله تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ

أغفِرَ لِفُلاَنٍ. فَإنّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ. وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» أَوْ كَمَا قَالَ.

وانظر: (خ صلح ب١٠؛م مساقاة ح٢٠).

وروى البخاري (دعوات ب٣٢) عن أنس قال: «إِنَّكُمْ لتَعْمَلُونَ أعمالاً هي أدَقّ في أعيُنِكمْ من الشَّعَرِ، إنْ كُنَّا لنَعُدُّها على عهد النبي ﷺ من الموبقات».

وروى البخاري (دعوات ب٤) عن عبد الله بن مسعود قال: «إن المؤمن يرى ذنوبَهُ كأنَّهُ قاعِدٌ تحتَ جبل يخافُ أن يَقَعَ عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرّ على أنْفِهِ فقال به هكذا». قال ابو شهاب [راوي الحديث] بيده فوق أنفه.

٨- باب: الدعاء إلى ترك عمل السيئة ممن همّ بها، رجاءَ موعودِ الله تعالى

روى مسلم (إيمان ح٢٠٥) عن أبي هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمّدٍ رَسُولِ الله ﷺ: قال: «قَالَ الله عَزّ وَجَلّ: إِذَا تَحَدّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. وفي رواية: عشراً إلى سبعمائة ضعف- وَإِذَا تَحَدّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا. فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا».

وفي رواية: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: رَبّ! ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيّئَةً (وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ) فَقَالَ: ارْقُبُوهُ. فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً. إِنّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرّايَ».

وانظر: (خ إيمان ب٣١).

مِنْ جرّاي: أي لأجلي.

الجناح الخامس

آثار الأعمال السيئة

١- باب: استحقاق العقوبة في الدنيا على بعض الأعمال السيئة، في قدر الله تعالى

قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِـي الْحَيَـاةِ الدُّنْيَـا وَتَزْهَـقَ أَنفُسُـهُمْ وَهُـمْ كَـافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

٢- باب: استحقاق غضب الله ولعنته على بعض الأعمال وهي الكفر والردة وبعض الكبائر

قال الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْـدِ إِيمَانِـهِ إِلاَّ مَـنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِـنٌّ بالإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِـمْ غَضَـبٌ مِّـنَ الله وَلَهُـمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ. ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ الله لاَ يَهْـدِي الْقَـوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [النحل: ١٠٦، ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الله لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً. خَالِدِينَ فِيهَا أَبَـداً لاَّ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٥].

وقال في حق اليهود أُمَّةِ الغضب: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ الله بَغْياً أَن يُنَزِّلُ الله مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَى

غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ. وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦، ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء: ٩٣].

٣ـ باب: استحقاق عظيم العقوبة في الآخرة على بعض الأعمال وهي الكبائر (على ما يأتي بيانه)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء: ١٠].

٤ـ باب: استحقاق بعض العقوبات الدنيوية المقدرة شرعاً على بعض الأعمال، وهي الحدود

قال الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ

يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ﴾[المائدة: ٣٣].

وبيان الجرائمِ المذكورةِ وعقوباتها يُعْلَمُ بالرجوع إلى كتب الحديث وكتب الفقه.

٥- باب: استحقاق العَطَبِ والهَلاكِ العامُّ للأمم إذا كثر فيها الفساد والفِسْقُ والظُّلْمُ وأُعلِنَ به واستقرَّ فلم يُغَيَّر، ولو كان فيها صالحون

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

قال القرطبي: الظلم هنا الشرك. وقوله ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ أي فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي لم يكن لِيُهلِكَهُمْ بالكفرِ وَحْدَهُ حتى يَنْضَافَ إليه الفساد، كما أَهْلَكَ قوم شعيبٍ ببخس المكيالِ والميزانِ، وقومَ لوطٍ باللواطة. ثم قال: وَدَلَّ هذا على أن المعاصي أقربُ إلى عذابِ الاستئصالِ في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصْعَبَ.

وروى مالك (كلام ح٢٢) أنه بَلَغَهُ أن أمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النبيِّ ﷺ قالت له:

«يا رسول الله: أَنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟!قَالَ: نعمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ» .

وروى مالك (كلام ح٢٣) عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: «كان يُقالَ: إن الله تبارك وتعالى لا يعذِّب العَامَّةَ بذنْبِ الخاصَّةِ ولكن إذا عُمِلَ المُنْكَرُ جهاراً استحقُّوا العُقُوبةَ كلُّهم» .

قلت: أي لأنهم بِعدمَ إنكارِهَمُ المُنْكَرَ الظَّاهِرَ وسُكُوتِهِمْ عليه يكونون قد تركوا الفريضة. وذلك جريمة في حد ذاته.

لكن هذا فيه نظر، فإنه ينتقض بأن الهلاك العامّ إذا وقع يصيب أيضاً الأطفال وغيرهم ممن لا يجب عليه إنكار المنكر. وإنما وجهُ المَسْألةِ ما يأتي في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى البخاري (فتن ب١٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا أنزلَ الله بقومٍ عذاباً أصابَ العذابُ من كان فيهم، ثم بُعِثوا على أعمالهم» .

وانظر: (م جنّة ب ٨٤) .

قال ابن حجر: (فتح ١٣/ ٦٠، ٦١) من كان فيهم ممن هو ليس على رأيهمْ فَيُبْعَثُ كُلُّ واحد منهم على حسب عمله: إن كان عَمَلُهُ صالحاً فَعُقْباهُ صالحةٌ، وإلا فَسَيِّئةٌ. فيكون ذلك العذاب طُهْرةً للصالحين، ونقمةً على الفاسقين.

قال: وإنّ بعثَهُم على أعمالِهم حكمٌ عَدْل. لأن أعمالهم الصالحة يُجْزَوْنَ بها في الآخرة، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيراً لما قدموه من عمل سيّئ.

٦- باب: بعضُ الذنوبِ تكونُ عقوبتُهُ نَـزع إيمـانِ صاحِبِـهِ حتـى يمـوت علـى الكفر والعياذ بالله

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَـةً وَاتَّقُـواْ الله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ. وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ١٣٠، ١٣١].

فقد خُتِمَتِ الآية الناهيةُ عن الرِّبا بالتخْويف بالنار التي أُعِـدَّت للكـافرين. فقال بعض العلماء: ذلك لمستحِلِّ الربا. وذهب القرطبيُّ إلى أن من الذنوب مـا يَسْتَوجِبُ به صاحبه نزعَ الإيمان، ويُخاف عليه. ونَقَلَ عن أبي حنيفة: أكـثر مـا يُنْزِعَ الإيمان من العَبْدِ عنْد المَوْتِ.

٧- باب: الرَّيْن على القلوب بسبب كثرة الذنوب

روى الإمام أحمد (٢/ ٢٩٧) عن أبي هريرة قال: «قال رسـول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنَبَ كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإنْ تَابَ ونَزَعَ واستغفر صُقِلَ قلبه. وإن زَادَ زادت، حتى يَعْلوَ قَلْبَهُ ذاكَ الرَّيْنُ الذي ذكر الله عـز وجـل في القـرآن: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾» [المطففين: ١٣].

باب: قد يُطْبَعُ على القلبِ ويُخْتَمُ عليه فلا يدخله إيمان إلا قليلا، وذلك بسبب الإصرارِ على الكفر استكباراً بعد وضوح الحق، وبسبب بعض الذنوب

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُـمْ أَمْ لَـمْ تُنذِرْهُـمْ لاَ يُؤْمِنُونَ. خَتَمَ الله عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَـى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ وَلَهُـمْ عَذَابٌ عظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦، ٧].

وقال عزَّ شأنه: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ

بالإيمان وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَـبٌ مِّنَ اللَّـهِ﴾إلى أن قـال: ﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَـعَ الله عَلَى قُلُوبِهِـمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُـمُ الْغَافِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَنُقَلِّـبُ أَفْئِدَتَهُـمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَـمْ يُؤْمِنُـواْ بِـهِ أَوَّلَ مَـرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ الله بِغَيْرِ سُـلْطَانٍ أَتَـاهُمْ كَـبُرَ مَقْتـاً عِندَ الله وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُـواْ كَذَلِـكَ يَطْبَـعُ الله عَلَـى كُـلِّ قَلْـبِ مُتَكَـبِّرٍ جَبَّـارٍ﴾ [غافر:٣٥].

وقال تعالى في شأن اليهـود: ﴿فَبِمَـا نَقْضِهِـم مِّيثَـاقَهُمْ وَكُفْرِهِـم بَآيَـاتِ الله وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ الله عَلَيْهَـا بِكُفْرِهِـمْ فَـلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِيـنَ آمَنُـواْ اسْـتَجِيبُواْ لله وَلِلرَّسُـولِ إِذَا دَعَـاكُم لِمَـا يُحْيِيكُـمْ وَاعْلَمُـواْ أَنَّ الله يَحُـولُ بَيْـنَ الْمَـرْءِ وَقَلْبِـهِ وَأَنَّـهُ إِلَيْـهِ تُحْشَـرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

روى مالك (جمعة ح٢٠) عن صفوان بن سليم، قال مالك: لا أدري أَعَـنِ النبي ﷺ أم لا، أنه قال: «من ترك الجمعة ثلاث مراتٍ من غَـيْرِ عُـذْرٍ ولا عِلَّـةٍ طَبَعَ الله على قلبِهِ» .

وانظر (ت جمعة ب٧؛ د صلاة ب٩٣) .

٨- باب: معصيةُ الله تعالى هوانٌ للعاصي

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ. وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً. وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ [الفجر: ١٦-٢٠] .

أي هذا هو الهوان عند الله، لا ذاك.

٩- باب: بعضُ المعاصي تمنع قبول دعاء أصحابها

روى مسلم (زكاة ح٦٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّباً. وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ١١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٣] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» ؟!

وانظر: (ت تفسير سورة البقرة: ٢٦) .

١٠- باب: بعض الأعمال السيئة تؤدّي بصاحِبها إلى حياة منغّصة وذلّ وضيق في العيش

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

١١- باب: بعض الذنوب تمنع الرزق

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٧٧) عن ثوبان، قال: «قال رسول الله ﷺ إن الرجل ليُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبه. ولا يردُّ القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البرّ» .

وانظر: (جه فتن ب٢٢) .

١٢- باب: ردُّ شهادةِ من عَمِلَ الذنوبَ العظام حتى يتوب

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣، ٥].

١٣- باب: ترتُّبِ اسم (الكفر) على فعل بعض المعاصي بسبب فعلها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللهِ وَكَانُواْ

عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

ذكر ذلك في عقب ذِكْرِ من حَكَم من قضاة بني إسرائيل بالباطل لأجل خشيته من الناس لو حكم بالحق، أو لأَجْلِ الحصول على الرشوة من المحكوم له.

روى مسلم (إيمان ح١٣٤) عن جابر بن عبد الله، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: بَيْنَ الرَّجُل وبيْنَ الشِّرْكِ والكُفْر تَرْكُ الصلاةِ».

وروى الترمذي (إيمان ب٩) عن جابر أن النبي ﷺ قال: «بين الكفر والإيمان ترك الصلاة» وفي رواية: «بين العبد وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة».

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وانظر: (ن صلاة ح ب).

وروى البخاري (إيمان ب٣٦) عن عبد الله [بن مسعود]، قال: «قال رسول الله ﷺ: سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وانظر: (م إيمان ح ١١٦).

وروى مسلم (إيمان ح١١٨) عن جرير قال: «قال النبي ﷺ في حجَّةِ الوَدَاع: لا ترجعوا بعدي كُفَّاراً يضرِبُ بعضكُمْ رِقَابَ بعضٍ».

وانظر: (خ علم ب٤٣، أضاحي ب٥).

وروى البخاري (مناقب ب٥) عن أبي ذر: «أنه سمع النبي ﷺ يقول:

ليس من رجلٍ ادَّعى لغير أبيه وَهو يعلَمُه إلاّ كفر بالله، وَمَنِ ادَّعى قوماً لَيْسَ له فيهم نسب فليتبوَّأ مقعده من النار» .

قال ابن حجر: «لم يقع في رواية مسلم، ولا في غير رواية أبي ذر قوله: «بالله» وهو أولى» [يعني أن الرواية بدونها أصح وأولى] والمراد كُفْر النعمة، أو أنه فَعَل فِعْلاً شبيهاً بفعل أهل الكفر].

وانظر: (م إيمان ح١١٢) .

١٤- باب: بعض المعاصي التي أُطْلِقَ على فاعِلِها اسم (الكافر) ليست من الكفر المخرج عن الملة الإسلامية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ الآية إلى قوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. قال ابن عباس: «كفر دون كفر».

وهذا يبين أن قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» ليس على ظاهره، فلا يدل على أن الرجلين إذا اقتتلا خرجا عن الإسلام، لأن الآية سمَّتْهُما مؤمنين. وقال الله تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:٩، ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فقوله تعالى: ﴿من أخيه﴾ يدل على ذلك، لأنه لو كان كافراً حقيقة ما كان

اخاً للمؤمن.

وقال تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِاللهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١].

نزلت في حاطب بن أبي بلتعة عندما كَتَبَ إلى قريشٍ خِفْيَةً يُحذِّرهم من أن رسول الله ﷺ سَيَغْزُوهُمْ . وقد استاذَنَ عُمَرُ بن الخطّاب رضي الله عنه النبيَّ ﷺ في قتل حاطب، فقال ﷺ «وما يدريك يا عُمَرُ لَعَلَّ الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتُمْ فقد غفرت لكم» أخرج القصة البخاري (مغازي ب٩).

١٥- باب: استحقاق إطلاق اسم الفسق على من لا يبالي بفعل الكبائر، مع إيمانه

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وقال تعالى في الإشهاد على عقد البيع: ﴿وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَارَّ

كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

جعل المضارَّة في كاتب الدَّيْن أو شاهديه فسقاً.

١٦- باب: الفِسْقُ كما يكونُ في المؤمنينَ يكونُ في الكفَّارِ والمنافقين وهو الأكثر

قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣].

وقال في قوم لوط: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧].

١٧- باب: استحقاق اسم النفاق لمن فيه خصالُ سوءٍ معيَّنةٌ من المؤمنين وهو نفاق عمل، لا نفاق تكذيب

روى البخاري (إيمان ب ٢٤) عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو عن النبيِّ ﷺ: «أنه قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقاً، وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ» .

وانظر (ت إيمان ب ١٤). وقالَ الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ثم قال الترمذي: «وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا الحديث عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ نِفَاقُ العَمَلِ، وَإِنَّمَا كَانَ نِفَاقُ التكذيبِ عَلَى عَهْدِ النبي ﷺ هَكَذَا رُوِيَ عن الحَسَنِ البَصْرِي شيءٌ مِنْ هذا أنه قالَ: النفاقُ نفاقان: نفاقُ العمل، ونفاق التكذيب» .

١٨- باب: خصال الجاهلية، وهي أعمال سوء كان عليها أهل الجاهلية، واستمر عليها بعض الناس في الإسلام رغم النهي عنها

قال البخاري (إيمان ب٢) : «المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفَّر بها صاحبها إلا بالشِّرك» ثم ذَكَرَ حديثَ أبي ذرّ. قال: «سَابَبْتُ رجلاً، فعَيَّرتُهُ بأمِّه، فقالَ لي النبي ﷺ: يا أبا ذر، أعيَّرْتَهُ بأمِّه؟ إنك امرؤٌ فيك جاهليّة» .

أقول: لا يقال: كلُّ معصيةٍ فهي من أمر الجاهلية بل: كلُّ معصيةٍ كان عليها أهل الجاهلية ثم جاء الإسلام بالنهى عنها، كالطعن في الأنساب، والتبني، والتفاخر، ونحوها، بخلاف غير ذلك كإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، وكالشجاعة، ونصر الجار.

وروى مسلم (جنائز ح٢٩) عن أبي مالكٍ الأشْعَريّ: «أن النبي ﷺ قال: أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يَتْركُونَهُنّ: الفَخْر بالأحساب، والطَّعْنُ في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنِّياحة» .

وروى الإمام أحمد (٢/ ٢٦٢) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: ثلاث من عمل أهلِ الجاهليّةِ لا يتركُهُنَّ أهلُ الإسلام: النياحَةُ، والاستسقاء بالأنواء، وكذا» قال الراوي: قلت لسعيد: وما هو؟ قال: «دعوى الجاهلية: يا آل فلان. يا آل فلان. يا آل فلان» .

وروى مسلم (إمارة ح٥٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً. وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ، يَغْضَبُ لِعصبية، أَوْ يَدْعُو إِلَى عصبية، أَوْ يَنْصُرُ عَصبية، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا. وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلاَ يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ» .

وانظر: (حم٢/ ٢٩٦) .

الجناح السادس

مراتب الأعمال السيئة

١- باب: انقسام الذنوب إلى فواحش، وهي ما اشتد سوؤه وقبحه وإلى كبائر وهي الجرائم العظيمة، وإلى صغائر

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧].

وقال: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ٢٨]. الفاحشة هنا إتيان الذكور .

وقال تعالى في طواف أهل الجاهلية بالبيت عُراة: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١].

وروى الترمذي (فتن ب٢) عن عمرو بن الأحوص، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في حَجَّةِ الوَدَاع للناس...» فذكر الحديث إلى أن قال: «ألا وإن الشيطان قد أيِسَ من أنْ يُعْبَدَ في بلادِكُمْ هذه أبداً، ولكنْ سَتَكونُ له طاعةٌ فيما تَحْقِرون من أعمالكم فسيرضى به» .

قال الترمذي: هذا حيث حسن صحيح.

وانظر: (جه مناسك ب٧٦) .

وروى مسلم (إيمان ح١٤٥) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السَّبْعَ الموبقاتِ. قيل: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النفسِ التي حَرَّم الله إلا بالحق، وأكلُ مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذفُ المحصناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ» .

وروى البخاري (أيمان: ب ١٦) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «الكبائر الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس» .

٢- باب: معرفة الكبائر من الذنوب والصغائر منها

ذهب بعضُ السَّلَفِ إلى أن الكبيرة من الذنوب ما نهى الله تعالى عنه وجعل فيه حداً في الدنيا، أو لَعَنَ فاعِلَهُ، أو غَضِبَ عليه، أو أوعد عليه بالنار يوم القيامة، وما سوى ذلك فهو صغائر [1] .

أقول: وينبغي أن يزاد على ذلك: كلُّ ما سماه الله تعالى أو رسوله ﷺ كبيرة، أو أن فاعِلَهُ أظلم الناس، أو كانَ مُسَاوياً أو أعظم من فعلٍ ثبت أنه كبيرة من الكبائر، فيدخل في مسمى الكبائر. فمن ذلك مثلاً: الافتراءُ على الله تعالى، لقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. ومن ذلك هدم المساجد أو منع من يريد المجيء إليها لذكر الله فيها، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَّنَعَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٨.

مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾[البقرة: ١١٤].

وانظر أنواع الكبائر والضابط في التفريق بينها وبين الصغائر في كتاب (الكبائر) للذهبي، وفي تفسير القرطبي ٥/ ١٦٠، وفي (الأشباه والنظائر) للسيوطي ص٣٨٦ وغير ذلك.

٢. باب: أكبر الكبائر

روى مسلم (إيمان ح١٤٤) عن أنس بن مالك، قال: «ذكر رسول الله ﷺ الكبائر (أو قال: سئل عن الكبائر) فقال: الشِّرْكُ بالله، وقتلُ النفس، وعقوق الوالدين. وقال: ألاَ أنبئكُمْ بأكبرِ الكَبَائِرِ؟ قال: قَوْلُ الزور. أو قال: شهادة الزور».

وروى البخاري (شهادات ب١٠) عن أبي بكرة. قال: «قال النبي ﷺ: ألا أنبئكُمْ بأكبرِ الكبائِرِ؟ (ثلاثاً) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وجَلَسَ وكان متكئاً. فقال: ألا وَقَوْلُ الزورِ. قال: فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت».

وانظر: (م أيمان ح١٤٣).

وروى البخاري (أدب: ب٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص: «أن رسول الله ﷺ قال: إن من أكبر الكبائر شَتْمَ الرجلِ والديْهِ. قيل: وَهَلْ يشتُمُ الرجلُ والديه؟ قال: نعم، يَسُبُّ أبا الرجل وأمّه، فَيَسُبُّ أباه وأمه».

وانظر: (م إيمان ح٩٠).

وروى مسلم (إيمان ح١٤٢) عن عَبْدِ الله قال: «قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله

أيُّ الذَّنْبِ أكْبَرُ عِنْدَ الله؟ قَالَ: أنْ تَدْعُوَ لله نِدًا وَهُوَ خَلَقَكَ. قَالَ: ثُمَّ أيّ؟ قَالَ: أنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخافَةَ أنْ يَطْعَمَ مَعَكَ. قَالَ: ثُمَّ أيّ؟ قَالَ: أنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ. فَأنْزَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩]» .

٤- باب: انقِسَام الآثام إلى ظاهرةٍ وباطنة

قال الله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

قال ابن كثير: قال قتادة: ظاهره العلانية وباطنه السرّ. وقال السُّدي: ظاهره الزنا مع البغايا المعلنات، وباطنه مع الخليلاتِ والصدائِقِ والأَخْدان. وقال عكرمة: ظاهره نكاح ذوات المحارم. وقال القرطبي: باطنه ما كان بالقلب، أي كالحسد والغش والحقد والتطيّر، وظاهره ما كان بالبدن.

أقول: قول قتادة هو الصواب إن شاء الله، وما قاله السدي والقرطبي داخل فيه.

٥- باب: الفواحش

قال القرطبي: «الفاحشة» تطلق على كل معصية، وقد كثر اختصاصها بالزنا (تفسيره ٤/ ٢١٠)

قلت: الفاحشة من الذنوب ما كان شديد القبح يستقبحه كل ذي فطرة سليمة كالزنا واللواطة، والتعري أمام الناس وسبّ الوالدين، ونكاح المحارم.

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] نزلت هذه الآية الأخيرة في طوافهم بالبيت عراة.

٦- باب: الصغائر: الصغيرة من السيئات ما كان منهيًا عنه شرعاً نهي تحريم، وليس داخلاً في حيز الكبائر، على ما تقدم بيانه، كالنظر بشهوة إلى من لا تحل للناظر، والكذبة، وسرقة ما دون النصاب

قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾[النساء: ٣١].

دلت الآية على أن من الذنوب ما ليس من الكبائر، وهو الصغائر، ودلت أيضاً على أن الصغائر يكفّرها اجتناب الكبائر.

٧- باب: الإصرار على الذنوب ليسَ من شأن الصالحين، بل يسارعون إلى التوبة، أما الإصرار فهو من شأن الظالمين

قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانُواْ

يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٤٦].

قلت الإصرار على الذنب هو معاودتُهُ مرة بعد مرة دون أن يتوب منه.

ونقل القرطبي (تفسيره ٤/ ٢١١) : الإصرارُ هو التسويفُ، والتسويف أن يقول: أتوبُ غداً، وهذه دعوى النفس، كيف يتوبُ غداً وهو لا يملك الغد. وقيل: إذا نوى أنه سيتوبُ خرج عن الإصرار.

٨- باب: ليس من الإصرار فعل من عاد إلى الذنب بعد أن تاب منه توبة صادقة

روى البخاري (توحيد ب٣٥) عن أبي هريرة. قال: «سمعتُ النبيَّ ﷺ قال: إنّ عبداً أصابَ ذنباً، وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: ربّ أَذْنَبْتُ ذنباً، فاغفرْ. فقال ربّه: أَعَلِمَ عبدي انّ لهُ ربّاً يغفرُ الذّنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أصابَ ذنباً، فقال: رب أصبتُ آخرَ فاغفرهُ، فقال: أَعَلِمَ عبدي انّ له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً، فقال: ربّ أصبتُ ذَنْباً آخر فاغفره لي فقال: أعَلِمَ عبدي أن له رَبّاً يغفرُ الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي، ثلاثاً، فليعملْ ما شاء» .

(وانظر حم ٢/ ٢٩٦) .

٩- باب: مَنْ تَرَكَ الفرائض الموقوتة حتى خرج وقتها، دون عذر

روى الإمام أحمد (٢/ ٣٨٦) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَفْطر يوما من رمضانَ في غير رخصةٍ رخّصها الله له فَلَنْ يُقَبلَ منه الدهرُ كلُه» .

١٠- باب: تركِ ما اشتبه عليك أنه حلال أو حرام احتياطا لتطمئن إلى سلامة دينك وعرضك، لئلا تقع في الإثم تدرّجاً من الأسهل إلى الأشقّ

روى مسلم (مساقاة ح١٠٧) عن النعمان بن بشير: «أن النبيَّ ﷺ قال: إنّ الْحَلالَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّـنٌ، وَبَيْنَهُمَا أمورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُـنَّ كَثِيرٌ مِـنَ النّاس، فَمَنِ اتّقَى الشّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشّبُهَاتِ وَقَـعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرّاعِي يَرْعَىَ حَوْلَ الْحِمَىَ، يُوشِـكُ أَنْ يَرْتَـعَ فِيـهِ، أَلاَ وَإِنّ لِكُـلّ مَلِكٍ حِمىً، أَلاَ وَإِنّ حِمَى الله مَحَارِمُـهُ، أَلاَ وَإِنّ فِـي الْجَسَـدِ مُضْغَـةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ» .

وانظر: (خ إيمان ب٣٩) .

٭ ٭ ٭

الجناح السابع

شروط ترتُّب الإثم على فِعلِ السُوءِ

١- باب: الاستِهْتَارِ بمعاصي الله والإسراع فيها والعياذ بالله

قال الله تعالى في حق اليهود: ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٦٢].

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يَدْخُل النار إلاَّ شَقِيٌّ. قيل: ومن الشَّقِي؟ قال: الذي لا يعمل بطاعةٍ، ولا يتركُ لله معصيةً».

٢- باب: رَفْعِ قَلَمِ السَّيِّئَاتِ عن ثلاثة أصناف من الناس

روى البخاري (حدود ب٢٢) تعليقاً، أن علياً قال لعمر: «رُفِعَ القَلَمُ عن ثلاثة: عن الصبيِّ حَتَّى يُدْرِكَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حتى يُفِيقَ، وعن النائم حتى يستيقظ».

وانظر: (خ طلاق ب١١؛ د حدود ١٧).

٣- باب: لا إثم على من أراد فِعْلَ المُبَاح فَوَقَعَ من فِعْلِهِ ضَرَرٌ لم يُرِدْه

قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ

قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الأحزاب: ٥].

٤ـ باب: لا إثم على المكْرَه والناسي

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[النساء: ٩٣].

قال تعالى: ﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[المائدة: ٩٥].

روى ابن ماجه (طلاق ب ١٦) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» .

هذا الحديث حسنه النووي وانكره احمد.[١]

٥ـ باب: من فَعَلَ المعصية وهو لا يعلم أنها معصية

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

روى أبو داود (اقضية ب ١٤) عن عَبْدِ الله بن عُمَرَ قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ الله حَتَّى يَنْزِعَ عنه» . الحديث.

---

(١) تلخيص الحبير ١/ ٢٨٢.

٦- باب: من فَعَلَ المعصية قبل أن يبلغه تحريمها

قال الله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣].

روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «لمَّا حُرِّمت الخمرُ قال ناس: يا رسول الله: أصحابُنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [براءة: ١١٥].

٧- باب: من فَعَلَ المعصيَة قبل أن تبلغه الدعوة

قال الله تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ لَهَا مُنذِرُونَ. ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨، ٢٠٩].

وقال تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [النساء: ١٦٥].

الجناح الثامن
ما تَعظُمُ به آثامُ الأعمال

١- باب: عِظَمِ إثمِ من جاهرَ بالمعصيةِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

روى البخاري (أدب ب٦٠) عن أبي هريرة، قال: «سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: كلُّ أُمَّتِي مُعَافىً إلا المجاهِرين. وإنَّ من المجاهرة أنْ يعمَلَ الرجلُ بالليل عملاً ثم يُصبح وقد سَتَرَهُ الله، فيقول: يا فلانُ عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يَسْتُرُه ربّه ويُصْبِحُ يكشِفُ ستر الله عنه» .

قال ابن بطال: في الجَهْر بالمَعْصِيَةِ استخفافٌ بحَق الله ورسولهِ وبصالحي المؤمنين. وفيه ضَرْبٌ من العِنَادِ . وفي الاستتارِ بها السلامة من الاستخفاف، ومن إقامةِ الحدِّ عليه أو التعزيز. وإذا تمحَّضَ حقُّ الله فهو أكرم الأكرمين، ورحمتُهُ سبقت غضبَهُ إذا سترَهُ في الدنيا لم يفضحْه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك .اهـ.

٢- باب: عظم إثم من يرتكب السُّوءَ وهو يَنْهى عنه

قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ

أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ١٤].

روى البخاري (بدء الخلق ب١) عن أسامة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: يجاء بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلقُ أقتابُهُ في النار، فيدورُ كما يدورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أيْ فلانُ! ما شأنُك؟أليسَ كنتَ تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فقال: كُنْتُ آمركُم بالمعروفِ ولا آتيهِ، وأنهاكُمْ عن المنكر وآتيه».

وانظر: (م زهد ح٥١).

٣- باب: زلة العالم بالذنب أعظم عقوبةً من فِعْلِ الجاهل به

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ. فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨، ٢٠٩].

٤- باب: عِظَمِ إثم من يحسُن قولهُ وهو ممن يسعى في الأرض بالفساد

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ الله عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَالله لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٥-٢٠٧].

٥- باب: العمل السيّئ إذا ألبسَهُ صاحبهُ ثوبَ الحق تحايُلاً فهو أشد إثماً ممن فعله دون تحايل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ

سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ الله هُزُواً وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أَنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاَةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٢-١٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. وَإِذَا قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً الله مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

ذكر المفسرون أن بني إسرائيل كان محرّماً عليهم العمل يوم السبت، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ وإن أهل آيلة منهم لما ابتلاهم الله تعالى بمجيء الأسماك يوم السبت ظاهرة على وجه الماء وفي غير السبت لا تأتيهم: احتالوا فكان الواحد يمسك الحوت يوم السبت فيربطه بخيط إلى وَتد، ثم يأخذه يوم الأحد.

روى أبو داود (أشربة ب ١٦) عن أبي مالك الأشعري «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها.»

روى الإمام أحمد (٥/ ٣١٨) عن عبادة بن الصامت، قال: «قال رسول الله ﷺ ليستحلن طائفة من أمتي الخمر باسم يسمونها إياه».

وانظر: (ن أشربة ب ٤١).

وروى البخاري (بيوع ب ١١٢) عن جابر: «أنه سمعَ النبي ﷺ يقول وهو بمكة عامَ الفتح: إنّ الله ورسولَهُ حرّمَ بيعَ الخمرِ والميتةِ والخِنزيرِ والأصنامِ. فقيلَ: يا رسولَ الله أرأيتَ شُحومَ الميتةِ، فإنه يُطلَى بها السّفنُ، ويُدهَنُ بها الجلود، ويَستَصبحُ بها الناسَ؟ فقال: لا، هو حرام. ثمّ قالَ رسولُ الله ﷺ عندَ ذلكَ: قاتلَ الله اليهودَ إنّ الله لما حرّمَ عليهم شحومَها جَمَلوهُ ثمّ باعوهُ فأكلوا ثمنه».

وانظر: (م مساقاة ح٧٢).

٦- باب: عظم إثم من انتهكَ حُرْمَةَ الأماكنِ التي خصّها الله تعالى بالتقديس بالمعصية فيها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قال القرطبي: المعاصي تُضاعَفُ بمكّة كما تُضاعَفُ الحَسَناتُ، فتكون المعصيةُ معصيتَيْن: إحداهما نفسُ المخالفة، والثانية إسقاطُ حُرمةِ البلد الحرام اهـ.

٧- باب: عظم الإثم ممن قتل في الشهر الحرام أو قاتل فيه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [براءة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٨- باب: تعاظم إثم المعصية إن فُعِلت بمن هو أولى من غيره بحفظ حرمته

تقدم الحديث (ص٢٠٥-٢٠٦) «أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قيل: ثمّ أيّ؟ قال: أن تزاني حليلة جارك. قيل: ثم أيّ؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك».

روى الإمام أحمد (٢/٤٣٩) عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «اللهم إني أُحرّج حقّ الضعيفين اليتيم والمرأة».

وانظر (جه أدب ب ٦).

٩- باب: ازدياد إثم الظلم إن كان المظلومُ ضعيفاً أو لم يكن له ناصر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [النساء: ١٠].

* إذا ضعف الداعي و[illegible] عظم الوزر

١٠- باب: ازدياد الإثم إن كان الداعي إليه ضعيفا وفَعَله

* وإذا قوي الداعي [illegible] عظم الأجر.

روى مسلم (إيمان ح١٧٢) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: شيخٌ زانٍ،

ومَلِكٌ كذاب، وعائلٌ مستكبر» .

وانظر: (ت جنة ب٢٥) .

١١- باب: عظم إثم من فتح باباً من الشرّ أولَ الناسِ إذا اتبعه غَيرُهُ فيه

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وقال في حق قوم لوط أيضاً: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. إلى أن قال: ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٨-٣٤].

روى البخاري (ديات ب٢) عن عبد الله: «عن النبي ﷺ قال: لا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ منها» زاد في كتاب (الاعتصام: ب١٦): «سنّ القتل أولاً» .

وانظر: (م قسامة ح٢٧؛ ت علم ب١٤) .

١٢- باب: تعاظم إثم مَنْ فَعَل المعصية إن كان فعلهُ أو قوله يؤثّر في إضلال غيره ويدعو إلى فعلها ولو كان لا يعلم أنهم سيقتدون به

قال الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

"وَلَيَحْمِلُنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم"

قال ابن حجر (في شرح البخاري: اعتصام ب١٥) : إن الذي يُحدِثُ البِدْعَةَ قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمرِ، ولا يَشْعُرُ بما يترتّب عليها من المفسدة، وهو أن يَلْحَقَهُ إثم من عَمِلَ بها بعده، ولو لم يكن هو عَمِلَ بها، بل لكونه كان الأصل في إحداثها» .

١٣- باب: عظم إثم من بَنَى وأسَّسَ مُؤَسَّسَاتٍ للسُّوءِ تُقْتَرَفُ فيها الآثام، فيستمرُّ إثم بانيها ولو بعد موته

يُسْتَدل لذلك بما تقدم آنفاً. وكمن نَصَبَ سكيناً في طريق الناس ليؤذيهم بها فاصابت أحداً بعد موتِهِ.

١٤- باب: عظم إثم أصحاب العُلُومِ المضللة، ودَهَاقِنَةِ المذاهبِ الهدَّامة

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

١٥- باب: تعاظم إثم من يدعو إلى الضلال والفجور، بقدر ما يُفْعَل من الشرّ بدعوته

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَلَيَحْمِلُنَّ

أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

١٦- باب: عظم إثم من كان سببا في تحريم شيء على المسلمين

روى البخاري (اعتصام ب٣) عن سعد بن أبي وقاص: «أن النبي ﷺ قال: إن أَعْظَمَ المسلمينَ جُرْماً من سَأَلَ عن شيءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ من أجل مسألته».

وانظر: (م فضائل ح١٣٢؛ د سنّة ب٦؛ حم ١/ ١٧٦).

✍ قلت: فإذا كان هذا هو جزاء من سأل النبي ﷺ عن شيء لم يحرَّم فحُرِّم ذلك الشيء بسبب سؤاله، فكيف بمن يسارع من أهل العلم إلى تحريم شيء لم يحرِّمه الله تعالى ولا رسوله؟!

❀ ❀ ❀

الجناح التاسع

وسائل لإبطال الإثم إن فعلها العبد بعد وقوع الذنب مُحيَ عنه بها

١. باب: محبة الله تعالى لمغفرةِ ذُنُوبِ المستغفرينَ وذلك مقتضى اسمَيْهِ الغفور والغفّار

قال الله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

وقال الله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحِجْر: ٤٩].

روى مسلم (توبة ح٣١) عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» .

وانظر: (حم٤/ ٣٩٥) .

وروى مُسْلِمٌ (توبة ح٩) عن أبي أيوبَ أنه قال حين حضرتْهُ الوفاةُ: «كُنْتُ كَتَمتُ عنكم شيئاً سمعتُهُ من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبون لَخَلَقَ الله خَلْقاً يذنبون، يَغْفِرُ لهم» .

وانظر: (ت دعوات ب١١٣) .

٢- باب: الاستغفار بعد عمل السوء يمحوه

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُوْلَـئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

روى الإمام أحمد (٢/ ٤٩٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قال رسول الله ﷺ يحكي عن ربه عز وجل: أَذْنَبَ عبدي ذنباً، فقال: يا ربِّ اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عبدي ذنباً فعلم أن له ربّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثلاث مرات، قال فيقول: اعملْ ما شئت قد غَفَرْتُ لك» .

أي: إن عملت ذنباً ثم استغفرتني غفرت لك.

٣- باب: مشروعية صلاة ركعتين للتوبة من الذنب

روى الترمذي (صلاة ب ١٨١) عن علي رضي الله عنه قال: «إني كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاءَ أنْ ينفعَنِي، وإذا حدَّثني رجلٌ من أصحابه استحلفتهُ، فإذا حلَفَ لي صدَّقتهُ، وإنه حدثني أبو بكر، وصدقَ أبو بكر، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: ما من رجلٍ يذنبُ ذنباً ثم يقومُ فيتطَهَّرُ ثم يصلِّي ثم يستغفرُ الله، إلاَّ غفرَ الله له. ثمَّ قرأ هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ الله فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إلى آخر الآية.

قال الترمذي: حديث عليّ هذا حديث حسن.

وانظر: (د وتر؛ ت صلاة ١٨١) .

٤- باب: صيغ استغفار عن النبي ﷺ

روى البخاري (دعوات ب٦٠) عنِ أبي موسى «عن النبيّ ﷺ أنه كان يَدعو بهذا الدعاء: رب اغفرْ لي خَطيئَتي وجَهلي، وإسرافي في أمري، وما أنتَ أعلم به مني، اللهم اغفر لي خَطَئي وعَمدي، وجَهلي وجِدّي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدّمتُ وما أخرت، وما أسرَرْتُ وما أعلَنت، أنتَ المقدمُ وأنت المؤخّر، وأنتَ على كلّ شيءٍ قدير» .

وانظر: (م ذكر ٧٠) .

وروى البخاري (دعوات ب٢) عن شداد بن أوس: «أن النبيّ ﷺ قال: سَيِّدُ الاستغفار أن يقول: اللهمّ أنتَ ربيّ لا إله إلا أنتَ خلَقْتَني وأنا عَبْدُكَ، وأنا على عهدِكَ ووَعْدِكَ ما استَطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، وأبوءُ لكَ بنعْمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي: اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» .

وانظر: (ت دعوات ب١٥؛ ن استعاذة ب٥٧) .

٥- باب: بعض الذنوب لا يغفره الله، وهو الشرك بالله والكفر به

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾[النساء: ٧٤-٨٤].

روى الإمام أحمد (٥/ ١٩١) عن زيد بن ثابت: «أن النبيَّ ﷺ علّمَهُ دعاءً وأمره أن يتعاهَدَ به أهلَهُ كلَّ يوم» فذكر الدعاء وفيه: «اللهمَّ إني أعوذُ بك أن

أَظلِم او أُظلَم، او اعتديَ أو يعتدى عليّ، او اكتسب خطيئةً مُخبِطةً، او ذنباً لا يُغفَرُ» الحديث.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً. إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣٦٢) عن أبي هريرة، قال: «خمسٌ ليس لهن كفّارةٌ: الشِّركُ بالله عز وجل، وقتلُ النَّفسِ بغير حَقٍّ، أو بَهتُ مؤمنٍ، أو الفِرارُ يومَ الزَّحْفِ، أو يمينٌ صابرةٌ يقتطع بها مالاً بغير حق» .

✓ إسناد هذا الحديث ضعيف، فلا يعمل به.

وروى الإمام أحمد (٤/ ٩٩) عن معاوية رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً» .

أقول: قتل المؤمن عمداً ذنب عظيم، ولكن التوبة تكفّره، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلاَّ مَن تَابَ﴾[الفرقان: ٦٩].

وانظر: (د فتن ب٦؛ ن تحريم الدم ب١) .

٦- باب: الموجِبات من الذنوب

روى البخاري (تفسير سورة النور ب٢) عن ابن عباس قصة لعان هلال

ابن أمية زوجَتَهُ وفيها: «فجاء هِلاَلُ بنُ أُمَيّـةَ فَشَـهد، والنبيّ ﷺ يَقُـولُ: إنّ الله يَعْلَمُ أنّ أحدكما كاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟ ثُمّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمّا كانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَفُوها، قَالُوا إنّهَا مُوجِبَةٌ» فقَال ابنُ عَبّاس: فَتَلَكّـأَتْ وَنَكَصـتْ حَتّـى ظَنّنّا أنْ تَرْجِع. ثم قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليَوْمِ. فمضت» الحديث.

وانظر: (د طلاق ب٢٧؛ ن تفسير سورة النور ب٣) .

وروى مسلم (إيمان ح٢١٨) عـن عَبْـدِ الله بْـنِ كَعْـبٍ السُّـلَمي، عَـنْ أَبِـي أُمَامَةَ، أنّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقّ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ الله لَهُ النّارَ وَحَرّمَ عَلَيْهِ الْجَنّةَ» فَقَالَ رَجُلٌ: وَإنْ كَانَ شَيْئا يَسِيرا يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «وَإنْ قَضِيباً مِنْ أَرَاكٍ» .

وانظر: (ن قضاة ب٣٠) .

وروى مسلم (إيمان ح ١٥١) عن جابر قال: «أتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يـا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومـن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار».

٧- باب: تمهيد الله تعالى العذر بالجهالة للعصاة ليتوبوا

قال الله تعالى: ﴿إِنّمَا التّوْبَـةُ عَلَـى الله لِلّذِيـنَ يَعْمَلُـونَ السُّـوءَ بِجَهَالَـةٍ ثُـمّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٨].

أقول: أي لأن العبد حين يفعل الذنب عامداً يكون غافلاً عن مراقبة الله له غير مستحضر لوعيده، وإلا فلو استحضرها وقدر الله حـق قـدره لم يفعـل مـا فعله .

قال القرطبي: قال ابن عباس وغيره: كلُّ ذنبٍ عُصيَ الله به فهو بجهالة، عمداً كانت أو جهلاً . وقال الضحاك ومجاهد: الجَهَالَةُ هنا العمد .اهـ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ أي قبل حضور الموت، بدليل الآية التي بعدها: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [النساء: ١٩].

٨- باب: التوبة النصوح الصادقة تسقط كلَّ ذنبٍ كبيراً أو صغيراً، من الكُفْرِ والشِّرك فما دونهما فهي أعظم المكفِّرات

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤].

٩- باب: التوبة النصوح التي تمحو الذنب هي ما تكون الأعمال بعدها صالحة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَـهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً. إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً. وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى الله مَتَاباً﴾ [الفرقان: ٦٨-٧١].

وقوله: متاباً: أي توبة نصوحاً صادقة لأنه حقق توبته بالعمل الصالح.

وفي الباب حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً وقد ذكرناه في

موضع آخر (ص١٨٧) .

وروى مسلم (توبة ٥٣) حديث توبة كعب بن مالك، وفيه قال: «فلما جَلَسْتُ بين يديه قلت: يا رسول الله إنّ من توبتي أنْ انخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: امسك عليك بعض مالك فهو خير لك. قال فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. قال وقلت: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيتُ. قال فوالله ما علمتُ أن أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا أحسن مما أبلاني الله به» الحديث.

وانظر: (خ زكاة ب ١٨) .

وروى مالك (نذور ح١٦) عن ابن شهاب [الزُهري] أنه بلغه أن أبا لبابة ابن عبد المنذر حين تاب الله عليه، قال: يا رسول الله أَهْجُرُ دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأجاورك، وانخلعُ من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله؟ فقال رسول الله ﷺ: «يجزيك من ذلك الثلث» .

١٠- باب: معنى تبديل سيئات التائب حسنات

روى النسائي (كتاب تحريم الدم ب٢) عَن ابنِ عَبّاسٍ أَنّ قَوْماً كَانُوا قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، وَانْتَهَكُوا، فَأَتَوا النَّبِيّ ﷺ، قَالُوا: يَا مُحَمّدُ. إنّ الّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ لَوْ تُخْبِرُنَا أَنّ لمَا عَمِلْنَاه كَفّارَةً، فَأَنْزَلَ الله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَـهاً آخَرَ﴾ ... إلى أن قال: ﴿فَأُوْلَـئِكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ قال: يبدل الله شركهم إيماناً، وزناهم إحصاناً. ونزلت: ﴿قُلْ يعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ﴾ الآية.

١١- باب: التائبون في توبتهم على مراتب

روى مسلم (حدود ح ٢٢) عن بُرَيدةَ قصةَ رجم ماعزٍ، وفيه «أن النبي ﷺ قال في ماعز: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمّةٍ لوسعتهم».

وقال في الغامدية مثل ذلك.

وروى مسلم (حدود ح ٢٣) عن عمران بن حصين قصة رجم امـرأة مـن جهينة، وفيه أن النبي ﷺ قال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين مـن أهـل المدينة لوسعتهم. وهل وجدتَ توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى» .

وانظر: (د حدود ب٨؛ ت حدود ب٢٢) .

١٢- باب: المدى الذي لا تُقْبَل بعده توبة

روى الإمام أحمد (٢/ ١٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النـبي ﷺ «قال: إن الله تعالى يَقْبَلُ توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ» .

وانظر: (ت دعوات ب ٩٨) .

أقول: وإنما تُقْبَـلُ التوبـةُ مـا دام العبـدُ في حـال التكليـف وفي فـترة قبـول الأعمال الصالحة، وسوف يأتي أن للتوبة أمداً تنتهي إليه ص (٢٣٤).

١٣- باب: الصَّغائرُ وهي اللَّمَمُ مغفورةٌ إذا اجْتُنِبَتِ الكَبَـائِر وأُدِّيَـتِ الفرائِـضُ ومن فَعَل الكبائِرَ يؤاخَذُ بها وبالصَّغائر

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِـي السَّـمَاوَاتِ وَمَـا فِـي الأَرْضِ لِيَجْـزِيَ الَّذِيـنَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى. الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْـمِ

وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِـرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣١، ٣٢].

وقال الله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُّدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١].

١٤- باب جامع: الحَسَنَاتُ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

روى الإمام أحمد (٤/ ١٤٥) عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ إن مَثَل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خَنَقَتْهُ، ثم عمل حسنة فانفكَّتْ حلْقة، ثم عمل حسنة أخرى فانفكت حلقة أخرى، حتى يخرج إلى الأرض» .

١٥- باب: مكفِّرات الصغائر

روى مسلم (طهارة ح ١٤) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أن رسول ﷺ قَالَ: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، إذا لم تُغْشَ الكبائر» .

زاد مسلم في رواية: «ورمضان إلى رمضان».

وانظر: (د طهارة ب ١٢٧) .

١٦- باب: تكفير الذنوب بذكر الله

روى مسلم (مساجد ح ١٤٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «مَنْ سَبَّحَ الله فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَحَمِدَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، وَكَبَّرَ الله ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ. وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» .

وانظر: (خ مساجد ب ١٤٦؛ ذكر ب ٣٧) .

١٧- باب: الطَّهور كفّارة

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٥٦) عن أبي أمامة، قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا توضأ الرجل المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه، فإن قعد قعد مغفوراً له» .

١٨- باب: الصلاةُ كفَّارَةٌ والصدقة كفَّارَةٌ

قال البخاري (مواقيت الصلاة ب٤) : باب الصلاة كفّارة، أورد فيه حديث حُذَيفةَ مرفوعاً: «فتنةُ الرجلِ في أهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ وجارِهِ تكفِّرها الصلاة والصَّوْمُ والصدقَةُ» .

وحديثَ ابن مسعودٍ «أنّ رجلاً أصاب مِن امرأةٍ قُبلةً، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبَرهُ، فأنزلَ الله تعالى: ﴿وأقم الصلاةَ طَرَفَيِ النهار وزُلَفاً من الليل إن الحَسَناتِ يُذهِبْنَ السيِّئات﴾[هود: ١١٤]. فقال الرجل: يا رسول الله: ألي هذا؟! قال: لجميع أمتي كلِّهم» .

١٩- باب: فَضْلِ الصَّدَقَةِ مِنْ جِهَةِ تكفيرِ السَّيِّئات وخاصة صدقةَ السِّرِّ

قال الله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

روى الإمام أحمد (٣/ ٣٢١) عن جابر بن عبد الله، قال: «قال النبي ﷺ لكعب بن عجرة: يا كعب بن عجرة: الصومُ جُنّة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار» .

وفي رواية الترمذي (زكاة ب٢٨) عن أنس بن مالك مرفوعاً: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب كما يطفئ الماء النار» .

وانظر: (ت إيمان ب٨، جمعة ب٧٩) .

٢٠- باب: الحج والعمرة يكفِّران ما بينهما من الذنوب الصغائر

روى البخاري (عمرة ب١) من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «العمرةُ إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما، والحجُ المبرورُ ليسَ له جزاء إلا الجنة».

وانظر: (م حج ٤٣٧؛ ت حج ب٢؛ ن حج ب٣) .

قال ابن حجر: أشار ابن عبد البر إلى تكفير الصغائر دون الكبائر، قال: وذهب بعض العلماء في عصرنا إلى تعميم ذلك ثم بالغ في الإنكار عليه.

قال ابن حجر: استشكل بعضهم كون العمرة كفارةً مع أن اجتناب الكبائر مكفِّر، فماذا تكفر العمرة؟ قال: والجواب: أن تكفير العمرة مقيَّدٌ بزمنها، وتكفير الاجتناب عام لجميع عُمْر العبد، فتَغَايرا من هذه الحيثية اهـ.

قلت: ولم يحلَّ الإشكال.

٢١- باب: ما ورد أن كلَّ عملٍ صالحٍ يكفِّر به من ذنوب فاعله إلا الصيام، فلا يكفَّر به شيء من الذنوب، بل أجره محجوز لصاحبه عند الله

روى الإمام أحمد (٢/ ٤٦٧) عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: كلُّ العَمَلِ كَفَّارةٌ إلاّ الصومَ، والصَّومُ لي، وأنا أجزي به» .

وروى البخاري (توحيد ب٥٠) عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، يرويه عن ربكم، قال: «لِكُلِّ عملٍ كفَّارَةٌ. والصومُ لي وأنا أجزي به» .

وفي رواية أخرى عند البخاري (لباس ب٧٨) «كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به» .

٢٢- باب: القتل في سبيل الله يمحو الذنوب كلها والكفر والنفاق لا يمحوهما إلا الإيمان

وباب أن أعمال الكافر والمنافق السيئة لا يكفِّرها شيء.

روى الدارمي (جهاد ب١٩ صفة القتل في سبيل الله) عن عتبة بن عبدٍ السُّلمِيِّ، قال: «قال رسول الله ﷺ: القتلى ثلاثةٌ: مؤمنٌ جاهدَ بنفسِهِ ومالِهِ في سبيلِ الله، إذا لقيَ العدوّ قاتَلَ حتّى قُتِلَ. قالَ النبيّ ﷺ فيهِ: فذلِكَ الشهيدُ المتحَنُ، في خيمةِ الله تحتَ عرشِهِ، لا يفضلُهُ النبيونَ إلا بدرجةِ النبوةِ. ومؤمنٌ خلطَ عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً جاهدَ بنفسِهِ ومالِهِ في سبيلِ الله، إذا لقيَ العدوَّ قاتلَ حتّى يُقتلَ. قالَ النبيّ ﷺ فيه: فتلكَ مُصْمَصَةٌ محَتْ ذنوبَهُ وخطاياه، إنّ

السيفَ محّاءٌ للخطايا، وأُدخِلَ الجنةَ من أي أبوابِ الجنةِ شاءَ. ومنافقٌ جاهدَ بنفسِهِ ومالِهِ، فإذا لقـيَ العـدوَ قـاتلَ حتـى قُتِـلَ، فـذاكَ في النـارِ، إنّ السيـفَ لا يمحـو النفاقَ».

إسناده ضعيف وانظر (حم ٤/ ١٨٥).

٢٣- باب: ذنوبٍ حدَّدَ الشَّرْعُ لها أعمالاً معينةً صالحةً تُفعَلُ وُجُوباً لتكون كفاراتٍ لها

قال الله تعالى: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ الله بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَـكِن يُؤَاخِذُكُـم بِمَـا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُـوا أَيْمَـانَكُمْ كَذَلِـكَ يُبَيِّـنُ الله لَكُـمْ آيَاتِـهِ لَعَلَّكُـمْ تَشْـكُرُونَ﴾ [المائدة:٨٩].

وقال تعالى: ﴿يَـاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُـواْ الصَّيْـدَ وَأَنتُـمْ حُـرُمٌ وَمَـن قَتَلَـهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيـاً بَـالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْـرِهِ عَفَـا الله عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ الله مِنْهُ وَالله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

٢٤- باب: من عفَا عمّن أساءَ إليه بعد المقدرة على الانتقام كان سـبباً في عفـوِ الله عنه

قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْـفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُـرُوحَ قِصَاصٌ فَمَـن تَصَـدَّقَ بِـهِ فَهُـوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ الله فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُوْلُواْ الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُواْ أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ الله وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُواْ أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[الشورى: ٤٠].

٢٥- باب: لا ينفع العمل الصالحُ صاحبه ولا تنفع المسيء توبته بعد ظهور أيِّ آية من الآيات الكبرى لقيام الساعة.

قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾[الأنعام: ١٥٨].

الجناح العاشر

كيفية سلوك الصالحين مع من يفعل المعاصي

١- باب: يبدأ المؤمن بنهي العاصي عن المنكر

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

٢- باب: ينبغي للمؤمن كراهيةُ العاصي بقدر معصيته إن لم يكن له على العاصي سلطان يتمكّن به من كفّه عن المعصية

روى مسلم (إيمان ح ٧٨) عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبهِ، وذلك أضْعَفُ الإيمان» .

٣- باب: المؤمن يكره عمل المُفسِدِينَ وينهى عنه

قال الله تعالى حكايةً عن لوطٍ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ. رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٨].

«القالين» : يعني الكارهين .

٤- باب: السعي لإزالة المنكرات الاجتماعيةِ المستمّرةِ أو المعلَنَةِ أو شبه المعلنة، بالوسائل الناجعة

قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٥].

٥- باب: تجنُّب مجالسةِ أهل المعاصي وهم عليها

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قوله في الآية: ﴿فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ أي بعد أن تتذكر النهي.

قال القرطبي: روي عن مجاهد في تفسيرها: هم الذين يستهزئون بكتاب الله، نهاه الله عن أن يجلس معهم، إلا أن ينسى، فإذا ذَكَرَ قام .اهـ.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَـكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٦٩].

أي انكم أُمِرْتم بالإعراضِ عنهم لا لأنَّ فعلَهُمُ السيّئ يعود شيء من ضَرَرِهِ عليكُمْ إذا لم ترضوا به، بل ليكون إعراضُكُمْ تذكيراً لهم بسوء حالِهِمْ.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ

إذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً﴾[النساء: ١٠٤].

قال القرطبي: دلت الآية على وجوبِ اجتنابِ أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر، لأن من لم يجتنبْهم فقد رضي فعلهم. ومن جلس في مجلسِ منكرٍ ولم ينكر عليهم يكون مثلهم في الوزر. فإن لم يقدر على الإنكار عليهم فينبغي أن يقوم عنهم لئلا يكون مثلهم. اهـ.

قلت: هذه مسألة ينبغي ضبطها، فأهل المعصية لا يلزم القيام عنهم في حال عدم مباشرتها، فلا تحرم معاملَتُهم ومجالسَتُهُمْ على الحلال. وكذا لو كانوا ملابسين للمعصية في أبدانهم أو بيوتهم، ونحوها، فلا يحرم دخول كنيسةٍ فيها تماثيل وصلبان. أما أثناء مباشرة المعصية عمليّاً فيلزم الإنكار عليهم أو مفارقتهم في الحال، وخاصة إن كانوا في حال دعايتهم ضد الإسلام أو الاستهزاء به، وفي هذا بعينه نزلت الآية.

وفي قول: يخرج المدعوّ إن رأى في مكان الدعوة صوراً معلّقة محرّمة، ولم يقدر على إزالتها بالإنكار على الداعي .

وروى الإمام أحمد (١/ ٢٠) بإسناده عن قاصّ الأجناد بالقسطنطينية: سمعَ عُمَرَ بن الخطاب قال: «يا أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدنَّ على مائدة يُدَارُ عليها بالخمر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بإزار، ومن كانت تؤمن بالله واليوم الآخر فلا تدخل الحمام» .

وانظر: (د أطعمة ب١٨؛ ت أدب ب٤٣) .

٦- باب: الهَجْر والمقَاطعة هي من وسائل تقويم العصاة إن ظُنَّ نفعها

روى البخاري (مغازي ٨٠) عن كعب بن مالك قصة غزوة تبوك وفيها أن كعباً واثنين آخرين معه من أهل الدين والصلاح تخلفوا دون عذر وتخلفّ أيضاً كثير من المنافقين وغيرهم، قال كعب: « فجاء المخلّفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل النبي ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووَكَلَ سرائرهم إلى الله تعالى» .

ثم قال : « ونهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة. فاجتَنبنا الناسُ وتغيّروا لنا حتى تنكّرت لي الأرض...، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة» ثم ذكر توبة الله عليه وعلى صاحبيه . وقصة الحديث طويلة . فارجع إليها إن شئت.

٧- باب: ترك الركون إلى الكفار والفاسقين

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣] .

روى الترمذي (تفسير سورة المائدة: آية ٧٨) عن أبي عبيدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا وَقَعَ فِيهِمُ النَّقْصُ كَانَ الرَّجُلُ يَرَى أَخَاهُ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَنْهَاهُ عَنْهُ، فَإِذَا كَانَ الغَدُ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا رَأَى مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَخَلِيطَهُ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ. وَنَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ فقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فقرأ حتى بلغ : ﴿وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال: وَكَانَ النبي ﷺ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ فَقَالَ: «لاَ، حَتَّى تَأْخُذُوا عَلَى يَدِ الظَّالِمِ فَتَأْطِرُوهُ عَلَى الْحَقِّ أطراً» .

هذا الحديث ضعيف . ولو صحّ لكان معنى النهي عن أن يكون أكيل العاصي وشريبه وخليطه أن ينزع من قلبه كراهة ما عمل العاصي حتى تكون بينهما الموادّة والمعاشرة كالتي تكون بين الصالحين .

وانظر: (د ملاحم ب١٠٧؛ جه فتن ب٢٠) .

٨- باب: هجر صاحب المعصية الكبيرة تأديباً له إن كان الهجر له أنجع

فيه قصة كعب بن مالكٍ وصاحِبَيْهِ عِنْدَمَا تَخَلَّف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فقاطَعَهُمُ النبيُّ ﷺ والمسلمون خمسين ليلة حتى نزلت التوبة عليهم من الله تعالى بعد أن حصلت منهم التوبة الصادقة.

تنظر القصة المذكورة -وهي طويلةٌ- في صحيح البخاري (مغازي ب٨٠) وصحيح مسلم (توبة ح٥٣) ونقلها النووي في أوائل رياض الصالحين.

٩- باب: السَّتْرِ على صاحب الزّلة (الخطيئة لأول مرة)

روى البخاري (مظالم ب٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُرْبةً فرّج الله عنه بها كربةً من كُرَبِ يوم القيامة، ومن ستَر مسلماً ستره الله يوم القيامة» .

وانظر: (م برّ ح٥٨، ٧٢، ذِكْر ح٣٨) .

وروى الإمام أحمد (٥ / ٢١٧) عن نُعَيْمِ بن هزّالٍ، قال: «كان ماعِزُ بن مالك في حجر أبي، فأَصَابَ جاريةً من الحيِّ، فقال له أبي: ائت رسولَ الله ﷺ فأخْبِرْهُ بما صنعت ...الحديث فذكر أنه رُجم... إلى أن قال: إن رسول الله ﷺ

قال لأبي حين رآه: «والله يا هزَّالُ لو كُنْتَ سَتَرْتَه بثوبِك لكان خيراً لك» .

وانظر: (ط حدود ح٣؛ د حدود ب٦؛ حم ٥/ ٢١٧) .

أي لكان خيراً لك مما وقع من أمرك له بالمجيء إلى النبي ﷺ والاعتراف بالذنب حتى أقيم عليه الحدّ.

❀ ❀ ❀

القسم الثالث

المجازاة على الأعمالِ حَسَنِها وسيِّئها

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ﴾ إلى قوله: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٣-١٦].

وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾ [النساء: ١٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

٢- باب: مِنْ عَدْلِ الله تعالى عدم التَّسوية بين أهلِ الإيمان والعملِ الصالحِ وبين أهلِ الكفرِ والفسوقِ والعصيان في الآخرة والدنيا

قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص : ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٤، ٣٥].

٣- باب: لا يضيع على العامل عمله في أي أرض كان وفي أي موقع

روى مسلم (إمارة ح٨٧) ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «أَنَّ أَعْرَابِيّاً سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ! إِنَّ شَأْنَ الْهِجْرَةِ لَشَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَهَلْ تُؤْتِي صَدَقَتَهَا؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَاعْمَلْ مِنْ

وَرَاءِ الْبِحَارِ، فَإِنَّ الله لَنْ يَتِرَكَ، مِنْ عَمَلِكَ شَيْئاً» .

وانظر: (خ زكاة ب٣٦) د جهاد ب١؛ ن بيعة ب١١) .

قوله: «لن يَتِرَكَ» يعني : لن يَنْقُصَكَ.

٤ ـ باب: الجزاء على الصبر على المصائب واحتسابها عند الله

روى البخاري (رقاق ب٦) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: «ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ إذا قبضت صفيَّهُ من الدُّنيا ثم احتَسَبَهُ إلا الجنّة» .

وانظر: (ت زهد ب٥٨؛ حم٢/٤١٧) .

قوله : «احتَسَبَهُ» أي صبر على فقدِهِ راجياً الأجر فيه من الله على ذلك. وقد استدل ابن بطّال بالحديثِ على أن من ماتَ له ولد واحد يلتحق بمن مات له ثلاثة.

والصفيُّ أعمُّ من أن يكون ولداً أو غيره اهـ. (فتح الباري: بتصرف) .

وروى الترمذي (زهد ب٥٧) عن أنس، قال: «قال رسول الله ﷺ: إنّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلاَءِ، وإنّ الله إذا أَحَبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سَخِطَ فله السُّخْط» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الجناح الأول

إحصاء الأعمال والأقوال وكتابتها لتعرض يوم القيامة على الله

١- باب: إحصاء الله تعالى أعمالَ بني آدم خيرها وشرّها ليكون عليها الجزاء

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً. فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ [النبأ: ٢٩، ٣٠].

روى مسلم (برّ ح٥٥) عن أبي ذرّ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربّه تباركَ وتعالى، الحديثَ وفيه: «يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا. فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللهَ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَه».

٢- باب: وَكَّلَ الله تعالى بالنّاسِ ملائكةً يكتبون أعمالهم لأجل الإحصاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

٣- باب: مَعَ كلِّ إنسانٍ من الناس كاتِبان من الملائكة يتلقَّيان قوله وعمله فيكتبانه: أحدهما يكتب الحسنات، والآخر يكتب السيئات

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٦- ١٨].

٤- باب: حديثُ النفس بالشرِّ لا يكتب في الصحف إلا إذا تكلّم به أو عمله

روى البخاري (إيمان ب١٥) عن أبي هريرة يرفَعُهُ قال: «إن الله تجاوزَ لأمّتي عمّا وسوست- أو حدَّثت- به أنفسَها ما لم تعملْ به أو تكلَّمْ» .

وانظر: (م أيمان ح٢٠٢؛ د طلاق ب٨) .

٥- باب: تكتب الملائكة الفعل الحسن بعشرة أمثاله فأكثر، وتكتب الفعل السيئ بمثله لا أكثر

قال الله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[الأنعام: ١٦٠].

روى مسلم (إيمان ح٢٠٧) عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إِنّ الله كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسّيِّئَاتِ، ثُمّ بَيّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمّ بِسَيّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً. وَإِنْ هَمّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ سَيّئَةً وَاحِدَةً» .

٦- باب: يُكْتَبُ الهَمُّ بالفِعْل الحسن حسنةً واحدة وإن لم يعملها، ويكتب الهم بالسيّئ إن تركه لله حسنة واحدة، فإن تركه لعارض فلا شيء

روى مسلم (إيمان ح٢٠٥) عن أبي هُرَيْرَةَ عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُول الله ﷺ أنه قَالَ: «قَالَ الله عَزّ وَجَلّ: إذَا تَحَدّثَ عَبْدِي بِأنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأنَا أكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإذَا عَمِلَهَا فَأنَا أكْتُبُهَا بِعَشْرِ أمْثَالِهَا. وَإذَا تَحَدّثَ بِأنْ يَعْمَلَ سَيّئَةً فَأنَا أغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإذَا عَمِلَهَا فَأنَا أكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا» .

وقد تقدمت الرواية: أنه إن تركها حياء من الله وخوفاً منه تكتب له حسنة كاملة قال: «إنما تركها من جرّاي» أي لأجلي.

٧- باب: ما قيل من أن الهمّ بالسَّيِّئة بمكة يعاقب عليه صاحبه

قال القرطبي (في تفسيره ١٢/ ٣٥) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥]: ذهب قوم منهم الضحاك وابن زيد إلى أن هذه الآية تدل على أن الإنسان يعاقَبُ على ما ينويه من المعاصي بمكة وإن لمْ يَعْمَلهُ. قال: وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر، قالوا: لَوْ هَمَّ رجلٌ بقتلِ رجلٍ بهذا البيت وهو بِعَدَنِ أَبْيَنَ لعذّبه الله.

٨- باب: : من عزم على الفعل السيِّئ وأنفذه لكن لم يصل إلى ما يريد لعجزه عن بلوغ مراده يكتب كأنه عمله

روى مسلم (فتن ح١٤) عن أبي بكرة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا تواجَهَ المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه أراد قتل صاحبه».

٩- باب: يكتب في الصحف العمل الصالح ولو لم يُعْمَلْ، إن كان إنما تُرِكَ لعذر المرض أو السفر

روى الإمام أحمد (٢/ ٢٠٥) عن عبد الله بن عمرو، قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا اشتكى العَبْدُ المُسْلمُ قيل للكاتبِ الذي يكتُبُ عمله: اكتب له مِثْلَ عملِهِ إذْ كانَ طليقاً، حتى أَقْبِضَهُ أو أُطْلِقَهُ» .

وروى البخاري (جهاد ب١٣٤) عن إبراهيم أبي إسماعيلَ السَّكْسَكيِّ، قال: سمعتُ أبا بُردةَ، واصطَحبَ هو و يزيدُ بنُ أبي كَبشةَ في سَفر، فكان يزيدُ يصومُ في السفرِ، فقال لهُ أبو بُردةَ: سمعتُ أبا موسى مِراراً يقول: «قال رسولُ الله ﷺ: إذا مرضَ العبدُ أو سافرَ كُتِبَ لهُ مثلُ ما كانَ يعملُ مُقيما صحيحاً» .

١٠- باب: كيفَ تُكْتَبُ الصلاةُ التي لا يُقيمُها صاحبها

روى أبو داود (صلاة ب١٢٤) عن عمار بن ياسر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الرجل لَيَنْصَرِفُ وما كُتِبَ له إلا عُشْرُ صلاتِهِ، تُسُعُها، ثُمُنُها، سُبُعُها، سُدُسُها، خُمُسُها، رُبُعُها، ثُلُثُها، نِصْفُها» .

١١- باب: رفع العمل الصالح إلى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

روى مسلم (إيمان ح٢٩٣) عن أبي موسى قال: «قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: «إِنّ الله لاَ يَنَامُ، وَلاَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النّهَارِ، وَعَمَلُ النّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللّيْلِ.

حِجَابُهُ النّورُ.لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» .

وانظر: (حم ٤/ ٣٩٥) .

قال ابن قتيبة: القِسْط الميزان. وقال صاحب العين والهروي: سُبُحاتُ وجهه: نوره وجلاله وبهاؤه.

١٢- باب: عَرْض الأعمال على الله تعالى كل اثنين وخميس

روى النسائي (صيام ب٧٠) عن أسامة بن زيد، قال: «قلت: يا رسول الله، إنك تَصُوم حتى لا تكاد تفطر، وتُفْطِرُ حتى لا تكاد أن تصوم، إلا يومَيْن إن دخلا في صيامِكَ وإلا صُمْتَهما. قال: أيُّ يومين؟ قلت: يومُ الاثنين ويوم الخميس. قال: «ذانِكَ يومَان تُعْرَضُ الأعمال فيهما على ربّ العالمين، فأُحِبُّ أن يُعْرَضَ عملي وأنا صائم» .

وانظر: (حم٥/ ٢٠١) .

وروى مسلم (برّ ح٣٦) عن أبي هريرة رَفَعَهُ، قال: «تُعْرض الأعمال في كل يوم خميسٍ واثنين، فيغفر الله في ذاك اليوم لكل امرئ لا يُشْرِكُ بالله شيئاً، إلا امرأً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اتْركُوا هذين حتى يصطلحا» .

وانظر: (حم ٢/ ٢٦٨) .

١٣- باب: كتابة تبكير الناس إلى المساجد يوم الجمعة الأول فالأول

روى الإمام أحمد (٥/ ٢٦٠) عن أبي أمامة قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: تَقْعُدُ الملائِكَةُ على أبواب المساجد، فيكتبون الأول والثاني والثالث، حتى إذا خرج الإمام رُفِعَت الصحف» .

وانظر: (حم ٢/ ٢٨٠، ٥١٢و ٥/ ٢٦٣؛ ن جمعة ب ١٣) .

١٤- باب: إذا رُفعتِ الأعمال يَمْحُو الله تعالى مما كَتَبَهُ الحَفَظَةُ ما تاب منه العبد، وما ليس فيه ثوابٌ ولا عقاب، وما شاء تعالى أن يغفره من ذنوب الموحّدين

قال الله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩].

قال سعيد بن جبير: أي يَغْفِرُ ما يشاءُ من ذنوبِ عبادهِ، ويَتْرُكُ ما يشاء فلا يغفره. وقال عكرمة: يمحو الله ما يشاءُ- يعني بتَوْبَةِ العبد منه- جميع الذنوب، ويثبت بدل الذنوب حسنات. وقريب من هذا قول الحسن البصري في تفسيرها.

وقال الضحاك: يمحو الله من ديوان الحفظةِ ما كَتَبُوهُ مما ليس فيه ثواب ولا عقاب.

وقال الكلبي: يكتب الحفظة أقوال العبد كلها. ثم يطرح منه كل شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب.

(تفسير القرطبي ٩/ ٣٣١، ٣٣٢) وفي تفسير الآية أقوال غير هذه.

وروى الإمام أحمد (٢/ ٣١٩) عن أبي هريرة: «أن رسول الله ﷺ قال: مِنْ حين يخرجُ أحدكم من بيتِهِ إلى مسجدِهِ فرِجْلٌ تكتُبُ حَسَنَة، والأخرى تمحو سيئة» .

وروى مسلم (طهارة ب ٤١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: أَلاَ

أَدُلّكم عَلَى مَا يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله! قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ. وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ. وَانْتِظَارُ الصّلاَةِ بَعْدَ الصّلاَةِ. فَذَلِكُمُ الرّبَاطُ» .

١٥- باب: الملائكة ينسخون الأعمال من الصحف

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩، ٣٠].

١٦- باب: تثبيت ما يبقى في صحيفة أعمال الإنسان في (إمام مبين) وهو (أم الكتاب)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

١٧- باب: ختم كتاب أعمال الإنسان بموته فلا يزاد فيه إلا الآثار، ولا ينقص منه، حتى يخرج له يوم القيامة

تقدم القول في الختم على عمل الإنسان بموته (ص ٣٤) .

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

قال القرطبي: توعدهم الله بذكرِهِ كتابةَ الآثارِ، وهيَ كل شيءٍ يَصْنَعُه الإنسان. قال: آثار المرء التي تبقى وتذكر بعد الإنسان من خير أو شر يجزى بها

من أثر حسن: كعلمٍ علموه، أو كتابٍ صنَّفُوهُ، أو بناءٍ بنوهُ من مسجدٍ أو رباطٍ أو قنطرة أو نحو ذلك، أو أثرٍ سَيِّئٍ كوظيفةٍ [ماليَّةٍ] وظَّفها ظالم على المسلمين، اوسِكَّةٍ أحدثها فيها تخسيرهُمْ، أو شيءٍ أحْدَثَهُ فيه صَدٌّ عن سبيل الله. وكذا كل سُنة حسنة أو سيئة يستن بها.

وقيل في تفسير الآية غير ذلك.

١٨- باب: عرض بعض أعمال المسلمين على النبي ﷺ

روى أبو داود (وتر ب ٢٦) عن أوْسِ بنِ أوْسٍ، قال: «قال النبي ﷺ: إنّ مِنْ أفْضَلِ أيّامِكُم يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فأكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصّلاَةِ فِيهِ، فإنّ صَلاَتَكُم مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ. فقالُوا: يا رسولَ الله وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أرِمْتَ؟ قال: يَقُولُونَ: بَلِيتَ. قال: إنّ الله عَزّ وَجَلّ حَرّمَ عَلَى الأرْضِ أجْسَادَ الأنْبِيَاءِ» .

وانظر: (د صلاة ب ٢٠١؛ ن جمعة ب ٥) .

❀ ❀ ❀

الجناح الثاني

الجزاء الدنيوي على أعمال الخير وأعمال السوء

١- باب: الجزاء على الأعمال السيِّئة مُسْتَحَقٌّ التعجيل في الدنيا، لكن لا تتحمله الأرض ولا الجبال، ولو جاء كاملاً لفني كل شيء من الناس والحيوان، فاقتضتْ رحمة الله تعالى وحكمته تأخيرَهُ إلى موعِدِهِ في الآخرة ليتم أمر الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾ [الكهف: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً﴾ [فاطر: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً. لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً. تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً. أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً. وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

٢- باب: قد يثيب الله تعالى على الأعمال الصالحة في الدنيا، مع ما يدخر لصاحبها يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

وقال تعالى في حق إبراهيم عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

أي أعطاه الله تعالى في الدنيا من المالِ والمَتَاعِ والأولادِ بسبب هجرته عن وطنه وقومه في سبيل الله تعالى ما كان عوضاً له عما تركه لله (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) أي الكاملين في الصلاح المستحقّين لتوفير الأجر وكثرة العطاء من الله تعالى.

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

٣- باب: هل ينقص ثواب الآخرة بما يعجّل لصاحب العمل الصالح من الطيبات في الدنيا؟

روى البخاري (مغازي ب١٧) عن عبدالرحمن بن عوفٍ أنه أُتيَ بطعام، وكان صائماً، فقال: «قتِلَ مُصعَبُ بن عُميرٍ وهو خيرٌ مني: كُفّنَ في بُردةٍ، إن

غُطيَ رأسه بَدَت رجلاه، وإن غُطيَ رجلاه بَدا رأسه، ثم بُسِطَ لنا من الدنيا ما بسط. أو قال: أُعطِينا مـنَ الدّنيـا مـا أُعطينـا، وقـد خَشِينا أن تكـونَ حسناتنا عُجّلَت لنا. ثم جعلَ يبكي حتى ترَكَ الطعامَ» .

وروى مسلم (إمارة ح١٥٣) عَنْ عَبْدِ الله بْـنِ عَمْـرو: «أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَالَ: مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ الله فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ إِلاَّ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الآخِرَةِ. وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ. وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ» .

وفي رواية (ح١٥٤) : قال بـدل آخـره: «ومـا مـن غازيـةٍ أو سَـرّيةٍ تَخْفِقُ وتُصَابُ إلا تَمَّ أجورهم» .

وانظر: (د جهاد ب١٢) .

وروى البخاري (جنائز ب٢٧) عن خبّابٍ رضي الله عنـه، قـال: «هاجَرْنا مع النبيِّ ﷺ نلتَمِسُ وَجْهَ الله، فوقَعَ أجْرُنا على الله، فَمِنَّا من ماتَ لم يأكُلْ مـن أجرِهِ شَيئاً، ومنّا من أينَعَتْ له ثَمَرَتُه فهو يَهْدِبُها» .

قال ابن حجر (فتح ٢٧٨/١١) : مقتضى الخبر أنه يحسب عليهم ما وصل إليهم من مال الدنيا من ثوابهم في الآخرة . ا هـ.

أقول: لعلّ الذي يحسب ليس ما وصل إليه. بل ما أنفقه على وجه الـترف والإسراف والملاذّ والرياش. والله أعلم.

٤- باب: الكافر يطعم بحسناتٍ ما عمل لله في الدنيا، ولا يدّخـر لـه إلى الآخرة شيء

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي

حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

وروى مسلم (منافقين ح٥٦) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مُؤْمِناً حَسَنَةً: يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدّنْيَا وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الاخرة. وامّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا للهِ فِي الدّنْيَا. حَتّىَ إِذَا أَفْضَىَ إِلَىَ الآخِرَةِ. لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» .

٥- باب: عقوبة الكفار والمفسدين قد يكون بعضها في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

٦- باب: قد يعاقب المؤمن على سيئته في الدنيا فيتطهر بذلك

روى البخاري (حدود ب١٤) عن عُبادَةَ بن الصامت، قال: بايعتُ رسول الله ﷺ في رهط فقال: « أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفّارة له وطهور، ومن ستره الله فذلك إلى الله، إن شاء عذبّه وإن شاء عفا عنه».

وروى الترمذي (زهد ب٥٧) عن أنس قال: «قال رسول الله ﷺ: إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدُنيا. وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٧- باب: أحرى الذنوب بالعقوبة الدنيوية

روى الترمذي (قيامة ب٥٧) عن أَبي بَكْرَةَ، قال: «قالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ في الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ».

قالَ الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

٨- باب: لا ينبغي للمؤمن أن يدعو الله بأن يعاقبه على ذنوبه في الدنيا بل يسأل الله العفو والعافية

روى مسلم (ذكر ح٢٣) عَنْ أَنَسٍ: « أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: سُبْحَانَ الله، لاَ تُطِيقُهُ. أَفَلاَ قُلْتَ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ» قَالَ: فَدَعَا الله لَهُ فَشَفَاهُ الله.

٩- باب: من يصيبه شيء من العقوبة الدنيوية ليكون مذكّراً له

قال الله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: ٢١].

١٠- باب: من الجزاء الدنيوي لبعض السيئات الطبع على قلوب أصحابها، وهم المكابرون والمنافقون

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ. اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ١-٣].

الجناح الثالث

الجزاء الأخروي على الأعمال

١- باب: بشرى المؤمن بعمله الصالح عند الموت وبشرى الكافر بعمله السيئ عند الموت

روى الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧) عن البراء بن عازبٍ قال: «خرجنا مع النبيِّ ﷺ في جنازة رجل من الأنصار» فذكر الحديث - وهو حديث طويل في عذاب القبر - إلى أن قال: «إن العَبْدَ المؤْمِنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبال من الآخرة نَزَل إليه ملائكة» الحديث إلى أن قال: «ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربّ أقم الساعة» الحديث ثم ذكر فيه العبد الكافر إلى أن قال: «ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربّ لا تقم الساعة» .

٢- باب: ما يكون من جزاء الأعمال في البرزخ [١]

قال الله تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

(١) البرزخ هو الفترة بين موت الإنسان وبين قيام الساعة.

الْعَذَابِ. النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦، ٤٧].

٣- باب: تعذيب أهل القبور في القبور ببعض أعمالهم

وبابُ التخفيف عن بعض أهل القبور بالشفاعة.

روى البخاري (وضوء ب٥٥) عنِ ابنِ عبّاس، قال: «مَرّ النبيّ ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينةِ، أو مكةَ، فسمِعَ صوتَ إنسانَين يُعذّبان في قُبورهما. فقال النبيّ ﷺ: يُعذّبان، وما يُعذّبان في كَبيرٍ. ثم قال: بَلى، كان أحدُهما لا يَستَتِرُ من بولِهِ، وكان الآخَرُ يَمشي بالنميمَةِ. ثم دَعا بجَريدةٍ فكَسرَها كِسْرَتَيْن، فوَضَعَ على كلّ قبرٍ منهما كِسرَة. فقِيلَ له: يا رسولَ الله لِمَ فَعلتَ هذا؟ قال: «لعلّهُ أنْ يُخفّفَ عنهما ما لم تَيْبَسا» أو: «إلى أنْ تَيْبَسا» .

وانظر: (م طهارة ح١١١) .

وفي رواية عند كل من البخاري ومسلم قال: «كان لا يستنزه من بوله» بدل قوله «لا يستتر».

٤- باب: استحقاق المؤمنين الصالحين دخول الجنة بما كانوا يعملون تسبُّباً وجزاءً، وأصل ذلك برحمة الله وتوفيقه تفضلاً

قال الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١].

وقال: ﴿أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً.

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً﴾ [الفرقان: ٧٥].

وقال: ﴿قُلْ أَذلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً. لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْئُولاً﴾ [الفرقان: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُوْلَـٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ. ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ. عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ. مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ. يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ. بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ. لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ. وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ. وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ. وَحُورٌ عِينٌ. كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ. جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-٢٤].

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

٥- بـاب: العملُ الصالحُ بذاته، مهما كانت نوعيته، ومهما عظم مقداره، ليس كافياً ثمناً لنِعم الله تعالى على العبد ولدخول الجنة

روى البخاري (رقاق ب١٨) عن عائشة: «أن رسول الله ﷺ قال: سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، واعلموا أن لَنْ يُدْخِلَ أحدَكم عملُهُ الجَنَّةَ. وإنّ أحبَّ الأعمـال إلى الله

أدْوَمُها وإن قلّ» .

وانظر: (م منافقين ح٧٢، ٧٥) .

قال المقريزي: «الأعمال أسبابٌ موصِلَةٌ إلى الثَّواب، وهــي مـن تَوْفِيـق الله وفَضْلِه، وليست قَدْراً لجزائِهِ وثوابِهِ، بل غايتُها إذا وقعت علـى أكمـل الوجـوه أن تكون شكراً على أحد الأجزاء القليلة من نعمه تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والحديث «لَنْ يَدْخُلَ أحدٌ منكم الجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» لا تَنَافِي بينهما، لأن المنفيّ باءُ العِوضَ، فليسَتِ الجنَّة مُسْـتَحقَّةً لأهلهـا بمجرد الأعمال، والباءُ المُثْبَتَةُ في القرآن باء السببية، فهم يدخلـون الجنـةَ بسـبب أعمـالهم اهــ.» أي لأن الله وَعَدَهـا المؤمنـين الذيـن عملـوا الصالحـات، لا أن العمل الصالح كافٍ لأن يكون ثمناً للجنة. (تجريد التوحيد ص٧٦) .

٦- باب: العَمَلُ الصالح من الكافِرِ قد يُخَفِّفُ به عنه من عذابه في النار

روى البخاري (مناقب ب٤٠) عن العباس بن عبد المطلـب: «قـال: قلـت للنبي ﷺ: ما أَغْنَيْتَ عن عمِّك؟فإنه كان يَحُوطُكَ ويَغْضَبُ لكَ ؟ قـال: هـو في ضَحْضَاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأسفلِ من النار» .

وعن أبي سعيد الخدري: «أنه سمع النبي ﷺ- وذُكِـرَ عنـده عمُّـه- فقـال: لعله تَنْفَعُهُ شفاعتي يومَ القيامةِ، فيُجْعَلَ في ضَحضاحٍ من النار يبلغ كَعْبيهِ يغلـي منه دماغه» .

٧- باب: أثر الأعمال في مواقف الحشر

روى مُسْلم (جَنّة ح٦٢) عن الْمِقْدَادِ بنِ الأَسْـوَدِ، قَـالَ: «سَـمِعْتُ رَسُـولَ

اللهِ ﷺ يَقُولُ: تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ. قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً» .قَالَ وَأَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ إلى فِيهِ.

وانظر: (ت قيامة ب٢) .

وروى البخاري (وضوء ب٤) عن أبي هريرة، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أُمَّتِي يُدْعَوْن يومَ القيامةِ غُرًّا مُحَجَّلينَ من آثار الوضوء» .

وانظر: (م طهارة ح٣٥) .

٨- باب: من يَسْتَظِلُّ في الموقف بظلِّ عمله

روى مسلم (زكاة ح٩١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «عَنِ النبي ﷺ قَالَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلاَّ ظِلُّهُ: الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمُ شماله مَا تُنْفِقُ يمينه، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ» .

وانظر: (خ أذان ب٣٦) .

وروى مسلم (برّ ح٣٧) عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ إنّ الله يَقُولُ يومَ القيامةِ: أينَ المُتَحابُّون بِجَلاَلي: اليومَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يومَ لا ظلَّ إلا ظلّي» .

وانظر: (ط شِعر ح١٣) .

وروى الإمام أحمد (١/ ٢٠) عن الإمام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أظل رأس غازٍ أظله الله يوم القيامة، ومن جهز غازياً حتى يستقل كان له مثل أجره حتى يموت أو يرجع، ومن بنى لله مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى بنىَ الله له به بيتاً في الجنة» .

وانظر: (حم ١/ ٥٣) .

وروى البخاري تعليقا (جنائز ب٨١) عن ابن عمر: «أنه رأى فسطاطاً على قبر عبد الرحمن، فقال: انزعه يا غلام، فإنما يُظلهُ عَمَلُه» .

وروى الإمام أحمد (١/ ٧٣) عن الإمام عثمانَ بن عفّان رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: أظلَّ الله في ظلهٌ يوم لا ظلَّ إلا ظِلهُ، عبداً أنْظرَ معسراً أو تَرَكَ لِغَارِمٍ» .

وروى مسلم (زهد ح٧٤) عن أبي اليَسَر الأنصاري، قال من حديث طويل: «فأَشْهَدُ، بَصَرُ عَيْنَيَّ هَاتَيْنِ -وَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ- وَسَمْعُ أُذُنَيَّ هَاتَيْنِ- وَوَعَاهُ قَلْبِي هَذَا -وَأَشَارَ إِلَى مَنَاطِ قَلْبِهِ- رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ الله فِي ظِلِّهِ» الحديث.

وانظر: (ت بيوع ٦٥) .

٩- باب: من يطير بعمله على الصراط، ومن يعجز عمله عن سحبه عليه

روى مسلم (إيمان ح٣٢٩) عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ حديث الشفاعة في المحشر، وفيه: «فَيَأْتُونَ مُحَمّداً ﷺ، فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَـةُ

وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِيناً وَشِمَالاً. فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ. ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ. تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ. وَنَبِيُّكُمْ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ. حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلاَ يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلاَّ زَحْفاً.» .

١٠- باب: كلاليب في جهنم تخطف الناس بأعمالهم عن السراط

روى مسلم (إيمان ح٢٩٩) عن أبي هريرة حديث القيامة عن النبي ﷺ وفيه: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ. وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ. وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ. فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُجَازَى حَتَّى يُنَجَّى ... الحديث» .

وانظر: (خ أذان ب١٢٩) .

الجناح الرابع

العرض على الله للحساب

١- باب: شريط إجمالي لمواقف الصَّعْق والعرض والحساب

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللهُ

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ.

وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا

وَوُضِعَ الْكِتَابُ

وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ.

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ.

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ. وَقَالُوا الْحَمْدُ لله

الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ. وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٦٨-٧٥].

٢- باب: مجيء الله تعالى لفصل القضاء

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ. وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ. وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ. وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ. يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

٣- باب: مجيء الملائكة يوم العَرْض صُفوفاً

قال الله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً. وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً. وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٢-٢٣].

٤- باب: يُعْرض كل إنسان على الله تعالى وحده ليس معه شفيع ولا جاهة

قال الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾[مريم: ٩٥].

٥- باب: يُعْرَضُ الناسُ على الله تعالى لا شيء معهم حتى الثياب

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الإنعام: ٩٤].

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً. وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفّاً لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَن لَّن نَّجْعَلَ لَكُمْ مَّوْعِداً﴾ [الكهف: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

روى البخاري (أنبياء ب ٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إنكم تحشرون حفاةً عُراةً غُرْلاً» ثم قرأ: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[الأنبياء: ١٠٤] «وأولُ من يُكْسى يوم القيامة إبراهيم».

٦- باب: تُقَرَّبُ الجنة والنار بحيث يراهما من كان في مواقف العرض والحساب ويعلمون أنهما في انتظارهم

قال الله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ. وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ. وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ. وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ. وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ. وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ. وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ. وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ. وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ. وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ. وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ. عَلِمَتْ

نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١-١٤].

٧- باب: تجثو الأمم بانتظار القضاء

قال الله تعالى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨، ٢٩].

٨- باب: السؤال عن الأعمال

قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢].

٩- باب: نَشْرِ صُحُفِ الأعمالِ وَوضْعِ كتَابها وفي كتاب كل إنسان ما عمله من خير وشر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيْلَتَنَا مال هذا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُواْ حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

١٠- باب: من يحاسب حساباً يسيراً هو العرض، ومن يُناقَشُ الحساب

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ. فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ. فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً. وَيَنقَلِبُ إِلَـى أَهْلِهِ مَسْـرُوراً. وَأَمَّـا مَـنْ أُوتِـيَ كِتَابَـهُ وَرَاءَ ظَهْـرِهِ. فَسَـوْفَ يَدْعُـو ثُبُـوراً. وَيَصْلَـى سَـعِيراً﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

روى البخاري (علم ب٣٥) عن ابن أبي مُلَيكةَ: «أنّ عائشةَ زوجَ النبيِّ ﷺ كانتْ لا تَسمَعُ شيئاً لا تَعرِفُهُ إلاّ راجَعَتْ فيه حتى تَعرِفَهُ، وأن النبيَّ ﷺ قال: مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ. قالتْ عائشةُ: فقلتُ: أوَ ليسَ يَقولُ الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق: ٨] قالت: فقال: إنّما ذلِكِ العَرْضُ، ولكنْ مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهلِكْ» .

وانظر: (م جَنَّة ح٧٩؛ د جنائز ب٨) .

١١- باب: صُوَرٍ من الحساب اليسير

روى مسلم (إيمان ح١٩٠) عَنْ أَبِـي ذَرٍّ قَـالَ: «قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: إِنِّـي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا: رَجُلٌ يُؤْتَـى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا. فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَال: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَـذَا، وَعَمِلْـتَ يَـوْمَ كَـذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا. فَيَقُولُ: نَعَمْ، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ. وَهُوَ مُشْفِقٌ مِـنْ كِبَـارِ ذُنُوبِـهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ. فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مكـان كُـلِّ سَيِّئَةٍ حَسَـنَةً. فَيَقُـولُ: رَبِّ قَـدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لاَ أَرَاهَا هَهُنَا» . [قال أبو ذر] «فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ» .

وانظر: (ت جهنم، ب١٠) .

وروى البخاري (مظالم ب٢) عن صَفوانَ بن مُحرزٍ المازني، قال: «بينما أنا أمشي مع ابن عمر، آخذٌ بيده، إذ عَرَضَ رجلٌ، فقال: كيف سمعتَ النبيَّ ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إن الله يُدْني المؤمن فيَضع عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيقول: أتعرف ذَنْبَ كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قَرَّرَهُ بذنوبه، ورأى في نَفْسِهِ أن قد هلك، قال: سَتَرْتُها عليكَ في الدُّنْيا، وأنا أغفرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق، فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» .

وانظر: (حم ٢/ ٧٤) .

١٢- باب: يُلقَّن بعض من يحاسبون حساباً يسيراً حُجَّتَهم

روى الإمام أحمد (٣/ ٢٧) عن أبي سعيد الخدري، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أَحَدَكُمْ لَيُسْأَلُ يومَ القيامةِ، حتى يكونَ فيما يُسْأَل عنه أن يقال: ما مَنَعَكَ أن تنكر المُنْكَرَ إذْ رأيتَهُ؟ قال: فَمَنْ لَقَّنَهُ الله حُجَّتَهُ، قال: رَبِّ رَجَوْتُكَ وَخِفْتُ النَّاس» .

وانظر: (حم ٣/ ٢٩، ٧٧؛ جه فتن ب٢١) .

١٣- باب: بعض موضوعاتِ مناقَشَةِ أهل الحسابِ العسير والعياذ بالله

روى الترمذي (قيامة ب١) عن أبي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ، قال: «قالَ رَسُولُ الله ﷺ: لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ» .قال

الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وروى مسلم (إمارة ح١٥٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنّ أَوّلَ النّاسِ يُقْضَىَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتّىَ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَكِنّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ حَتّىَ أُلْقِيَ فِي النّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلّمَ الْعِلْمَ وَعَلّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ. فَأُتِيَ بِهِ. فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَـكِنّكَ تَعَلّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ، حَتّىَ أُلْقِيَ فِي النّارِ. وَرَجُلٌ وَسّعَ الله عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلّهِ. فَأُتِيَ بِهِ فَعَرّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ. وَلَـكِنّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ. ثُمّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىَ وَجْهِهِ. ثُمّ أُلْقِيَ فِي النّارِ» .

١٤- باب: إنكار بعض العاملينَ يوم الحساب أعمالَ السُّوء التي يجدونها مدوّنة في صحفهم

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ. ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الإنعام: ٢٢-٢٤].

١٥- باب: يَخْتِمُ الله على أفواهِ المنكرينَ فلا ينطقون

قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿هَـذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ. وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْماً أَمَّا ذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ. وَوَقَعَ الْقَوْلُ بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣-٨٥].

١٦- باب: المجيء بالشُّهودِ من الأنبياء والدعاة إلى الحق ليَشْهَدُوا على المنْكِرِينَ بأعْمالهم

قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِباً أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ. يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

١٧- باب: المسيح يشهد على بني اسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً. وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ١٥٩، ١٦٠].

١٨- باب: شهادة محمد ﷺ على من بعث إليهم

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَـؤُلآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاءِ شَهِيداً. يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً. وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً﴾ [الأحزاب: ٤٥].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً. فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥، ١٦].

١٩- باب: شهادةُ كل نبيٍّ أن يشهد على من عاصره من قومه ممن بلّغهم

قال الله تعالى في شهادة عيسى عليه السلام يوم القيامة على قومه: ﴿مَا

قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

٢٠- باب: شهادة هذه الأمة الداعية على المدْعُوِّين بالبلاغ

قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُواْ بِاللهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

٢١- باب: شهادة أمة محمد ﷺ للأنبياء بأنهم قد بلَّغُوا أمَمهم الرسالاتِ، على ما في القرآن

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣].

٢٢- باب: شهادة الكفار من الجن والإنس على أنفسهم

قال الله تعالى: ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

٢٣- باب: شهادةِ أعضاءِ الإنسانِ نُطقاً بما عَمِلَ صاحبُها بها من المعاصي

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ. حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَـكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ١٩-٢٢].

٢٤- باب: شهادة الملائكة الذين كانوا في الدنيا يكتبون ما تعملون

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. وَقَالَ قَرِينُهُ هَـذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: ٢٠، ٢٣].

روى مسلم (زهد ح١٧) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ. يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شَاهِداً مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً. وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُوداً. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ. فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ» .

٢٥- باب: شهادة الأرض بما عُمِلَ على ظهرها من خيرٍ أو شر

قال الله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا. وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا.

وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا. يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٥].

روى الترمذي (قيامة ب٧) عن أبي هريرة قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال أتدرون ما أخبارُها؟ قالوا: الله ورسولُهُ أعلم. قال: فإنَّ أخبارَها أن تشْهَدَ على كل عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظهرِها أن تقول: عَمِلَ يومَ كذا وكذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارُها» .

قال الترمذي هذا حديث حسن غريب.

وروى البخاري (أذان ب٥) عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ الأنصاري ثم المازني، «أن أبا سعيد الخدري قال له: إني أراكَ تحب الغنم والبادية، فإذا كنت في باديتك- أو غنمك- فأذَّنتَ بالصلاة، فارفع صوتَكَ بالنداء، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذِّنِ جنٌّ ولا إنسٌ ولا شيْءٌ إلا شهد له يوم القِيامة.» قال أبو سعيد: «سمعته من رسول الله ﷺ» .

٢٦- باب: نَصْبِ الألويةِ في موقفِ الحِسَاب لأهل الغَدَراتِ

روى الإمام أحمد (٢/ ١٤٢) عن ابن عمر: «أن النبي ﷺ قال: إذا جَمَع الله الأولين والآخرين يَوْمَ القيامةِ رُفِع لكلِّ غادِرٌ لواء يوم القيامة، فقيل هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان» .

وروى الترمذي (سِيرَ ب٢٨) عن ابن عمر، قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الغَادِرَ يُنْصَبُ له لواءٌ يوم القيامة» .

٢٧- باب: من يُسَمَّع به في موقف الحساب تحقيراً له

روى الإمام أحمد (٢/ ٢١٢) عن عبد الله بن عمرو قال: «قال رسول الله ﷺ: من سَمَّع الناس بعمله سمَّعَ الله به سامِعَ خلقِهِ يوم القيامة، فحقّره وصغره» .

وانظر: (حم٢/ ١٩٥) .

الجناح الخامس

كيفية الحساب والسؤال عن الأعمال

١- باب: من لا حساب عليه

روى مسلم (إيمان ح٣٧٤) عن ابن عباس «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ. فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي. فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسى وَقَوْمُهُ. وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذابٍ» الحديث... فيه: «ثم قال: هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ. وَلاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ. وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» .

٢- باب: أولُ ما يُحاسَبُ عليه الإنسان

روى الترمذي (صلاة ب١٨٨) عن حُرَيْث بن قبيصَةَ قال: جلستُ إلى أبي هُريرَةَ، فَقُلْتُ: إني سألتُ الله أن يرزقني جليساً صالحاً، فحدِّثْني بحديثٍ سمعتَهُ من رسول الله ﷺ لعلَّ الله أن ينفعَني به. فقال سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: إنّ أولَ ما يُحَاسَبُ به العبد يومَ القيامةِ من عمله صَلاتُه، فإن صَلُحَتْ فقد أفلحَ وأنجحَ، وإن فَسَدَتْ فقد خابَ وخسرَ، فإن انتقصَ من فريضته شيءٌ قال الرب عز وجل: انظروا هل لعبدِي من تطوعٍ؟ فيُكْمِلُ بها ما انتقصَ من

الفريضةِ. ثم يكونُ سائرُ عملِهِ على ذلك» .

وانظر: (د صلاة ب١٤٥؛ ت صلاة ب١٨٨ ن صلاة ب٩) .

وروى مالك (قصر الصلاة في السفر ح٨٩) عن يحيى بن سعيدٍ أنه قال: «بلغني أنَّ أول ما يُنْظَرُ فيه من عملِ العبدِ الصلاة، فإنْ قُبِلَتْ منه نُظِر فيما بقي من عمله، وإن لم تقبل منه لم يُنْظَر في شيءٍ من عَمَلِهِ» .

وروى النسائي (كتاب تحريم الدم ب٢) عن عبدالله، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أول ما يحاسَبُ به العبد الصلاة. وأول ما يقضى بين الناس في الدماء».

وانظر: (ت ديات ب٨) .

٣- باب: تتميم الفرائض من النوافل

روى الإمام أحمد (٤/ ١٠٣) عن تميم الداريّ عن النبيّ ﷺ قال: «أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فإن كان أكملها كتبت له كاملة، وإن لم يكن أكملها قال للملائكة: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوّع، فأكملوا بها ما ضَيَّع من فريضتِهِ، ثم الزكاة، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك» .

٤- باب: مضاعفة الأجور للأنبياء

روى الإمام أحمد (٣/ ٩٤) عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رسول الله ﷺ: إنَّا معاشِرَ الأنبياءِ يُضاعَفُ لَنَا البَلاءُ كما يُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ» .

وانظر: (جه فتن ب٢٣) .

وروى مسلم (برّ ح٤٥) عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ

وَهُوَ يُوعَكُ فَمَسِسْتُهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَجَلْ. إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ. قَالَ: فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: أَجَلْ. ثُمّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذىً مِنْ مَرَضٍ فَمَا سِوَاهُ إِلاّ حَطّ الله بِهِ سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطّ الشّجَرَةُ وَرَقَهَا» .

وانظر: (خ مرضى ٢) .

٥- باب: مضاعفة الأجر لنساء النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيراً. وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

٦- باب: اليهوديُّ والنصرانيُّ الذي كان مؤمناً برسوله ثم آمن بمحمد ﷺ يؤتى أجره مرتين

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُواْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ. أُوْلَـئِكَ يُؤْتَونَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص: ٥٤].

يؤتون أجرهم مرتين: أي لكونهم آمنوا بنبيهم ثم لما جاء محمد ﷺ آمنوا به.

وروى البخاري (جهاد ب١٤٥) عن أبي بُردةَ أنه سمعَ أباه «عنِ النبيِّ ﷺ قال: ثلاثة يُؤْتَونَ أجرَهم مرّتين: الرّجلُ تكونُ له الأمَة فيُعلّمها فيُحسِنُ

تَعليمها، ويُؤدّبُها فيُحسنُ تأدِيبَها، فيتزوّجها، فلهُ أجران. ومُؤمنُ أهلِ الكتاب الذي كان مؤمناً ثمّ آمنَ بالنبيِّ ﷺ فله أجران، والعبدُ الذي يؤدّي حقّ الله وينصَحُ لسيّدِهِ» .

وانظر: (م إيمان ح ٢٤١) .

٧- باب: الرئيسُ الذي يقبل الإسلام له أجره مرتين لتسببه في إيمان قومه والذي يرفُضُهُ يضاعف له العذاب لإضلاله قومه

روى الإمام أحمد (١/ ٢٦٣) عن ابن عباسٍ رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كتَبَ إلى قَيْصَرَ يدعوه إلى الإسلام... الحديث» وفيه: «قال أبو سفيان: ثم دعا [قيصر] بكتابِ رسولِ الله ﷺ، فأَمَرَ بهِ فقرئ، فإذا فيه: من محمدٍ عبدِالله ورسولِهِ إلى هرقل عظيمِ الرومِ: سلامٌ على من اتَّبع الهُدى، أما بعد: فإني أدعوكَ بدعاية الإسْلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يؤتِكَ الله أجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإنْ تَوَلَّيْتَ فعليك إثمُ الأريسِيِّين... الحديث» .

وانظر: (خ بدء الوحي ب ٤).

٨- باب: مَنْ ضَلَّ بسببِ فعلهِ قَوْمٌ حَمَل آثاماً بقدر إضلاله لهم من دون أن يخفَّ عنه بَسبَب ذلك شيء

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٢، ١٣].

وقال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ أَضَلُّونَـا فَـآتِهِمْ عَذَابـاً ضِعْفـاً مِّنَ النَّـارِ قَـالَ لِكُـلٍّ ضِعْـفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال: ﴿الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

٩- باب: من يوفي أجره بغير حساب وهم أهل الصبر والثبـات المستمر على طاعة الله .

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُـمْ بِغَـيْرِ حِسَـابٍ﴾ [الزمر: ١٠] .

١٠- باب: مضاعفة الأجر لمن يقرأ القرآن وهو عليه شاق

روى مسلم (صلاة المسافرين ح٢٤٤) عن عائشة قـالت: قـال رسـول الله ﷺ: «الماهِرُ بالقرآنِ مع السَّفَرة الكِرَام البَرَرَة. والذي يقرأ القـرآن ويَتَتَعْتَـعُ فيـه وهو عليه شَاقٌّ له أجْران» .

وانظر: (حم٦/٩٨) .

١١- باب: من يؤتى على العمل الواحد أجرين لأن فيه خيراً من وجهين

روى البخاري (اعتصام ب٢٠) عن عمرو بن العاص رضي الله عنـه أنـه: «سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا حَكَمَ الحَاكِمُ فاجتَهَدَ ثـم أَصَـابَ فلـه أجـرانِ،

وإذا اجتهد ثمّ أخطأ فله أجر» .

يعني: إذا أصاب فله أجران: أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، وإن أخطأ فله أجر واحد هو أجر الاجتهاد.

وانظر: (م أقضية ح١٥) .

وروى البخاري (زكاة ب٤٨) عن زَيْنَبَ امرأةِ عبدِ الله بن مسعود، قالت: «مَرّ بنا بلالٌ، فَقُلْنَا سَلِ النبي ﷺ أيجزي عني أنْ أُنفِقَ على زوجي وأيتام لي في حجري؟ وقلنا له: لا تُخْبر بنا. فَدَخَلَ فسأله، فقال: من هما؟ قال: زينب. قال: أي الزيانب؟ قال: امرأة عبد الله. قال: نعم، وَلَهـا أجْرانِ، أجر القرابة، وأجر الصدقة» .

وانظر: (م زكاة ح٤٦) .

١٢- باب: عمل واحد يؤجر عليه شخصان فأكثر

روى مسلم (زكاة ح٨٤) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: لا تَصُمِ المرأةُ وَبَعْلُها شاهدٌ إلا بإذنه، ولا تأذنْ في بيته وهو شاهدٌ إلا بإذْنِهِ. وما أَنفَقَتْ من كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَمْرِهِ فإن نِصْفَ أَجْرِهِ لَه» .

وانظر: (ن زكاة ٥٦) .

وروى البخاري (زكاة ب١٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله ﷺ: إذا أنْفَقَتِ المرأةُ من طعامِ بَيْتِها غير مُفْسِدَةٍ كان لها أجرُها بما أنفقت، ولزوجِها أجْرُهُ بما كَسَب، وللخازِنِ مثلُ ذلك، لا ينقُصُ بعضُهم أجْرَ بعض شيئاً» .

قال ابن حجر: هذا إنما هو في اليسير. ومن العلماء من حمله على ما إذا أذِن الزوجُ ولو بطريقِ الإجمال، أو جَرَتِ العادة بذلك.

وانظر: (م زكاة ح٨٠) .

١٣- باب: الجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ في أعمال معينّة من الخير

قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

وقال: ﴿من ذَا الَّذِي يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

✓ وروى أبو داود (صلاة ب٤٩) عن بُرَيْدَةَ: «عن النبي ﷺ قال: بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المساجِدِ بالنورِ التامِّ يَوْمَ القيامة» .

وانظر: (ت مواقيت ب٥١) .

✓ وروى مسلم (برّ ح٧٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يَسْتُرُ عبد عبداً في الدنيا إلاّ سَتَرَهُ الله يومَ القيامة» .

✓ وروى البخاري (مظالم ب ٣)عن عبدالله بن عمر: « أن رسول الله ﷺ قال: من فرّج عن مؤمن كرْبة من كُرَبَ الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن سترمؤمناً ستره الله يوم القيامة».

وروى البخاري (مساقاة ب١) تعليقاً، عن عثمان رضي الله، قال: «قال النبي ﷺ: من يشْتَري بئر رومة فيكونُ دَلْوهُ فيها كدِلاَءِ المسلمين» .

قال ابن حجر: وَصَلَهُ النسائيّ والترمذي وابن خزيمة من طريق ثمامة بن حَزْن، قال: «شَهِدْتُ الدَّارَ حيثُ أشرفَ عليهم عُثْمانُ، فقال: أنشدكم الله والإسلام: هل تعلمونَ أن رسول الله ﷺ قَدِمَ المدينة وليس بها ماء يُسْتعذب غَيْرَ بئرِ رومة، فقال: من يشتري بئرَ رُومةَ يَجْعَلُ دَلْوَهُ فيها كَدِلاءِ المسلمين بخيرٍ مِنْها له في الجنة فاشتريتها من صلب مالي؟ قالوا: اللهم نعم» .

وانظر: (م أيمان ح١٧٥؛ ت طب ب٧، ت مناقب ب١٨؛ حم١/ ٧٥) .

وروى الإمام أحمد (١/ ٢٤١) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاةٍ بنى الله له بيتاً في الجنة» .

وانظر: (م مساجد ح٢٤؛ خ صلاة ب ٦٥).

وروى الإمام أحمد (٢/ ٩٢) عن ابن عمر قال: «قال رسول الله ﷺ: من لبس ثوب شُهْرةٍ ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة» .

وانظر: (جه لباس ب٢٤) .

١٤- باب: الجَزَاءُ من جنس العمل قد يكون في أعمال سوء معينة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾[الإسراء: ٧٢].

روى البخاري (لباس ب٢٥) عن أنس بن مالك، قال: «قال رسول الله ﷺ: مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنيا لم يَلْبَسْه في الآخرة» .

وروى مسلم (لباس ح١١) عن عمر بن الخطاب. قال: «قال رسول الله ﷺ لا تلبسوا الحرير، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» .

وروى مسلم (لباس ح٣) عن البراء بن عازب، قال: «أَمَرَنا النبي ﷺ بسبعٍ ونهانا عن سبع» فذكر الحديث إلى أن قال: «وَنَهَانا عَنِ الشُّرْبِ في الفضة فإنَّ من شَرِبَ فيها في الدنيا لم يَشْرَبْ فيها في الآخرة» .

وروى مسلم (أشربة ح٧٧) عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ قال: من شرب الخمر في الدنيا فلم يتب منها حرمها في الآخرة فلم يُسْقَهَا» .

وانظر: (خ أشربة ب١؛ ط اشربة ح١١) .

١٥- باب: الجزاء بالتعذيب بِعيْنِ ما عصى العامل بسببه

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ١٨٠].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [براءة: ٣٥].

روى مسلم (زكاة ح٣٠) عن أبي ذر، قال: «انتهيت إلى النبي ﷺ وهو جالس في ظل الكعبة...» الحديث إلى أن قال: فقال: «ما من صاحب إبلٍ ولا بقرٍ ولا غنم لا يؤدّي زكاتَها إلا جاءتْ يومَ القيامة أعظمَ ما كانت وأَسْمَنَهُ، تنطَحُهُ بقرونها وتَطَؤُهُ بأظلافِها، كلما نَفِدَتْ أُخْراها عادَتْ عليه أولاها، حتى يقضى بين الناس» .

وانظر: (ت زكاة ب١١) .

وروى البخاري (طب ب٥٦) عن أبي هريرة: «عن النبي ﷺ قال: من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردّى فيها خالداً مخلّداً فيها أبداً، ومن تحسّى سُمًّا فقتل نفسه فَسُمُّهُ في يده يتحسّاه في نار جهنّم خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً، ومن قتل نفسَه بحديدةٍ فحديدتُهُ في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنّم خالداً مخلداً فيها أبداً.»

وانظر (م:إيمان ١٠٩، ١٧٥).

وروى الإمام أحمد عن عبدالله بن عمر، قال: «قال رسول الله عرضت عليّ النار، فرأيت فيها امرأةً من حِمْيَرَ، سوداءَ طُوالَةٍ، تُعذَّب بهرَّةٍ لها، تربطُها، فلم تُطْعِمْها ولم تَسْقِها، كلما أقبلَت نهشَتْها، وكلما أدبرتْ نهشَتْها».

وانظر: (خ أذان ٩٠).

١٦- باب: لا يسأل الإنسان عن عمل غيره ولا ينفعه عَملُ غيره ولو أباه وجَدّهُ

قال الله تعالى: ﴿قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وقال الله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى. وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى. أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى. وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى. وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى. ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ [النجم: ٣٥-٤١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً

حَكِيماً﴾ [النساء: ١١١].

١٧- باب: لا يُقْبَلُ في الحساب فِدْيَةٌ ولا عِوض

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ٩١].

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

روى مسلم (منافقين ح٥٣) عن أنس: «أن النبي ﷺ قال: يقال للكافر يوم القيامة: أرايت لو كان لك ملءُ الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد سئلتَ أيْسَر من ذلك» .

١٨- باب: لا يقبل من الظالِم الافتداءُ ببنيهِ وَزَوْجِهِ وأقاربه

قال الله تعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنجِيهِ. كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى﴾ [المعارج: ١١-١٥].

١٩- باب: لو تطوع إنسانٌ يوم الحساب بحسنةٍ لغيره لم يصلح، ولو تطوّع أن يحمل إثماً عن غيره لم يصلح

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِالله الْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

القسم الرابع
موازنة الأعمال

الجناح الأول

الميزان

١- باب: الإيمان بالميزان

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ.﴾ [القارعة: ٤-١١].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

روى الإمام أحمد (١/ ٣١٩) عن ابن عباس حديثَ جبريل، وأنه سأل النبي ﷺ عن الإسْلام، فأجابَهُ النبي ﷺ، ثم: «قالَ يا رسول الله حدثني ما الإيمان؟ قال الإيمانُ أنْ تُؤْمِنَ بالله وباليَوْم الآخِرِ والملائكة والكتاب والنبيين وتُؤْمِنَ بالموتِ وبالحياةِ بَعْدَ الموتِ، وتُؤْمِنَ بالجَنَّـةِ والنار والحساب والميزان، وتؤمنَ بالقَدَر كله خَيْرِهِ وشَرِّهِ» الحديث.

وانظر: (حم ٤/ ١٢٩، ١٦٤).

٢- باب: الميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه

روى البخاري (تفسير سورة هود ب٢) أن رسول الله ﷺ قال: يَدُ الله مَلأى لا تَغيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنهَارَ. وقال: أرأيتم ما أنْفَقَ مُنْذُ خلق الله

السماواتِ والأرضَ، فإنه لم يَغِضْ ما في يده. وكان عَرْشُه على الماء، وبيدِهِ الميزانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ» .

(وانظر خ توحيد ب١٩) .

٣- باب: تُوْزَنُ الأعمال والأقوال

روى مسلم (طهارة ح١) عن أبي مالك الأشعري، قال: «قال رسول الله ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان. والحمْدُ لله تملأ الميزان. وسبحان الله والحمد لله تملآن (أو تملأ) ما بين السماوات والأرض...» الحديث.

وانظر: (حم ٤/ ٢٦) .

٤- باب: الميزان له كِفَّتَان حسيّتان إن صح الحديث

روى الإمام أحمد (٢/ ٢١٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله عزّ وجلّ يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعةً وتسعين سجلاً، كل سجل مدَّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظَلَمتْكَ كَتَبَتِيَ الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة، فيبهت الرجل. فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إنّ لك عندنا حسنة واحدة. لا ظلم اليوم عليك. فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول: أحضروه، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تُظْلَم. قال: فتوضع السجلاتُ في كفة. قال: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة. ولا يثقل شيء باسم الله الرحمن الرحيم».

وانظر: (ت إيمان ب١٧؛ جه زهد ٣٥) قال الترمذي حسن غريب.

قلت في صحة هذا الحديث نظر، فلا يصلح حجة في مثل هذا . والله أعلم.

٥- باب: يوزن صاحب العمل بعمله

روى مسلم (منافقين ح ١٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ. اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[الكهف: ١٠٥].»

وانظر: (خ تفسير سورة ١٨/٦) .

وروى الإمام أحمد (١/ ١١٤) عن عليّ رضي الله عنه، قال: «أمر النبي ﷺ ابنَ مسعودٍ فصعِدَ على شجرةٍ، أمَرَهَ أن يأتي منها بشيء، فنظر أصحابهُ إلى ساق عبد الله بن مسعود حين صعد الشجرة، فضحكوا من حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ. فقال رسول الله ﷺ: ما تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثْقَلُ يومَ القيامَةِ في الميزانِ منْ أُحُدٍ» .

وانظر: (حم١/ ٤٢١) .

حموشة ساقيهِ: دقَّتُهما وقلَّة اللحم فيهما.

٦- باب: توزن الأخلاق

روى الترمذي (برّ ب٦٢) عن أبي الدرداء: «أن النبي ﷺ قال: «ما شيءٌ أَثْقَلَ في الميزان يَوْمَ القيامَة مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وإن الله يبغض الفاحِشَ البَذِيءَ» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وانظر: (حم ٦/ ٤٤٦) .

وروى الإمام أحمد (٦/ ٤٤٢) عن أبي الدرداء: قال: «قال رسول الله ﷺ: إن أفضل-وفي رواية: إنَّ أثقل - شيءٍ في الميزان يوم القيامة الخُلُقُ الحسنُ» .

وانظر: (ت برّ ب٦١؛ حم ٦/ ٤٤٦) .

٧- باب: يوزن أثر الأعمال

وروى البخاري (جهاد ب٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «قال النبي ﷺ: من احْتَبَسَ فرساً في سبيلِ الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شِبَعَهُ وريَّهُ ورَوْثَه وَبَولَهُ في ميزانِهِ يوم القيامة» .

وانظر: (حم ٢/ ٣٧٤ و ٦/ ٤٥٨) .

وروى الإمام أحمد (٦/ ٤٥٥) عن أسماءَ بنت يزيد أن رسول ﷺ قال: «الخيل معقودٌ بنواصيها الخيرُ إلى يوم القيامةِ، فَمَنْ رَبَطَها عُدَّةً في سبيل الله، وأنفق عليها احتساباً في سبيل الله، فإن شِبَعَها وجوعها وريَّها وظمأها وأرواثها وأبوالها فلاحٌ في موازينه يوم القيامة، ومن رَبَطَها رياءً وسمعةً وفرحاً ومرحاً فإن شبَعَها وجوعها وريَّها وظمأَهَا وأرواثها وأبوالَهَا خُسْران في موازينه يوم القيامة» .

وانظر: (حم ٦/ ٤٥٨) .

٨- باب: تصدُّق الله تعالى على المؤمن الذي أتلف مال الناس إن كان معذوراً، بما يثقل به ميزانه

روى الإمام أحمد (١/ ١٩٧) عن عبد الرحمن بن أبي بكر، قال: «قال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل ليدعو بصاحبِ الدَّيْنِ يومَ القيامَةِ، فَيُقيمُهُ بين

يديه، فيقول: أي عبدي، فيمَ أذْهَبْتَ مال الناس؟ فيقول أي رب، قد علمتَ، اني لم أُفسِدْه، إنما ذَهَبَ في غَرَقٍ او حَرَقٍ أوْ سَرِقَةٍ او وَضيعَةٍ. فيدعو اللهُ بشيءٍ فيَضَعُهُ في ميزانِهِ فتَرْجَحُ حَسَنَاتُه» .

هذا حديث ضعيف الإسناد.

قوله «وضيعة» أي خسارة في تجارة.

الجناح الثاني

كيفية الموازنة

١- باب: الحسنةُ التي توضَعُ في كِفّةِ الميزانِ ترْجحَ بعشر سيئاتٍ على الأقل مما وضع في كفة السيّئات

قال الله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

روى البخاري (بدء الخلق ب٦) من حديث مالك بن صعصعة مَرْفُوعاً حديثَ الإسراء، وفيه أن الله تعالى فرض على أمة محمد ﷺ خمسين صلاةً كلَّ يوم، ثم خفف حتى جَعَلَها خمساً. قال في آخره: «فنوديَ: إني قد أمْضَيْتُ فريضَتِي، وخَفَّفْتُ عن عبادي، وأجْزِي الحَسَنَةَ عَشْراً».

وانظر: (حم٤/٢٠٨).

وروى الإمام أحمد (١/١٤٧) عن عليّ رضي الله عنه قال: «قلتُ لفَاطِمَةَ: لو أتيتِ النبيَّ ﷺ فسألتيه خادِماً، فقد أجْهَدَكِ الطَّحْنُ والعَمَلُ. قالت: فانْطَلِق معي. فانطلقت معها، فسألناه. فقال النبي ﷺ: ألاَ أدلكُما على ما هو خير لكما من ذلك؟ إذَا أَوَيْتُما إلى فِراشِكُما فَسَبِّحا الله ثلاثاً وثلاثين، واحمداه ثلاثاً وثلاثين، وكبِّراه أربعاً وثلاثين، فتلك مائة على اللسان، وألف في الميزان». فقال علي رضي الله عنه: «ما تركتُها بعدما سمعتُها من النبي ﷺ».

فقال رجل: «ولا ليلةَ صفّين؟». قال: «ولا ليلةَ صفّين».

وانظر: (د أدب ب١٠٠؛ ت دعاء ب٢٥؛ حم١/١٤٧) .

وروى الترمذي (دعوات ب٢٥) عَن عَبْدِ الله بن عَمْرو، قال: «قالَ رَسُولُ الله ﷺ: خلّتَان لا يُحْصِيهما رَجُلٌ مُسْلِمٌ إلاّ دَخلَ الْجَنّةَ، ألاَ وَهُمَا يَسِيرٌ وَمَـنْ يَعْمَلْ بهِمَا قَلِيلٌ: يُسَبّحُ الله في دُبُرِ كُلّ صَلاَةٍ عَشْـراً، وَيَحْمَـدُهُ عَشْـراً، ويُكَـبّرُهُ عَشْراً. قالَ: فأنا رأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَعْقِدُها بيَدِهِ. قالَ: فَتِلْكَ خَمْسُـونَ ومائـةٌ باللّسَان، وَألْفٌ وَخَمْسُمائَةٍ في المِيزَان. وَإذَا أخَـذْتَ مَضْجَعَـكَ تُسـبّحُهُ وتُكَـبّرُهُ وَتَحْمَدُهُ مائَةً فَتِلْكَ مائَةٌ باللّسَان، وَألْفٌ في الميزان، فأيّكُمْ يَعْمَلُ في اليَوْمِ وَاللّيْلَةِ ألْفَيْن وَخَمْسَمَئة سَيّئَةٍ ؟ قالُوا: وكَيْفَ لا نُحْصِيهَا؟ قالَ: يَأْتِي احَدَكُمُ الشّـيْطَانُ وَهُوَ في صَلاَتِهِ فَيَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، اذكر كذا، حَتّـى يَنفَتِـلَ، فَلَعَلّـهُ الا يَفْعَل، ويَأْتِيهِ وَهُوَ في مَضْجَعِهِ فَلاَ يَزَالُ يُنَوّمُهُ حَتّى يَنَامَ» .

قال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

وانظر: (ن سهو ب٩١؛حم٢/ ١٦١) .

٢- باب: الصدقةُ إن كانت للمجاهدين المحصَرين في سبيل الله،غير القادرين على الكسب، واتّقى الله فيها فسَلمت صدقته من المَنّ والأذى والرياء، توزن سبعمائة ضعف فأكثر

قال الله تعالى: ﴿مثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلّ سُنْبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيـمٌ﴾ الآيات [البقرة: ٢٦١-٢٦٥].

٣- باب: من رجحت كِفَّةُ حسناته ولــو بحبّةٍ استحق أن يدخـل الجنـة ومـن رجحت كَفة سيئاته استحق دخول النار

قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ﴾[الأعراف: ٨، ٩].

الجناح الثالث

ما يكون كفارة لذنوب الإنسان من غير فعله

١- باب: تكفير الذنوب بعقوباتها المقررة شرعاً

روى البخاري (إيمان ب١١) عن عبادة بن الصامت: «أن رسول الله ﷺ قال وحولَهُ عِصابةٌ من أصحابهِ: «بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تَسرقوا، ولا تَزنوا، ولا تقتلوا أولادَكم، ولا تأتوا بُبهتانٍ تَفتَرُونَهُ بينَ أيديكم وأرجُلِكم، ولا تَعصوني في مَعروف. فمن وَفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن أصاب من ذلكَ شيئاً فعوقبَ بهِ في الدنيا فهو كفّارة له، ومن أصابَ من ذلكَ شيئاً ثم ستَرَهُ الله فهو إلى الله إن شاءَ عفا عنه وإن شاءَ عذَّبه» .

قال ابن حجر في شرح حديث عبادة: هذا مخصوص بالشرك، فإن عقوبته وهي القتل لا تكفّره.

ونقل عن القاضي عياض: «ذهب أكثر العلماء إلى أن الحدود كفّارات. واستدلوا بحديث عبادة. ومنهم من توقف، لحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ، قال: لا أدري الحدود كفارات لأهلها أم لا. رواه الحاكم في المستدرك. وقال: هو على شرط الشيخين. قال ابن حجر ولا وجه للتوقف، فإن البيعة التي في حديث عبادة متأخرة بعد نزول سورة الممتحنة التي نزلت في شأن غزوة الفتح، فيكون متأخراً عن حديث أبي هريرة».

قال: ويؤيده حديث على بن أبي طالب مرفوعاً، عند الطبراني بإسناد حسن: «من أصاب ذنباً فعوقب به في الدنيا فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة» .

وروي مثله عن خزيمة بن ثابت وابن عمرو اهـ بتصرف .

٢- باب: قتلُ القاتل قصاصاً هل يكون به كفّارة لجنايته

قال ابن حجر: في بعض روايات حديث عبادة في المبايعة، قال: «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» وعقوبة القتل القصاص، فيكون مكفّراً لذنب القتل.

ونقل عن القاضي إسماعيل: «أن القصاص إنما هو للرَّدْع، ولا يسقط حق المقتول، بل هو باق لأنه بقتل القاتل لم يصل إليه شيء» .

قال ابن حجر: بل وصل إليه حق وأي حق! فإن المقتول ظلماً تُكفَّر عنه ذنوبه بالقتل، لحديث ابن مسعود: «إذا جاء القتل محا كل شيء» . وحديث عائشة: «لا يمر القتل بذنب إلا محاه». قال: فلولا القتل ما كفّرت ذنوبه. فأي حق يصل إليه أعظم من هذا؟ » .اهـ بتصرف.

أقول: وكلام القاضي إسماعيل عندي أصح من كلام ابن حجر. وأما حديث : « إذا جاء القتل محا كل شيء » فهو فيمن يقتل في سبيل الله، كما في الروايات المصرّحة بذلك، لا فيمن يُقتل لارتكابه جريمة القتل ، كما يأتي في ص ٣١٣.

٣- باب: تكفير السيئات بالمصائب والآلام

روى الإمام أحمد (١/ ١١) عن الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية: ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجزَ به﴾ فكل سوء عملنا جُزينا به ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: غفر الله لك يا أبا بكر، أَلَسْتَ تَمْرَضُ ؟ ألست تَنْصَبُ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ ألستَ تُصيبُكَ اللأواء ؟ قال: بلى. قال: فإن ذاك بذاك.»

وانظر: (ت تفسير سورة النساء ب٢٥) .

وروى البخاري (مرضى ب١) عن أبي سعيد الخدري وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ولا وَصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذىً ولا غَمٍّ - حتى الشوكة يُشَاكُهَا - إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه» .

وانظر: (م برّ ح٥٢؛ ت تفسير سورة النساء ب٢٤) .

وروى ابن ماجه (طب ب١٨) عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ عاد مريضاً من وَعْكٍ كان به، فقال رسول الله ﷺ: أَبْشِرْ فإن الله يقول: هي ناري أسلّطها على عبدي المؤمن في الدنيا، لتكون حظّه من النار في الآخرة» .

٤- باب: تكفير السيئات عن الإنسان بدعاء غيره من المؤمنين له

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

روى الإمام أحمد (٦/ ٢٣) عن عوف [بن مالك] قال: رأيت رسول الله

ﷺ صلى على ميت، ففهمت من صلاته: «اللهـم اغفـر لـه، وارحمـه، وعافِـهِ، واعفُ عنه، واغسله بالماء والثلج والبَرَد، ونقِّهِ من الخطايـا كمـا نقيـت الثـوب الأبيض من الدنس» .الحديث.

وانظر: (ن جنائز ب٧٧) .

وروى مسلم (جنائز ح٧) عن أم سلمة، قالت: «دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة، وقد شق بصره، فأغمضَهُ... الحديث، إلى أن قالت: ثم قـال: اللهـم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين» .

وانظر: (حم٦/ ٢٩٧) .

الجناح الرابع

أعمال منكرة تحبط الأعمال الصالحة

١- باب: حبوط الأعمال الصالحة بالكفر اللاحق لها (الردة والعياذ بالله) إذا مات عليه ولم يرجع إلى الإيمان

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً. الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً. أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾ [الكهف: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

٢- باب: اليمين الغموس من محبطات أجر الأعمال الصالحة

روى مسلم (إيمان ح٢١٨) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقْتَطَعَ حقَّ امرئ مسلم بيمينه فَقَدْ أوْجَبَ الله له النار وحَرَّمَ عليه الجنّة» فقال له رجل وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟! قال: «وإنْ كان قَضِيباً من أرَاكٍ».

٣- باب: كلمةٌ أحبطت عَمَلَ عابدٍ

روى مسلم (برّح١٣٧) عن جندب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حدّث: «أنّ رجلاً قال: والله لا يَغْفِرُ الله لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألّى عليّ أن لا أغفر لفلان! فإني قد غفرتُ لفلانٍ وأحْبَطْتُ عَمَلَكَ». أو كما قال.

ورواه أبو داود مفصلاً (أدب ٤٣) عن أبي هُرَيْرَةَ. قال: «سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ في بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ في الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ له: أَقْصِرْ، فقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيباً؟ فقَالَ: والله لاَ يَغْفِرُ الله لَكَ، أَوْ: لاَ يُدْخِلُكَ الله الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: كُنْتَ بِي عَالِماً، أَوْ: كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِراً. وَقالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقالَ للآخر: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ».

قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».

٤- باب: خشية حبوط العمل بعدم توقير النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِـالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُـمْ لِبَعْـضٍ أَن تَحْبَـطَ أَعْمَـالُكُمْ وَأَنتُـمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

روى البخاري (مناقب ب٢٥) عن أنسِ بن مالكٍ رضيَ الله عنه: «أنّ النبيّ ﷺ افتقدَ ثابتَ بنَ قَيسٍ، فقال رجلٌ: يا رسولَ الله أنا أعلمُ لـكَ علمَـه، فأتـاهُ، فوجده جالساً في بيتهِ منكّساً رأسه. فقال: ما شأنُك ؟ فقـال: شـرّ، كـان يرفـعُ صوتَهُ فوقَ صوت النبيِّ ﷺ، فقد حَبطَ عمله وهو من أهلِ النار. فـأتى الرجـلُ فأخبرَهُ أنهُ قال كذا وكذا» . قال موسى بنُ أنسٍ [راوي الحديث]: «فرجَعَ المـرّةَ الآخرة ببشارةٍ عظيمةٍ. فقال: اذهبْ إليهِ فقُل لهُ: إنـك لسـتَ مـن أهـلِ النـار. ولكن من أهلِ الجنة» .

٥- باب: حبوط العمل ممن يترك صلاة العصر

روى البخاري (مواقيت الصلاة ب١٥) عن أبي المليح، قال: كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم، فقال: بكّروا لصلاة العصر، فإن النبي ﷺ قال: «مـن ترك صلاة العصر فقد حبط عمله» .

٦- باب: حبوط عمل من قتل نفسه عمداً، لجريمته، مع يأسه من رحمة الله

روى البخـاري (مغـازي ب٣٨) عـن سـلمة بـن الأكـوع في قصـة خيـبر: «ويرجع ذباب سيف عامر بن الأكوع، فأصاب عين ركبـة عـامر، فمـات منـه. فلما قفلوا، قال سلمة: رآني رسول الله ﷺ وهو آخـذ بيـدي. قـال: مـا لَـكَ؟ قلت له: فداك أبي وأمي، زعموا أن عامراً حبط عمله. قال النـبي ﷺ: «كـذب من قاله، إن له لأجرين» وجمع بين إصبعيه: «إنه لجاهدٌ مجاهد، قلَّ عربيٌّ مشـى بها مثله» .

٧. باب، أثر القتل العمد العدوان في ذلك

روى أبو داود (فتن ب٦) عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن مُعْنِقاً صالحاً ما لم يصب دماً حراماً، فإذا أصاب دماً حراماً بَلَّحَ» .

أعْنَقَ الرجل: إذا مشى مسرعاً . وبلّح يعني تَعِب فقصّر في المشي .

الجناح الخامس

أعمال خير تهدم كل سوء

١- باب: إن أسلم الكافر فحسن إسلامه ينهدم ما كان قبله من سيئاته

روى مسلم (إيمان ح١٩٢) عن عمرو بن العاص، قال: «لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيتُ النبي ﷺ فقُلْتُ: ابْسُطْ يمينك فلأُبايعْكَ. فَبَسَطَ يمينه. قال: فَقَبَضْتُ يدي. قال: ما لك يا عمرو؟ قال: أردْتُ أن أشْتَرِطَ. قال: تَشْتَرِطُ بماذا؟ قلت: أن يُغْفَر لي. قال: أما علمتَ أن الإسلام يَهْدِمُ ما كان قَبْلَهُ، وأن الهجرةَ تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ ما كان قبله؟»

وروى البخاري (إيمان ب٣١) عن أبي سعيد: «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إذا أسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إسلامُهُ يكفِّرُ الله عَنْهُ كلَّ سَيِّئَةٍ كانَ زَلَفَها، وكان بعد ذَلِكَ القِصَاصُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أمثالِها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها» .

وروى مسلم (إيمان ح١٩٠) عن عبد الله، قال: «قلنا: يا رسول الله ﷺ أنؤاخَذُ بما عَمِلْنَا في الجاهِلِيَّةِ؟ قال: من أحسن في الإسلام لم يؤاخَذْ بما عَمِلَ في الجاهلية. ومن أساءَ في الإسلام أُخذ بالأول والآخر» .

٢- باب: انهدام السيئات بالحج المبرور

روى مالك (حج ح٢٥٢) عن محمد بن يحيى بن حبان: «أن رجلاً مرّ على أبي ذرٍّ بالرَّبذَةِ، وأنّ أبا ذر سأَلَهُ: أين تريد؟ فقال: أردت الحجّ. فقال: هل نَزَعَكَ غَيْره؟ فقال: لا. قال: فأْتَنِفَ العَمَلَ» .

وانظر: (ط حج ح٢٥٢) .

قوله: «فأتنف العمل» أي تُحَطُّ عنك أوزارك بالحج، وتبدأ صفحة جديدة بيضاء.

وروى البخاري (محصر ب٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «منْ حَجَّ هذا البَيْتَ فلم يَرفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّه» .

وانظر: (ت حج ٤١) .

وروى الإمام أحمد (٣/ ٤٩١) عن واثلة بن الأسقع، قال: «أتينا النبي ﷺ في صاحب لنا قَدْ أوجب، فقال: أعتقوا عنه، يُعْتِقِ الله بكل عضوٍ منه عضواً منه من النار» .

قوله: «أوجب» يعني قد عمل خطيئة موجبةً للنار. فجعل العتق كفارةً لها.

وانظر: (حم ٤/ ١٠٧، ٣٤٤) .

٣- باب: انهدام ذنوب المؤمن بالقتل في سبيل الله- ما عدا الدَّيْن

روى الإمام أحمد (٤/ ١٨٥) عن عتبة بن عبدِ السُّلَمي، قال: «قال رسول الله ﷺ: القتل ثلاثة: رجل مؤمن قاتل بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدوّ قاتلهم حتى يقتل، فذلك الشهيد المفتخر في خيمة الله تحت عرشه، لا

يفضله النبيون إلاّ بدرجة النبوّة. ورجل مؤمن قَرَفَ على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، حتى إذا لقي العدوّ قاتل حتى يقتل، محيت ذنوبه وخطاياه، إن السيف مَحَّاءُ الخطايا، وأُدْخِلَ من أي أبواب الجنة شاء... ورجل منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدوّ قاتل حتى يقتل، فإن ذلك في النار: السيف لا يمحو النفاق» .

هذا الحديث إسناده ضعيف .

وروى مسلم (إمارة ح١١٧) عن أبي قتادة: « أنّ رسول الله ﷺ قام فيهم، فذكر لهم أن القتل في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله أرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سبيل الله تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ: نعم إنْ قُتِلْتَ في سَبيل الله وَأنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ. ثم قال: إلا الدَّيْن فإن جِبْرِيلَ قال لي ذلك» .

٤- باب: انهدام الذنوب من المؤمن المجتهد- بحراسته في سبيل الله

روى أبو داود (جهاد ب١٦) عن سهل بن الحنظليّة في قصة وقعة حنين، فذكر أن أَنَسَ بن أبي مرثَدٍ الغَنَوِيُّ حَرَسَهُمْ ليلةً، إلى أن قال: «فقال له رسول الله ﷺ: هل نَزَلْتَ الليلة؟ قال: لا، إلا مُصَلِّياً أو قاضياً حاجة. فقال له رسول الله ﷺ: قد أوْجَبْتَ، فَلاَ عَلَيْكَ أن لا تعمل بعدها» .

قوله: «أوجَبْتَ» أي قد أوجبت لنفسك الجنة، حتى لو لم تعمل بعدها شيئاً فهي كافيتك لدخول الجنة.

٥- باب: انهدام الذنوب بالنفقة البالغة في سبيل الله في ساعة العسرة

روى الترمذي (مناقب ب١٨) عن كَثِير مولى عبد الرحمن بن سمرة، قال: «جاء عُثْمانُ إلى النبيِّ ﷺ بألْفِ دِينارٍ في كُمِّهِ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ العسرة، فينثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُقَلِّبُها في حِجْرِه، ويقول: ما ضَرَّ عُثْمانَ ما عَمِلَ بَعْدَ اليوم. مرتين» .

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

٦- باب: انهدام ذنوب المقاتلين ببدر رضي الله عنهم

روى البخاري (تفسير سورة الممتحنة ب ا) قِصَّةَ حاطبِ بن أبي بَلْتَعَةَ، وَأَنَّه كَاتَبَ المشركين سراً بأن المسلمين يريدون غزوهم، وفيها: فقال عمر: «دعني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال: إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل اطَّلَعَ على أهل بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» .

وفي روايةٍ له في (استئذان ب ٢٣): اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة» .

وانظر: (د سنّة ب٨؛ ت تفسير سورة ٦٠/ ١) .

وروى البخاري (مغازي ب٩) عن الإمام عليٍّ، قال: «بَعَثَني رَسُولُ الله ﷺ وأبا مَرْثَدٍ والزُّبَيْر، فذكر الحديث، وفي آخره: فقال رسول الله ﷺ: لعلّ الله اطَّلَعَ على أهل بدرٍ فقال: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ قد وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ. أو: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» .

وانظر: (خ استئذان ب٢٣؛ حم١/ ١٠٥) .

الجناح السادس

خواتيم الأعمال

١- باب: حرص المسلم على الإيمان والعَمَلِ الصَّالِحِ طيلةَ الحياةِ ليُخْتَمَ له بذلك

قال الله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٢- باب: الأعمال بخواتيمها على ما خُطَّ في لوح القدر

روى مسلم (برّ ح١١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعملُ الزَّمَنَ الطويلَ بِعَمَلِ أهْلِ الجنّة، ثم يُخْتَم له بعمل أهل النار. وإن الرجل ليعمل الزَّمنَ الطويلَ بِعَمَلِ أهلِ النار ثم يختم له بعمل أهل الجنة» .

وانظر: (م قدر ب١١؛ حم١/ ٣٨٢) .

وروى البخاري (قدر ب٥) عن سهل بن سعد رضي الله عنه في الرجل الذي قاتل في إحدى الغزوات. قال: «فلما جُرِحَ استعجل الموت فقَتَل نفسه» قال: «فقال النبي ﷺ عند ذلك: إن العَبْدَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهلِ النَّارِ وإنّه من أهل

الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وهو من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم» .

وانظر: (خ رقاق ب٣٣؛ ت قدر ب٤) .

أقول: مآل كلِّ إنسان إلى ما قدّر الله تعالى له من سابق السعادة أو الشقاوة، وهو تقديرُ أنَّهُ يَعْمَلُ كذا أو كذا فيستَحِقُّ كـذا أو كـذا. والخاتِمَـةُ المؤثِّـرة هي الأعمال الموجبة للنار أو للجنة، كالكفر أو الإيمان. أما الأعمال الأخـرى فهي داخلة في الموازَنَةِ، فإن رَجَحَ بها ضدها كان الحكم للراجح، والله أعلى وأعلم. فلو عمل سوءاً غير الكفر ختم له به ثم مات، وكان له أعمال خير ترجـح بـه، فهو ممن ثقلت موازينه إن شاء الله.

❀ ❀ ❀

الجناح السابع

مشاهد في موقف الحساب تتعلق بالأعمال

١- باب: يتمنى قوم من أهل النار العَوْدَةَ إلى الدنيا ليُحْسِنوا العمل

قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

وقال: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

روى البخاري (جهاد ب٢١) عن أنس بن مالك: «عن النبي ﷺ قال: ما أحدٌ يحبُّ أن يرجعَ إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء، إلا الشهيدَ يتمنَّى أنْ يرجع إلى الدنيا فيقتلَ عَشْرَ مراتٍ، لما يرى من الكرامة» .

وانظر: (م إمارة ح١٠٨) .

قوله: «ما أحد» أي من المؤمنين.

٢- باب: الوَفْدِ المتقبَّلين

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَـٰنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦].

روى الإمام أحمد (٣/ ٤٣١) عن وفد عبد القيس: «أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: اللهم اجعلنا من عبادك المنتخبين الغرّ المحجلين والوَفْدِ المتقبّلين. قال: فقالوا: يا رسول الله: ما عباد الله المنتخبون؟ قال: عباد الله الصالحون. قالوا: فما الغرُّ المحجّلون؟ قال: الذين تبيضُّ منهم مواضعُ الطُّهور. قالوا: فما الوَفْدُ المتقَبَّلُون؟ قال: وَفْدٌ يَفِدُون من هذه الأمة مع نبيّهم إلى الله تعالى» .

هذا الحديث إسنادهُ ضعيف . وانظر: (حم٤/ ٢٠٧) .

٣- باب: تبيضّ وجوه أقوام وتَسودّ وجوه أقوام، بعد معرفة المصير

قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[عبس: ٣٨-٤٢].

٤- باب:يستر الله تعالى من أراد به خيراً حين يقرِّره بذنوبه، ويفضحُ الكفار والمنافقين

روى مسلم : (توبة ٥٢) عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربّه عزّ وجل، حتى يضعَ عليه كَنَفَهُ، فيقرّره بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: إيْ ربِّ، أعرف. قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني إغفرها لك اليوم. فيعطى صحيفة حسناته. وأما الكفار والمنافقين فينادى بهم على رؤوس الخلائق : ﴿هَـٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ » .

وانظر (خ مظالم ٢).

الجناح الثامن

القصاص في المظالم بين الناس
وذلك بعد الموازنة وقبل المصير إلى الجنة أو النار

١- باب: أين يكون القصاص

روى البخاري (رقاق ب٤٨) أنَّ أبا سعيدٍ الخُدريَّ رضيَ الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ: يَخلُصُ المؤمنونَ منَ النار، فيُحبسون على قَنطرةٍ بينَ الجنةِ والنار، فيُقَصّ لبعضهم من بعض مَظالمَ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا أُذِنَ لهم في دخول الجنة، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه لأحَدُهم أهدَى بمنزلِهِ في الجنة منه بمنزلِهِ كان في الدنيا» .

٢- باب: وَفَاءُ الحُقُوقِ هُنَاكَ بالحَسَنَاتِ والسَّيِّئات لا بالدراهم والدنانير

روى البخاري (رقاق ب٤٨) عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «من كانت عندَه مَظلمةٌ لأخيهِ فليَتحلَّلْهُ منها، فإنه ليس ثَمَّ دِينارٌ ولا دِرهم، من قبل أن يُؤخذ لأخيه من حسناتِهِ، فإن لم يكن له حسَناتٌ أُخِذَ من سيِّئاتِ أخيهِ فطُرِحَتْ عليه» .

وروى مسلم (برّ ح٥٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ

هَـذَا، وَقَذَفَ هَـذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَـذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَـذَا، وَضَـرَبَ هَـذَا، فَيُعْطَى هَـذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَـذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» .

٣- باب: القصاص في القتل والجراح

روى البخاري (رقاق ب٤٨) عن عبد الله قـال: «قـال النـبي ﷺ: أولُ مـا يقضى بَيْن النَّاسِ في الدِّماء» .

وروى الإمام أحمد (١/ ٢٤٠) عن ابن عباس قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: ثَكِلَتْهُ أمه! رجلٌ قَتَلَ رجلاً متعمداً، يجيء يوم القيامة آخذاً قاتلـه بيمينه أو بيساره، وآخذاً رأسه بيمينه أو شماله، تشخب أوداجه دماً، في قُبلِ العـرش، يقول يا ربِّ سَلْ عبدك فيم قتلني» .

٤- باب: أخذ الحقوق لأهل النار من أهل الجنة قصاصاً، وأخذ الحقوق لأهـل الجنة من أهل النار قصاصاً

روى الإمام أحمد (٣/ ٤٩٥) عن جابر بن عبد الله قال: «بلغني حديث عن رجل سمعه من رسـول الله ﷺ، فاشـتريت بعـيراً، ثـم شـددت عليـه رحلي. فسرت شهراً حتى قدمت عليه الشام. فإذا عبدُ الله بن أنَيس. فقلـت للبـواب: قل له: جابر بالبـاب. فقـال: ابـن عبـد الله؟ فقلـت: نعـم. فخـرج يطأ ثوبـه. فاعتنقني واعتنقته. فقلت: حديثاً بلغني عنك أنك سمعته من رسـول الله ﷺ في القصاص، فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً. قلنا: وما بهماً؟ قال: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ. ثُمَّ يناديهِمْ بِصَوتٍ يَسْمَعُهُ مَـنْ بَعُـدَ كمـا يَسْـمَعُهُ مـن قَـرُب: أنـا

المَلِكُ. أَنَا الدَّيَّانُ. ولا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ حَقٌ حَتَّى أُقِصَّهُ مِنْهُ. ولا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ وَلأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌ حَتَّى أُقِصَّهُ له مِنْهُ. حَتَّى اللَّطْمَةَ. قلنا: كيف وإننا إنما نأتي الله بُهماً؟ قال: بِالحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ» .

قوله: «غُرلاً» أي: غير مختونين.

٥- باب: القاتل يحمل من آثام المقتول ظلماً إن كان مؤمناً ما قد يؤدي بالقاتل إلى النار

قال الله تعالى حكاية قول ابن آدم لأخيه: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩-٣٠].

قال القرطبي: (٦/ ١٣٦) قيل معناه: يؤخذ من سيّئاتي فتطرح عليك بسبب ظلمك لي، وتبوء بإثمك في قتلك.» وقال أيضاً: «قال أكثر العلماء: معناه ترجع بإثم قتلي، وإثمك الذي عملته قبل قتلي».

٦- باب: القصاص في العِرْض

روى مسلم (إمارة ح١٣٩) عن بُرَيْدَةَ قَالَ: رَسُولُ الله ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ. فَمَا ظَنُّكُمْ؟».

(وانظر حم ٥/ ٣٥٢، ٣٥٥) .

٧- باب: استثناء الصوم، فلا سبيل للمظلوم إلى أخذ أجره من حسنات الظالم

روى البخاري (صوم ب٩) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله: كلُّ عَمَلِ ابن آدَمَ لَهُ، إلاّ الصِّيام، فإنه لي، وأنَا أجزي به. والصِّيام جُنَّة» .

قوله «فإنه لي» أي فلا يكون وفاءً للحقوق.

قال ابن حجر (فتح الباري ٤/ ١٠٩) قال ابن عينية: «إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله، حتى لا يبقى له إلا الصوم. فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة» اهـ.

ورواه أبو داود الطيالسي في مسنده من حديث شعبة بن زياد، بلفظ: «قال ربكم تبارك وتعالى: كل العمل كفارة إلا الصوم» ورواه أحمد من حديث شعبة لكن قال: «كل العمل كفارة» .

٨- باب: عَرْضٍ آخر على الله تعالى يعطى الناسُ صُحفَهم فيها النتائج النهائية

روى الإمام أحمد (٤/ ٤١٤) عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ يُعْرَضُ الناسُ يومَ القيامَةِ ثَلاثَ عَرَضَات. فأما عَرْضَتَانِ فَجدالٌ ومَعَاذِيرُ، وأما الثالِثَةُ فَعِنْدَ ذلك تَطِيرُ الصُّحُفُ في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه وآخِذٌ بشماله» .

وانظر: (ت قيامة ب٤) وقال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث لأن الحسن لم يسمع من أبي هريرة .

٩- باب: علامة الفائزين أن يؤتَوْا صحفهم بأيمانهم وعلامة الخاسرين أن يؤتوا صحفهم بشمائلهم

قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُا كِتَابِيَهْ. إِنِّي

ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ. قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ. كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ. وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ. وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ. يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ. مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٨-٢٩].

١٠- باب: مَصير من رَجَحَتْ سيئاتهُ بحسناته

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللهِ عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ. بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١].

١١- باب: مصير من رَجَحَتْ حَسَنَاتهُ بسيئاتِهِ

قال الله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ. مَا الْقَارِعَةُ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ. يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ. وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ. فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ. نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ١-١٠].

١٢- باب: مصير من استوت حسناته وسيئاته

قال الله تعالى بعد أن ذكر أصحاب الجنة وأصحاب النار: ﴿وبينهُما حِجابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ. وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الآية إلى أن قال: ﴿ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ

لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٦-٤٩].

قال: بعض المفسرين: أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. قلت: فكان مصيرهم إلى الجنة، لأن رحمة الله تعالى تسبق غضبه .

روى البخاري (تفسير سورة التوبة ب١٥) عن سمرة بن جُندب رضي الله عنه قال: «قال رسولُ الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيان فابتَعَثاني. فانتهَينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بلبنِ ذهب ولبن فضة. فتلقّانا رِجالٌ شطرٌ مِن خَلْقهم كأحسَنِ ما أنتَ راءٍ، وشطر كأقبح ما أنتَ راءٍ. قالا لهم: اذهبوا فقَعوا في ذلك النهر. فوقَعوا فيه، ثمّ رجعوا إلينا قد ذهبَ ذلك السوءُ عنهم فصاروا في أحسَن صورة. قالا لي: هذهِ جَنة عَدْنٍ، وهذاك منزِلُك. قالا: أما القومُ الذين كانوا شطرٌ منهم حسنٌ وشطرٌ منهم قَبيح فإنهم خَلطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيئاً تَجاوَزَ الله عنهم» .

وانظر: (خ تعبير ب٤٨؛ ت فضائل الجهاد ب١٤) .

١٣- باب: يمر الناس من الموقف على السراط المضروب فوق جهنم تجري بهم أعمالهم فأما أهل النار فيقعون فيها وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم فيدخلون الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[مريم: ٧٢].

وروى مسلم (إيمان ح ٣٢٩) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: تُرسَل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمرّ أولكم كالبرق، ثم كَمَرّ الريح، ثم كمرّ الطير وشدّ الرجال، تجري بهم أعمالهم، حتى

تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً.»

١٤- باب: دخولِ أهْلِ الجنَّة إليها من أبواب الأعمال

روى البخاري (صوم ب٤) عن أبي هريرةَ أن رسـول الله ﷺ قـال: «مَـن أنفقَ زَوجَيْنِ في سبيل الله نودي من أبوابِ الجنة: يا عبـدَ الله هـذا خيرٌ. فمـن كان من أهلِ الصلاةِ دُعي من بابِ الصلاةِ، ومن كان من أهل الجهادِ دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريَّانِ، ومن كان من أهل الصدَقَةِ دُعيَ من بابِ الصدقة. فقال أبو بكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دُعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهـل يدعـى أحـد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم . وأرجو أن تكون منهم.»

وانظر: (خ فضائل الصحابة ب٥؛ م زكاة ح١) .

قوله: «يا عبد الله هذا خير» أي هذا البـابُ خيرٌ لـك فتعـال فـادخل مـن عندنا لك الكرامة.

١٥- باب: قِسْمَةِ الكَفَرةِ والفَجَرَةِ على أبواب النار السبعة

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ. لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤، ٤٥].

الجناح التاسع

درجات الجنة لأهلها ودركات النار لأهلها والعياذ بالله

١- باب: الناسُ في الآخرة على مراتب، بعضها فوق بعض، فلأهل الجنة مراتبهم، ولأهل النار مراتبهم وذلك بسبب أعمالهم ليمكن توفيةُ كل منهم تمام الحق عن أعماله

قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأحقاف: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ الله كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ الله وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ الله والله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٢، ١٦٣].

٢- باب: صفة درجات الجنة

روى الإمام أحمد (٣/ ٢٧) عن أبي سعيدٍ الخدري. قال: «قال رسول الله ﷺ إن أهلَ الدَرجاتِ العُلى لَيَراهُمْ من تَحْتَهم كما تَرَوْنَ النجم الطالع في الأفُقِ من آفاقِ السماء، وأبو بَكْرٍ وعُمَرُ منهم، وأَنْعِما» .

وانظر: (ت جنة ب١٩؛ حم ٣/ ٢٦، ٢٧) .

وروى مسلم (جنة ح١١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: إِنّ أَهلَ الْجَنّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدّرّيّ الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ، لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: بَلَىٰ، وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدّقُوا الْمُرْسَلِينَ» .

٣ـ باب: ارتفاع المؤمن في درجات الجنة بحسب أعماله

قال الله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١].

روى البخاري (جنائز ب٣٦) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، أنه قال: «قلت يا رسول الله: أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلّفَ فتَعْملَ عَمَلاً صالحاً إلا ازدَدْتَ به دَرَجَةً ورِفْعَةً» .

وانظر: (م وصية ح٥؛ ط وصية ح٤) .

٤ـ باب: ترقّي قارئ القرآن في الدرجات بحسب قراءته

روى الإمام أحمد (٢/ ١٩٢) عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارْقَ، ورتّلْ كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آيةٍ تقرؤُها.»

وانظر: (ت ثواب القرآن ب ١٨).

٥- باب: ارتفاع درجة المؤمن في الجنة باستغفار ولده له

روى الإمام أحمد (٢/ ٥٠٩) عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله ﷺ إن الله ليرفعُ الدَّرَجَةَ للعبد الصالح في الجنّة، فيقول: يا ربّ أنّى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك» .

قال ابن كثير (تفسير سورة الطور: ٢١) : إسنادهُ صحيح.

وانظر: (جه أدب ب١) .

٦- باب: درجات الجنة للمجاهدين

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ الله وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَـٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠].

وقال الله تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ الله بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ الله الْحُسْنَى وَفَضَّلَ الله الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً. دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

روى البخاري (جهاد ب٤) عن أبي هريرة قال: «قال النبيّ ﷺ: من آمَنَ بالله وبرسوله وأقامَ الصلاةَ وصامَ رمضانَ كان حَقّاً على الله أن يُدْخلَهُ الجنّة، جاهدَ في سبيلِ الله أو أقام في أرضهِ التي وُلِدَ فيها. فقالوا: يا رسولَ الله أفلا نُبَشّرُ الناس؟ قال: إنّ في الجنةِ مائةَ درجةٍ أعدّها الله للمجاهدينَ في سَبيلِ الله

ما بينَ الدرجتين كما بينَ السماءِ والأرض، فإذا سألتمُ الله فاسألوهُ الفِردوسَ، فإنهُ أوسَطُ الجنة وأعلى الجنة، ومنهُ تَفجّر أنهارُ الجنة».

وروى مسلم (إمارة ١١٦) عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ: مَنْ رَضِيَ بِالله رَبّاً، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيّاً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فَعَجِبَ لَهَا أَبو سَعِيدٍ. فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله. فَفَعَلَ. ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَىٰ يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ» قَالَ: وَمَا هِيَ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله».

وانظر: (م إمارة ح١١٦).

٧- باب: إلحاق الذرية بآبائهم الصالحين في درجاتهم إن كانوا مؤمنين، وإن لم يبلغوا من الإيمان والعمل ما بلغه آباؤهم، ولا ينقص ذلك درجات الآباء

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١].

روى ابن جرير (تفسير سورة الطور: ٢١) عن ابن عباس قال: «إن الله ليرفع ذرّيّة المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لِتَقرَّ بهم عينُه». ثم قرأ الآية.

٨- باب: الدركات لأهل النار بحسب سوء أعمالهم، بعضهم أسفل من بعض والعياذ بالله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء: ١٤٥].

الجناح العاشر

المآلات

١- باب: يُخَلَّدُ في النّار أهلُ الكُفْر والشرك فلا يُخْرَجُونَ منها بشفاعة ولا غيرها وهو خلودُ الأبد، عياذاً بالله من ذلك

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَـئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً. إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧].

٢- باب: المؤمنون العصاةُ الذين يدخلون النارَ بعصيانهم وغلبةِ سَيِّئَاتِهِمْ على حَسَنَاتِهِمْ، يُخْرَجُون منها ويُدْخَلون الجنة بإيمانهم، وشفاعة الشافعين من أهل الإيمان وصالح الأعمال

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

روى مسلم (إيمان ح٤٥) عن أبي هريرة أو أبي سعيد: «أن رسول الله ﷺ قال: أشهد أن لا إلهَ إلا الله وأني رسولُ الله: لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيُحجَبَ عن الجنة» .

وروى مسلم (إيمان ح١٥٢) عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لَقِيَ الله لا يشرك به شيئاً دخلَ الجنة. ومن لَقِيَهُ يُشْرِكُ به شيئاً دخل النار».

وروى مسلم (إيمان ح١٥٠) عن عبد الله قال: «قال رسول الله ﷺ: من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار. وقلت أنا: ومن ماتَ لا يُشْرِكَ بالله شيئاً دخل الجنة» .

وروى مسلم (إيمان ح٥٢) عن أبي هريرة، قال: « قال رسول الله ﷺ: من لقيتَ من وراء هذا الحائطِ يَشْهَدُ أن لا إله إلا الله، مُسْتَيْقِناً بها قَلبُه فَبَشِّرْه بالجنَّةِ» .

وروى البخاري (أنبياء ب٤٧) عن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبده ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل» .

وانظر: (م إيمان ح٤٦)

وروى مسلم (إيمان ح١٥٤) عن أبي ذر، قَالَ: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ نَائِمٌ، عَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ فَإِذَا هُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ. فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ. فَقَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلاَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ. قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ثَلاثاً، ثُمّ قَالَ فِي الرّابِعَةِ: «عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ. قَالَ: فَخَرَجَ أَبو ذَرٍّ وَهُوَ يَقُولُ: وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ.

قال الطحاوي: أهل الكبائر من أمَّةِ محمدٍ ﷺ [مثلهم سائر الأمم قبلهم] لا يُخلَّدون في النار إذا ماتُوا وهم موحّدون، وإن لم يكونوا تائبين، بل يكونون في مشيئةِ الله وحكمِهِ، إن شاء غَفَر لهم وعفا عنهم بفضلـه، كما ذكر الله عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] وإن شاء عذَّبَهُمْ في النارِ بعَدْلِهِ [أي بقدر ذنوبهم] ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعةِ الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. ولم يجعلهم في الدارين كأهل نُكْرَتِهِ الذين خَابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته أهـ.» (شرح العقيدة الطحاوية ص ٤١٧).

٣- باب: لا شفاعةَ إلا من بعد إذن الله، ولا يشفع شافعٌ لا يرضاه الله، ولا يُشفَعُ لأحدٍ لا يرضاه الله

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ. قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾ [طه: ١٠٩].

٤- باب: شفاعة الملائكة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ. لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ. يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

٥- باب: شفاعة محمد ﷺ في أهل الكبائر من المؤمنين

روى البخاري (تفسير سورة البقرة ب١) : عن أنس عن النبي ﷺ حديث الشفاعة. وفي آخره: «ثم أَشفَعُ، فَيَحُدُّ لي حداً فأُدْخِلهمُ الجنةَ. ثم أعودُ الثالثة. ثم أعودُ الرابعة، فأقول: ما بقي في النار إلا من حَبَسَهُ القرآنُ، وَوَجَبَ عليه الخُلود» .

قوله: « من حبسهُ القرآن» يعني أهل الكفر والشرك، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء: ٤٨].

٦- باب: يخرج الله تعالى من النار بواسع رحمته أقواماً كان فيهم إيمان بغير عملٍ صالحٍ عملوه ولا خيرٍ قدّموه، ثم يُدْخِلُهمُ الجَنّةَ بفضلِهِ ورحمتِهِ وهو العزيز الحكيم

روى مسلم (إيمان ح٣٢٦) حديث الشفاعة، وفيه قال رسول الله ﷺ: «فأقول: يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله، قال: ليس ذاك لك (أو قال: ليس ذاك إليك) ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجِبْرِيَائي لأُخْرِجَنَّ من قال

لا إله إلا الله» .

وروى مسلم (إيمان ح٢٩٩) عن أبي هريرة، قال: « قال رسـول الله ﷺ: فذكر حديث القيامة الطويل، وفيه: «حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخْرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يُشركُ بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار. يعرفونهم بأثر السجود. حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود. فيخرجون قد امتُحِشوا» الحديث.

وروى الإمام أحمد (٢/ ٤٠٠) عن أبي هريرة، قال: «قال رسول الله ﷺ: «لَيَتَحَمدنَّ اللهُ يومَ القيَامَةِ على أناسٍ ما عَمِلوا من خيرٍ قطُّ، فَيُخْرِجُهُمْ من النار بعدما احترقوا، فَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ برحمتِهِ بعد شفاعةٍ من يشفع» .

وروى البخاري (توحيد ب٢٤) عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ حديثَ الرؤية، وفيه: «فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيُخرج أقواما قد امتُحِشوا، فيُلْقَون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة، فينبتُون في حافَتَيْهِ كما تنبت الحِبَّةُ في حَمِيل السيل...... فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيُجْعَلُ في رقابهم الخواتيمُ، فيدخُلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عُتَقَاءُ الرَّحْمنِ: أَدْخَلَهُم الجَنَّةَ بغيرِ عملٍ عَمِلوه، ولا خير قدّموه. فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه» .

وانظر: (م إيمان ح٣٠٢) .

اللهم اجعلنا من أهل الإيمان بك، واهدنا لصالح القول والعمل، وأعِذْنا من عذابك، وامْنُنْ علينا بواسع فضلك، في الدنيا والآخرة، وآتنا من خير ما وعدته أحداً من خلقك، نحن ووالدينا وأمهاتنا ولمن له حق علينا من أهل

الإيمان، ولكافّة عبادك الموحّدين، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين ، يا أرحم الراحمين.

اللهم وصلِّ وسلِّم وبارك على محمد عبدك ورسولك النبي الأمين، وآله الأطهار المتقين، وصحابته الأبرار المجاهدين، الهداة المهديين . والحمد لله رب العالمين .

تمّ هذا الكتاب تحريراً وتصحيحاً في يوم السبت الرابع عشر من شهر جمادى الثانية سنة ١٤٢٢هـ نفع الله به .

والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات

تقديم.. ٥
تمهيد.. ١٣

القسم الأول

الأعمال الصالحة.. ٢٣
الجناح الأول: العَمَلُ الصالح والقَدَر.. ٢٥
الجناح الثاني: طبيعة العمل الصالح وأقسامه.. ٣٥
الجناح الثالث: فضل العمل الصالح.. ٤٨
الجناح الرابع: ما يشترط لقبول العمل.. ٥٥
الجناح الخامس: اشتراط النية الصالحة لقبول العمل الصالح.................. ٦٦
الجناح السادس: إخلاص النية لله تعالى شرط في قبول العمل.............. ٧٣
الجناحُ السابع: مراتب الأعمال الصالحات.. ٩٧
الجناح الثامن: تفاضل الجنس الواحد من الأعمال باعتبارات.............. ١٠٣
الجناح التاسع: أفضلية العمل في أوقات وأماكن وأحوال خاصة.......... ١٠٨
الجناح العاشر: إحســـان العمل.. ١١٦

الجناح الحادي عشر: الإكثارُ من العمل الصالح........................ ١٢٢
الجناح الثاني عشر: الاجتهاد والاقتصاد والتشديد والغلوّ في الأعمال...... ١٢٩
الجناح الثالث عشر: الحرص على نَوعِيّاتٍ عالية من الأعمال.............. ١٣٦
الجناح الرابع عشر: آداب العامـــلـــين.............................. ١٤٣
الجناح الخامس عشر: العوائق دون الأعمال الصالحة........................ ١٥٥

القسم الثاني

أعمال السوء والعياذ بالله تعالي...................... ١٦٥
تمهيد.. ١٦٧
الجناح الأول: العمل السيء والقدر، والاستدراج والإملاء والتزيين....... ١٦٨
الجناح الثاني: أسبابُ توجُهِ بعضِ البشر إلى سيئ الأعمال.............. ١٧٢
الجناح الثالث: طبيعة السوء في الأعمال.............................. ١٨١
الجناح الرابع: طرقُ توقّي المنكرات وأعمال السوء....................... ١٨٥
الجناح الخامس: آثار الأعمال السيئة ١٩٠
الجناح السادس: مراتب الأعمال السّيئة............................... ٢٠٣
الجناح السابع: شروط تَرَتُّبِ الإثْمِ على فِعِلِ السُّوءِ....................... ٢١٠
الجناح الثامن: ما تَعْظُمُ به آثامُ الأعمال............................. ٢١٣
الجناح التاسع: وسائلُ لإِبْطالِ الإثْمِ إنْ فَعَلَها العَبْدُ بَعْدَ وقوعِ الذَّنْبِ

مُحِيَ عَنْهُ بها.. ٢٢١
الجناح العاشر: كيفية سلوك الصالحين مع من يفعل المعاصي.............. ٢٣٥

القسم الثالث

المجازاة على الأعمالِ حَسَنِها وسيِّئِها

المجازاة على الأعمالِ حَسَنِها وسيِّئِها................. ٢٤١
تمهيد.. ٢٤٣
الجناح الأول:إحصاء الأعمال والأقوال وكتابتها لتعرض يوم القيامة على الله...... ٢٤٦
الجناح الثاني: الجزاء الدنيوي على أعمال الخير وأعمال السوء............ ٢٥٤
الجناح الثالث: الجزاء الأخروي على الأعمال............................ ٢٦٠
الجناح الرابع: العرض على ا لله للحساب................................ ٢٦٧
الجناح الخامس: كيفية الحساب والسؤال عن الأعمال...................... ٢٨٠

القسم الرابع

موازنة الأعمال

مــوازنة الأعمــال.................................. ٢٩٣
الجناح الأول: الميزان.. ٢٩٥
الجناح الثاني: كيفية الموازنة... ٣٠٠
الجناح الثالث: ما يكون كفَّارة لذنوب الإنسان من غير فعله.............. ٣٠٣
الجناح الرابع: أعمال منكرة تُحْبِط الأعمال الصالحة.................... ٣٠٧
الجناح الخامس: أعمال خير تهدم كل سوء................................ ٣١١
الجناح السادس: خواتيم الأعمال.. ٣١٥

الجناح السابع: مشاهد في موقف الحساب تتعلق بالأعمال................. ٣١٧
الجناح الثامن: القصاص في المظالم بين الناس............................ ٣١٩
وذلك بعد الموازنة وقبل المصير إلى الجنة أو النار........................ ٣١٩
الجناح التاسع: درجات الجنة لأهلها ودركات النار لأهلها والعياذ با لله... ٣٢٦
الجناح العاشر: المآلات.. ٣٣٠
فهرس الموضوعات.. ٣٣٧